المجلة
العربية
مجلة الثقافة العربية
474

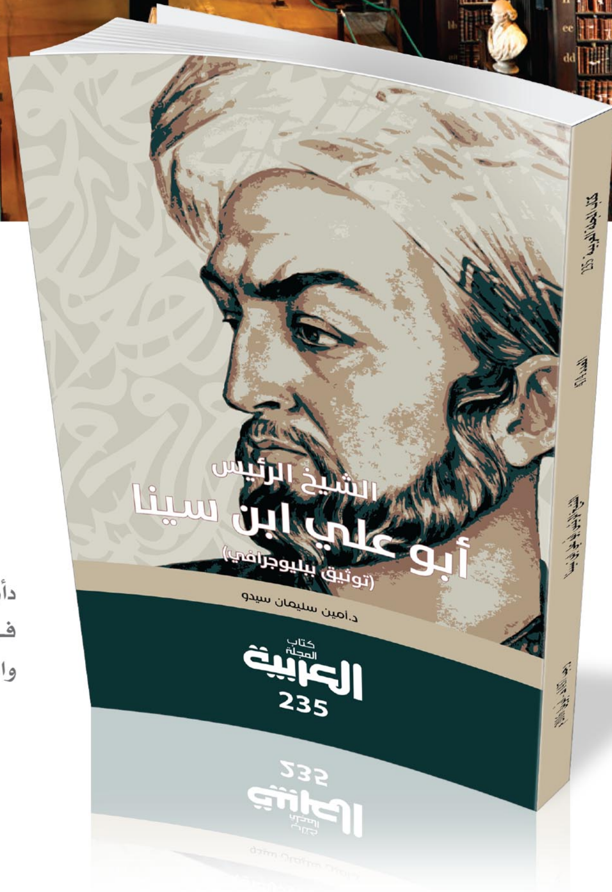


محمد الحمد الشبيلي
دبلوماسية الأخلاق

لقاء مع بلقيس اليابانية

ما الذي تبقى من إرث رولان بارت؟

الأحساء واحة النخيل والأدب


الشيخ الرئيس
أبو علي ابن سينا
(توثيق ببليوجرافي)
د.أمين سليمان سيدو
كتاب المجلة
العربية
235

واحة الثقافة والأدب

مثّلت محافظة الأحساء ولاتزال، وعبر عقود، مصدراً من مصادر الخصب والنماء في المملكة العربية السعودية. وقبل ذلك، وعبر قرون ممتدة، كانت هي الملاذ الآمن لمن ضاقت بهم ذات اليد وأعيتهم الحيلة في طلب العيش الكريم، حيثُ النخيل البواسق التي بالكاد تستطيع حمل عذوق تمورها المعطاءة، وحيثُ الماء الزلال المنساب في سواقي وجداول تمنح الحياة وتعطي الخصب والتفاؤل.

أحسب أن لكل مواطن أو مقيم في المملكة العربية السعودية قصة مع هذه الواحة العزيزة، فهي اليوم مقصد سياحي، بما تتوافر عليه من عمق حضاري وتاريخي ومعالم وشواهد أثرية لاتزال ماثلة، تحكي قصصاً من تاريخ ممتد عبر قرون.

في هذا العدد من «المجلة العربية» نقدم ملفاً عن «ثقافة الأحساء» بآدابها وفنونها، وحاضرها الثقافي، إلى قرائنا الكرام ليطلعوا على شيء من ملامح وواقع تلك الثقافة والأدب والفن.

على المستوى الشخصي، زرتُ هذه الواحة الجميلة مرات عديدة، غير أني أُسجل هنا زيارتين، كان لهما الأثر البارز، فيما كتبته ونشرته.

الزيارة الأولى، كانت قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، برفقة الأديب الكبير عبدالكريم الجهيمان، رحمه الله، والأستاذ محمد القشعمي، وقد أمضينا أياماً جميلة وماتعة في سهول تلك الواحة، التقينا فيها بعدد من أدبائها ومثقفيها ومبدعيها، وكان الفنان التشكيلي الزميل أحمد المغلوث هو فارس تلك الرحلة ومضيفها، فله الشكر الوافر.

في هذه الرحلة تعرفت إلى الأديب الشاعر الرائد عبدالرحمن المنصور، ابن الزلفي، الذي استوطن الأحساء بعد تقاعده من عمله في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في عام 1964م، وأجريتُ معه حواراً مطولاً، كان نواةً لكتاب صدر عنه عام 2003م، وهو الشاعر المحلّق المتمرد، والرائد في كتابة قصيدة التفعيلة، حيثُ نشر له الشيخ حمد الجاسر قصيدة «أحلام الرمال» في العدد الأول من مجلة اليمامة عام 1953م، وتُعد قصيدته تلك أول قصيدة تفعيلة تُنشر في صحافة المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية.

الزيارة الثانية، كانت قبل سنوات، هدفتُ من خلالها لمقابلة الشيخ سعد المنقور، الوجه الأحسائي المعروف، الذي انتقل من حوطة سدير في مطلع شبابه واتخذ من الأحساء مستقراً له ومنزلاً، وهو أخ للشيخ الوزير السفير ناصر المنقور، وقد تحدث لي سعد المنقور عن طفولته ونشأته مع أخويه: عبدالمحسن وناصر، مما ضمّنته كتابي: «ناصر المنقور أشواك السياسة وغربة السفارة».

تلك هي الأحساء، واحة الثقافة والأدب، وهي هجر التاريخ ومهجره.

محمد السيف

المجلة العربية

العــدد
474

رجب 1437هـ | أبريل 2016 م

www.arabicmagazine.com
لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)- شارع المنفلوطي
تليفون: 966-11-4767345 966-11-4777943
فاكس: 966-11-4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook
@arabic_mag
arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725
كوندس إس جي | ص.ب: 84540 - الرياض 11671

الرياض	4871414	الباحة	7251869	الدمام	8112222
الزلفي	4222343	القصيم	3821942	القريات	6424512
أبها	2245984	الدوادمي	6423365	الطائف	7327711
الحوطة	5550777	المدينة	8361332	حفر الباطن	7222100
حائل	5323231	الجوف	6246733	تبوك	4230096
بيشة	6223073	مكة	5377730	جازان	3170381
جدة	6390333	ينبع	3223679	الأحساء	5922381
الخرج	5484020	نجران	5322654	عرعر	6625741

عبدالرحمن الحمد

موسيقي ومسرحي سعودي، هو المؤسس الأول لجمعية الثقافة والفنون بالأحساء، وأحد رواد الفن في السعودية والخليج. من منطقة الأحساء، شارك بالعديد من الأعمال المسرحية تمثيلاً وإخراجاً. من القلائل الذين تمكنوا من الخروج على سطوة الأغنية الشعبية لتقديم ألحان طربية، غنى له عدد من الفنانين. لحّن (هل تذكرين الصيف) من كلمات أمل دنقل، واشتهر لحنه (خذ يا بحر كل ما تبي).

80 مكتبة الثقافة في مكة المكرمة









90 تشرشل.. حينما يكون السياسي أديباً ومفكراً وفناناً

كتاب العدد

تناولت آلاف الأبحاث والدراسات، وبعدة لغات، حياة الشيخ ابن سينا، أحد أبرز رواد الفكر الإنساني، بإسهاماته العلمية والمعرفية. وتأتي هذه الدراسة الببليوجرافية لتقدم ترجمة لابن سينا، والمؤلفات التي اتفق الباحثون على صحة نسبتها إليه، ووقفة مع أنموذج من مؤلفاته. ضمن قائمة ببليوجرافية بآثار ابن سينا المطبوعة، وآثار الدارسين باللغة العربية، والاستشراقية، فضلاً عن مسرد الأعلام، وملحق الصور.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 3 جنيهات | ليبيا 400 درهم
تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة
الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســـــنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي .

بورتريه العدد : بريشة رضوان الرياحي



110

تازة.. مدينتان في واحدة

الأحساء واحة النخيل والأدب والتراث 4
الأحساء في رواية من نزح عنها 12
مكتبات الأسر الأحسائية 24
المثقفات الأحسائيات.. مسيرة عطاء 30
من ملامح الصناعات الحرفية في الأحساء 38
الأحساء طبق من نخيل 48
د. ريسا: تعمقت في مجال الآثار بنصائح الدكتور الأنصاري 50
ما الذي تبقى من إرث رولان بارت؟ 58
السفير محمد الحمد الشبيلي.. بعد ربع قرن من رحيله 74
المؤلف السعودي ونشر كتابه خارج وطنه 98
رامبرانت.. الفنان الذي رسم نفسه كثيراً 102
الحضارة بين عقل الأفندي والأكاديمي 124
مهرجان أفلام السعودية الثالث 136
عبد الرحمن الوابلي.. ضوء العقول لا يرحل 138
صالح الحريبي.. صوت الرحالة النجدي 140
جورج طرابيشي.. الإرث الصامت 142

الإبداع

حب أبدي ..... ترجمة: مي عاشور 56
سوق الخميس ..... خليل الفزيع 64
القيصرية ..... إبراهيم الحسين 72
صوت الأذان ..... نادية أحمد 96
لوعة الشوق ..... محمد الكيومي 109
قلق ألف عام ..... عبدالحليم البراك 126

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» **فاكس:** 331797 **جوال:** 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

الأحساء

واحة النخيل والأدب والتراث



هاني الحجي: الأحساء

واحة تنبض في قلب الصحراء، غنية بالاخضرار، طرزت جفاف الصحراء بعذوبة السقيا، وأحالتها رياضاً تشدو في روابيها البلابل. تتفجر أرضها عيون ماء، وتزخر بالبلح صيفاً، وتشتهر بالتمر شتاء، فتشدو أنشودة النخيل في كل شبر من ترابها. تجاهد رمال الصحراء لتتنفس الحياة.

عرف الخير من فوقها ومن تحتها، فوق أرضها طبيعة بكر ببساتين النخيل المزدانة بالأصالة، وعيون ماء الخدود وعين أم سبعة والجوهرية وعين نجم وعين الحقل.. يتدفق بعضها بالمياه الدافئة، وبعضها بالمياه الحارة، وبعضها بالمياه الكبريتية، بين جبال القارة وكنزان التي حفرت في الطبيعة سموها منذ آلاف السنين عبر مجارٍ مائية باطنية تحولت إلى كهوف، ومواقع أثرية، وقصور ومساجد، وبقايا تراث تاريخي، تختزن من تحتها في مصائد طبيعية المياه الجوفية الضاربة في جوفها منذ القدم.

لم يتيسر لأحد أن يعلم ما تحويه أرضها من كنوز أثرية تحت أكمات مستديرة الشكل من الرمال، إلا حين تحدثت بمكنوناتها عبر مواقعها الأثرية، من العقير، المنطقة الأثرية المتكاملة الضاربة في القدم؛ حتى سوق القيصرية الذي بني بداية عشرينات القرن العشرين الميلادي، ليكمل حكاية السنوات الطويلة، بدكاكينه وممراته الطويلة الضيقة. وصولاً إلى هذا العهد الزاهر بالعطاء والخير.

كل ذلك خوّل الأحساء لأن تنضم، لتميزها في مجال الحرف اليدوية والفنون الشعبية، لقائمة ضمن 77 مدينة في 33 دولة حول العالم، وفق قائمة منظمة اليونسكو للمدن الإبداعية العالمية.

وبهذه المناسبة، يأتيكم هذا الملف الخاص من المجلة العربية، ليتناول شذرات من تراث الأحساء وإرثها الحضاري وموروثها الشعبي، وما تشتهر به من حرف يدوية وألعاب شعبية. مع التعريج على السمات الثقافية والحضارية والتعليمية والإبداعية لإنسان الأحساء، وكذلك بدايات التعليم، والحركة الشعرية، والمكتبات الخاصة، والمسرح. فضلاً عن الحركة الثقافية النسوية، والمكان في الرواية الأحسائية، ودراسة تناولت الشخصية الأحسائية في القصص القصيرة.





المطوع
التعليم التقليدي في الأحساء

محمد علي الحرز: الأحساء

تعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في منطقة الأحساء، حيث يرجع تاريخها إلى العصور الإسلامية الأولى، عندما كان المسجد يقوم بجميع المهام الدينية والعلمية في المجتمع، حيث يستقي الطلاب علومهم من الحلقات العلمية والدراسية التي يديرها العلماء ومعلمو الكتّاب في بيوتهم، وهذا ليس حصراً على منطقة الأحساء وحدها وإنما في جميع الحواضر العلمية التي كانت الأحساء واحدة منها. ولكن وللأسف الشديد لعدم التدوين ضاعت جميع تلك المعالم المهمة في تاريخ المنطقة، ولعل أقدم مدرسة رصدتها المصادر التاريخية تعود إلى الزمن العثماني في الأحساء، وذلك أن أقدم تاريخ يوجد لأول مدرسة من هذا النوع يعود إلى القرن العاشر الهجري سنة 982هـ، فقد خصص الوالي العثماني علي باشا بن لاوند البريكي قاعة خاصة لتعليم القرآن وتحفيظه، ملحقة بجامع القبة، وقد أجرى للمعلم الذي يقوم بهذه المهمة ستة دراهم عثمانية.

ولا تعطينا المصادر الشيء الكثير عن معالم الحركة العلمية خلال الحكم العثماني إلا النزر القليل الذي لا يكشف بالطبع عن حقيقة الأمر بشكل جلي، ولعل أبرزها ما ذكره الألوسي في تاريخ نجد، وهو (أن الأحساء كانت تضم عشرين مدرسة لتعليم الصبيان حفظ القرآن والقراءات والتجويد، بجانب بعض العلوم العصرية كالحساب، وفيها ثلاثون مدرسة أخرى كانت تدرس العلوم العربية والدينية). ولا أظن أن هذه النسبة تشكل نسبة دقيقة عما كان يدور في المنطقة من حركة تعليمية واسعة، وإن كانت تكشف عن بعض معالم تلك الحركة وشدة بروزها، وذلك بسبب الاتساع الكبير الذي تتميز به الأحساء، وصعوبة تقصي المعلومات من أماكنها الصحيحة.

وهكذا فقد أخذت الكتاتيب في الانتشار والتكاثر في ربوع



الأحساء حتى شملت معظم أرجاء المنطقة، وقد عرف من يقوم بهذا النوع من التعليم بلقب (المطوع) أو (الملا) للرجال، و(المطوعة) لمن تقوم بالتعليم من النساء، وهو لقب عثماني درج على ألسن الناس وذاع بينهم.

المواد الدراسية

أما المواد التي يتم تدريسها في الكتّاب فإنها تتركز في ثلاث مواد أساسيه تدرس على ثلاث مراحل متسلسلة وهي:

- المادة الأولى: قراءة القرآن الكريم حفظاً وتجويداً.
- المادة الثانية: تعليم القراءة والكتابة.
- المادة الثالثة: أوليات في الحساب.

رسوم ومكان التعليم في الكتاتيب

الرسم هو عبارة عن المبلغ الرمزي الذي يدفعه والد الابن أو الابنة عند دخول أطفالهم الكتّاب، وهو عادة يتراوح بين نصف الريال والريال، وقد يسمح بدخول من كانت حالته المادية ضعيفة دون أي رسوم يعطيها للمعلم.

وكان المقر المخصص للتدريس عادة هو منزل المطوع أو المطوعة الذي يفرد غرفة لهذا الغرض، وأحياناً إن رأى المعلم شدة الإقبال عليه فإنه يقوم باستئجار منزل خاص للتعليم فقط، حيث يصل عدد الطلاب في كتّاب واحد إلى أكثر من خمسين طالباً.

هذا مع ملاحظة أن الالتحاق بالمطوع لم يكن متاحاً لجميع الأشخاص، وإنما هو مقتصر على الميسورين مادياً، ومن لم يكن آباؤهم في حاجة إليهم، وذلك على أن تتراوح أعمارهم بين سن الخامسة والخامسة عشرة غالباً.

الوقت

ليس للدراسة في الكتاتيب أيام معينة، فهي تمتد طوال أيام الأسبوع، وقد يتوقف البعض عصر الخميس ويوم الجمعة، وهي مستمرة على مدار السنة ماعدا أيام الأعياد والمناسبات الدينية فإنه يعطى الطلاب إجازة لمدة ثلاثة أيام.

أما وقت الدوام فهو على فترتين:

الأولى: الفترة الصباحية: وتبدأ من بزوغ الشمس إلى ما قبل صلاة الظهر بقليل.

الثانية: الفترة المسائية: والبدء فيها من بعد صلاة العصر إلى حين الغروب قبل صلاة المغرب.

ويضيف بعضهم فترة ثالثة: وهي الفترة المخصصة لكبار السن من الشباب أو الكهول ممن لهم رغبة في التعليم على غرار محو الأمية الموجودة اليوم لمن فاتهم قطار التعليم في طفولتهم، حيث تبدأ دراستهم بعد صلاة العشاء وتستمر لمدة ساعة أو ساعتين، وكان من أبرز معلمي هذه الفترة السيد ياسين الموسوي في مدينة المبرز.



الموارد المالية للمطوع والمطوعة

يعتبر المطوع شخصاً متفرغاً لمهنته، ليس له موارد مالية أخرى، لما يتطلبه عمله من توجه تام ومتابعة مستمرة، لذا ليس من حرج في أخذ المساعدات المالية من أولياء الأمور في مناسبات مختلفة بعضها يأخذ صفة إلزامية والبعض الآخر لا يأخذ الصفة الإلزامية، وإنما يعتمد على ولي أمر الطالب نفسه، وهي تحمل مسميات عديدة، مع ملاحظة أنه ليس بالضرورة أن ما يعطى في كتّاب قد يعطى في كتّاب آخر، إذ قد تختلف المناسبات من كتّاب لغيره، كما أنها تعتمد على المستوى المادي لأولياء أمور الطلاب:

1 - القعودة: وهو الرسم الذي يدفعه الطالب لدخول الكتّاب، وتتراوح بين النصف والريال الواحد.

2 - الفتح: وهي هديه يقدمها التلميذ للمطوع عندما يختم الطالب كل من سورة الفجر أو جزء عم أو تبارك أو الرحمن أو يس أو الإسراء أو المائدة أو البقرة، ومقدارها ريال واحد.إضافة إلى هديه عينيه ككيلو من السكر أو الشاي أو الرز وغيره.

3 - فتح النصف: وهي لمن بلغ في قراءته منتصف القرآن الكريم، عند آية (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) (الكهف : 62). ورسمها أن يحضر الطالب للمطوع في اليوم التالي طعام الغداء.

4 - النافلة: عبارة عن هديه تدفع للمطوع في المناسبات الدينية، كذكرى الإسراء والمعراج ويوم النصف من شعبان والنصف من شهر رمضان، وهي غير محددة.

5 - العيدية: وتعطى للمطوع في الأيام الأولى من عيد الفطر وعيد الأضحى، وهي غير محددة أيضاً كل حسب إمكاناته واستطاعته المادية.

6 - الإكرامية: وتختص في مواسم الرطب والتمر، حيث يرسل والد الطالب إلى المطوع شيئاً منهما.

7 - الخميسية (الحطوطة): وهي عبارة عن إحضار الصبية كل خميس هديه قد تكون نقداً أو تمراً أو رزاً أو حليباً أو خبزاً.

8 - الختمة: وذلك رسم من ختم القرآن، وهي غير محددة بمقدار معين من المال، وإنما يدفع كل على حسب استطاعته، أما البنت فإن كانت ميسورة الحال فهي كالصبي وإلا ينتظر إلى حين زواجها فيؤخذ جزء من مهرها ويسمى (قطوعة).



حفل الختمة

يعد حفل الختمة من أعظم المناسبات الاجتماعية التي يبتهج فيها الأطفال من الجنسين، وموعدها عادة بعد أن يختم التلميذ القرآن، ويتأكد المطوع أو المطوعة من حفظه وإتقانه له. وتبدأ مراسم الحفل بأن يأخذ لوح من الألواح التي يدرس عليها وتلف بقماش حرير أخضر ويثبت في وسطه (بنجر) وهو عبارة عن سوار من الذهب، وينطلقوا من بيت المطوع بعد أن يرتدي الطلاب الملابس الجديدة، ويصحبهم شخص يجيد حفظ التحميدة فيدار بالصبي أو الفتاة إلى منازل أسرته وبيوت زملائه من الطلاب ومن يمت إليه بصلة، فإذا بلغوا بيت أهله وضعوا اللوح على رأس الخاتم، ويبدأ المنشد في إنشاد التحميدة والأطفال يهتفون بعد كل مقطع من القصيدة بكلمة (آمين)، وبدورهم يقوم أصحاب المنزل بوضع شيء من النقود داخل البنجر، وهناك أكثر من صيغة متعارفة للتحميدة لدى أهل الأحساء تختلف في الشكل وتتشابه في المضمون، نذكر ثلاثة نماذج منها:

الحمد لله الذي هدانا
للدين والإسلام واجتبانا
سبحانه من خالق سبحانه
بفضله علمنا القرآنا
نحمده وحقه أن يحمدا
ما ظهر الدهر وما طاح الندى
ثم الصلاة كلما الحادي حدا
على النبي الهاشمي محمدا

***

هذا غلام قد قرأ وقد كتب
وقد تعلم الرسائل والخطب
ولا تقصر يا بن أشراف العرب
واطرح على اللوح دراهم وذهب
ولا يكن طرفك هم وغضب
فالله يعطي ثم يمنح ويهب

***

علمني معلم ما قصرا
رددني في درسه وكررا
ابن تعلمت كتاباً أكبرا
حتى قرأت مثله كما قرا
جزاك الله يا والدي الجنانا
وشيد الله لك البنيانا
الجد والجدة لا تنساهما
فعند ربي وحده جزاهما
في جنة الخلد مع الولدان



من السعودية إلى العالم
الأولى والوحيدة في المملكة والخليج

عبدالله الشايب: الأحساء

إعلان انضمام الأحساء إلى حضيرة المدن الخلاقة والإبداعية في العالمين من بوابة الفلكلور والحرف؛ يأتي تتويجاً للفعل القائم على أرض الأحساء، بمدنها: الهفوف والمبرز والعمران والعيون والجفر، ومجتمعاتها الحضرية في الريف (مثل الجبيل والقارة والحليلة والشعبة والمنصورة والفضول والمنيزلة والطرف والجشة وغيرها) والبادية، ومن خلال الجهود التي بذلت مبدئياً منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً لإيجاد الوعي بأهمية الموروث والتوثيق والحفظ في فترة النماء المادي.

إلا إن استمرار جهود المخلصين وثباتهم على رؤية التأصيل وإنماء الوعي والمساهمة في تذليل كثير من العقبات؛ ساعد كثيراً لأن تنشأ حالة جمعية أدت إلى تصدر الأحساء في هذا المجال.

فكان الجذر التاريخي العميق على الأقل للتاريخ المسدل

الـذي يعـود إلـى تسـعة آلاف سـنة مضـت، هـو مـا جعل من واحة الأحسـاء بتدفق مياهها وخصوبة أرضها مكاناً صالحاً لاستشراف الإنسان ليقيم أول مستوطنة بشرية عليها، وقام بالفعـل الزراعي متعرفاً على الأنـواع وأجندة زراعية حولية واستئناس الحيوانات وترويضها كالخيل والحمير والجمال، فـي خدمتـه ومـع بنـاء المسـتوطنة والمخـازن والسـوق وتطويـر نظـم العلاقـات البينيـة والتبادل التجـاري، ونظم إدارة المجتمـع وتوزيع المياه ووضـع أجندة زراعية ومعرفة الأنـواع وغيرها، نشـأت معها الحاجة إلـى عاملين حرفيين لتغطية الحاجة من الملبس، فعرفت الحياكة وإنتاج النسيج الهجري، وأدوات العمل والزينة كالصياغة الحساوية للذهب والفضة، وأدوات المنزل وحتى أدوات الحماية لاحقاً كالرماح والسـيوف والخناجـر. وهـذا كلـه جعل من الأحسـاء بشـرق الجزيرة موطناً مسـتقراً في سوق هجر والمشقر، وأن تكون محطة مهمة على طريق القوافل القديمة المعروفة بطريق التمور، وما يتبعه من بناء السفن والنجارة والحدادة وطرق البناء وغيرها، وكذلك التوابل والبخور، بل ساهم الحرفيون لاحقاً مع الهجرات بنقل معارفهم كالزراعة وبخاصة زراعة النخيـل، حيث مهدها واحة الأحسـاء، والصـناعات الغذائية إلـى بـلاد الرافديـن والشـام وشـمال أفريقيـا وبـلاد فارس ووسط آسيا والقرن الأفريقي.

ومـا زالـت تتعاقـب الأجيـال بالأحسـاء بنقـل موروثهـا الحرفـي جيلاً بعد جيل، ممارسـة حالـة إبداعية في المنتج يتسم بالجمال ومناسبة الغرض الذي عمل من أجله والأمان في الاسـتخدام بحسن المظهر، بل شكلت بعض المخرجات للحرف إيقونة أحسـائية صـرفة كالبشـت الحساوي والدلة الحسـاوية والصـياغة الحسـاوية كالمرتعشـة الحسـاوية وحفـر خشـم الأبـواب الخشـبية ونقص الجص بزخرفتها الحساوية.. وغير ذلك.

والمجتمعـات المسـتقرة طـورت معهـا فنونهـا الأدائيـة الأخـرى سـواء فـي الأفـراح أو الأتـراح، وطورت معهـا آلاتها المصـاحبة، سـواء فـي الفلكلـور أو الأناشـيد الدينيـة أو الموسيقى والغناء أو القصص والأهازيج أو الأداء الفلكلوري الشخصي مثل الرقصات المختلفة.

وكان الـدور الأبـرز خـلال السـنوات الماضيـة عبـر المهرجانـات المختلفـة، حيـث الحضـور المميـز لفنـون الحـرف المختلفة فـي مدن الأحسـاء. وقد سـاهمت الهيئة العليـا للسـياحة ممثلـة فـي فـرع الأحسـاء بـدور فاعـل من خـلال برامجهـا التـي تعتني بذلـك، وكذلك مركـز التنمية الاجتماعيـة من خلال برنامج الأسـر المنتجـة والذي طور آلياتـه إلـى التسـويق الإلكتروني، لكن حتمـاً، لا يغفل الدور التكاملـي لجهـات مثـل أمانـة الأحسـاء والغرفـة التجاريـة بالأحساء وجمعية الثقافة والفنون بالأحساء.

ولكـن أيضـاً كان للجهـود المسـتقلة دور كبيـر فـي إنماء الحضـور الأحسـائي في مجال الحرف من خلال إسـهامات واضـحة عبر فنانيـن مبدعين أو من خـلال جماعات فاعلة كـدار الخـط العربـي بالأحسـاء وكجماعـة (كلنا رسـامون) وفرقة سيالة في الفنون الأدائية.

كمـا إن الباحثيـن علـى مدى السـنوات الماضـية أسسـوا لمدرسـة بحثيـة أحسـائية، ومـع كونها جهـود فرديـة إلا إن أثرهـا الجمعي أضـاف للمكتبة السـعودية والعربية عناوين كثـر تتعلـق بالمـوروث بالأحسـاء اعتمـدت منهجيـة علمية وبحثاً ميدانياً واستقرائياً في آن.

دور ريادي لمركز النخلة للصناعات الحرفية

الأول مـن نوعـه بالمملكـة العربيـة السـعودية، يقـع بالأحسـاء، وكان علـى عاتقـه مهمة المسـاندة لسـد الفجوة بيـن الأجيـال في مجال الحـرف من خلال تدريب الشـباب والشـابات علـى الحـرف، وذلـك لإيجـاد جيـل ينقـل تلـك الحرف ويصوغها على شكل منتجات تكون محركاً اقتصادياً بالمملكـة، وأن تعمل على حفظ الموروث وترفع من الذوق، وتؤكد الهوية باستخدام أفضل الخامات.

لقد ساهم المركز بفاعلية كبيت خبرة أيضاً لجهات عدة، وأن يقـدم دورات ذات حرفية عاليـة في 22 مدينة بالمملكة، وهـذا جعل الأحسـاء مورداً في الإنماء على مسـتوى الوطن العزيز.

إن دخول الأحساء ضمن نادي المدن الخلاقة هو مسؤولية كبرى لابد من تضافر الجهود المستقبلية للاستفادة وطنياً وعالمياً من ذلك سواء في زيادة الإسهام السياحي أو تطوير أكثر للصـناعات الحرفية والفلكلور وإيصـالها كمنتج مادي وثقافي، وهذه المسـؤولية تتطلب تعريفاً مسـتديماً بذلك وصـياغة آليـات عمـل لإبقائهـا فاعلـة، وذلك حتى يسـتديم الألق والحضـور المعرفي لدى اليونسـكو لتكون في صدارة المجتمعات الخلاقة في العالم. والأحسـاء قادرة على ذلك، فالبنيـة التحتيـة لهـذا الأمـر تتكامل يومـاً بعد يـوم، ولعل الجمعية السعودية للمحافظة على التراث وجمعية الثقافة والفنـون ويقينـاً الهيئـة العليا للسـياحة والقطـاع التجاري الصـناعي بالغرفة والترفيهي أو الترويحي بأمانة الأحسـاء وبلدياتها الفرعية؛ تعطي نماذج أفضـل بتفعيل حراك دائم فـي ذلـك باسـتقطاب الجهـود الخاصـة والفرديـة لتتكامل الصورة.

حضـور الأحسـاء في اليونسـكو هو عمل تكاملي يحسـب لكامـل الوطـن ممثـلاً فـي هـذه الأرض الطيبة الأحسـاء، حينها فقط نقول الأحساء لا تتثاءب.



الأحساء

في رواية من نزح عنها



محمد البشير: الأحساء

يحنُّ المرء للمكان الذي وُلد، وذلك للأثر الذي يظل في سويداء قلبه، ولو فارقه! ولذا يلعب الحنين دوره في ظهور أثر هذا المكان على لسانه، فالنفس لبلدها تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة كما قيل، ولا أدل على ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أُخرج من مكة، فصار يسأل كل من جاء منها، وينصت بشوق وحنين، وعندما يسمع كلامهم عنها كان يختم الحديث بسؤال المتحدث أن يتوقف عن السرد بقوله: (حسبك.. لا تُحْزِنّا.. (أو) دع القلوبَ تقر)، فالمكان الأثير يُعمل لواعج الشَوق في فؤاد تاركه، فما بالك بواحة فاضت خيراتها على أبنائها ومن سكنها!



الأحساء بطبيعتها السهلة، وعمقها التاريخي والحضاري، مكان مناسب للرواية، ومسرح فسيح بتنوعه الحضري/البدوي، المدني/القروي، السني/الشيعي وغيرها من ثنائيات ضدية من شأنها أن تتظافر لتقيم أي عمل روائي يمتح من تلك الثنائيات، ولكن سهولة طبيعة الأحساء نأت بها صوب الشعر، فظل متسيداً طويلاً وما زال، فزاحم الرواية حتى أبعدها، فلا جدال حول الحضور الشعري الطاغي.

إن من يدرك طبيعة الأحساء لا يستغرب هذا الأمر، فالأحساء منقسمة بين ريف وحاضرة، وظلت النخلة والبيئة الزراعية تزاحم، وتأخذ مكاناً رفيعاً في وجدان أبنائها، ولذا كانت إلى الشعر أقرب منه للسرد، فمكانة النخلة وشموخها يجعلها تحضر وتفرض كلمتها، وتجعل من الريف مكاناً مقدّماً وحاضراً في كل بيت بل وقصر!

لا سيما وأن الرواية ابنة المدينة على حد قول جورد لوكاتش، والأحساء بصبغتها العامة أقرب للريف منها إلى المدينة بهدوئها وسكونها، بعيدة كل البعد عن ضجيج المدينة وصخبها، ولذا تأخر الحضور الروائي. ومن حضر من روائيي الأحساء ممن وُلد بها وترعرع وما زال يسكنها؛ كان حضوره باهتاً عند مقارنته بمجمل ما قُدّم سعودياً، بل إن الأبرز والأظهر من المنتج الروائي الأحسائي صدر عن روائيين أحسائيي المولد، نزحوا عنها، وظل حنينهم!

إن ظهور أثر المدينة روائياً في أعمال من خرج من الأحساء مقارنة بالريف، وتجلي الصبغة الشعرية في أعمال غازي القصيبي على سبيل المثال؛ فلأن (جُل من يكتب الرواية المحلية من أبناء القرى الذين يعيشون بوجدان القرية في المدينة؛ إنهم سدنة لقراهم، بل روائيون برسم قروي) على حد قول د.حسن النعمي، وإن تخلص القصيبي من الأحساء مكاناً روائياً إلا أن السمة الشعرية حضرت، لتثبت أنه غير قادر على خلع جبته الشعرية كاملة.

يظل مسقط رأس أولئك الروائيين -الذين هجروا الأحساء- حاضراً بسماته الشفاهية وأساطيره في وجدانهم، وتلعب المدينة دورها في تبديل وسيلتهم الشفاهية، وذلك ما أنهى التاريخ الشفوي في تعبير محمد العباس، فـ(المدينة تغري الكائن وتجرّئه على كتابة الرواية، وهي الكفيلة أيضاً، من الوجهة الإبداعية، بإنهاء ما يعرف بالتاريخ الشفوي).

إن نهاية ذلك التاريخ الشفوي إيذان بانقلاب نحو تاريخ جديد جمالي حقيقي، وفق تعبير حسين المناصرة، إذ جعل من أبرز ملامح ذلك الانقلاب (الانتقال من المثال والمجرد والشفوي والغنائي والعاطفي.. إلى الواقعي والحواري والتاريخي والملحمي والذاكرة المفتوحة على الحياة لبناء رؤى تشكل العالم في صراعاته وتناقضاته المختلفة. مما يعني الانتقال الثقافي للنقد العربي من أحادية الرؤية والأداة في القصيدة، إلى تعددية اللغة والرؤى والجماليات في الرواية المنفتحة على كل ما حولها إلى حد وصفها بالنص (الغول) أو الهجين أو اللعبي أو جامع النص، أو المغامرة أو ما إلى ذلك..).

تلك المعادلة الصعبة في التعامل بين المدينة بصخبها، والأحساء بوداعتها، يجعل الروائي أمام خيارات عسيرة، فتربة الميلاد تغرس في القلب حرمة كما قيل، كما تغرس الولادة في الكبد رقة، وعنف المدينة يضطرم روائياً، لإخراج ما يليق بالصنعة الروائية، فالرواية ليست شعراً يلعب الوجدان فيه دوراً بارزاً، بل كتابة بشفرة تُدمي، ولذا كان من العسير التعامل مع تلك الشفرة الروائية وبلوغ رضا المتلقي بيسر وسهولة دون تبعات.

خرجت نماذج روائية أحسائية مثل (حسن الشيخ، سلطان القحطاني، فهد المصبح.. وغيرهم) ممن خرجوا مبكراً من الأحساء إلى الدمام والرياض وغيرهما، واتخذت تجاربهم الروائية الأحساء مكاناً لها، فحسن الشيخ من



(الفوارس) إلى (الكوت) جعل من مكانين معروفين من الأحساء عنواني روايته ومسرحيهما، وسلطان القحطاني جعل من (سوق الحميدية) عنوان روايته ومكان عودة بطله، فهو من جعل من البدوي الذي جاء من الحجاز يقول: (يقولون من شرب من النيل يعود إليه، وأنا شربت من عين (أم خريسان) ولم أستطع الخروج حتى أعود إليها) (سوق الحميدية: 6) إنها الأحساء التي تأسر من لجأ إليها، فلا يكاد يخرج! أما من خرج، ففي حنين دائم إليها.

وأما فهد المصبح في (الأوصياء)، فهرب عن عنونة روايته بمكان، وجعله لأولئك الأوصياء الفاعلين في إخفاء تاريخ المهمشين، ليقوم هو بإظهاره روائياً. شأن الرواية في ملاحقة ما لا يذكره الشعر ولا يستطيعه، لذا لا يلتفت إليه!

جعل فهد المصبح من (حارة الفراوي) مكاناً يهرب إليه، ويفضحه تلك المطابقات المكانية المحاذية، فإن كان البدوي شرب من (أم خريسان) عند سلطان القحطاني، فيوم الخميس عند المصبح (موعد الرحلة إلى عين الخدود حيث بدأ توافد الرفاق مبكراً على بيت أبي علي، كل واحد منهم يحمل ما قدر على إحضاره من بيته خلسة. ساروا على الأقدام يحملون همومهم وأوجاعهم لإغراقها في الخدود) (الأوصياء: 61)، فهل ذلك الهروب للروائيين الثلاثة (حسن الشيخ، سلطان القحطاني، فهد المصبح) إلى الأحساء روائياً نوع من الرحلة الخميسية لإغراقها في الخدود؟! لا شك أن صخب المدينة وضوضاءها أحوج ما يكون إلى تلك الرحلة!

لكن صدمة العودة إلى الأحساء، ورؤيتها على غير صورتها الأولى، مدعاة إلى استدعاء الحنين لدى الروائيين الثلاثة في صورة الأحساء البكر لديهم، والتي لم يدنسها الزمان، تلك الصورة التي لم تتغير في وجدانهم على غير صورتها الحالية التي تحاول أن تلبس مدنهم التي يهربون منها، تلك الصورة التي يطاردها سلطان القحطاني ويصفها بأنها لم تتغير كنخلة أمه، فالصورة/النخلة عند بطله: (كل شيء تغيَّر إلا النخلة التي زرعتها أمي بيدها) (سوق الحميدية: 38) حتى إن مجلس آل السيد الذي يفتح من بعد صلاة المغرب إلى منتصف الليل، مَرَّ به بطله (وإذا هو أطلال لم يتغير مكانه، لكن فعله تغيّر) (سوق الحميدية: 99). إنها مطاردة للثوابت التي لم تغير صورتها في عقل الروائي، هي عودة نستولوجية لذاك المكان الذي لم يتبدل، ولكن ولات عودة إلا على ورق بشخصيات من ورق تصمد وتظل لا تتغير كصورة نخلة أمه، حتى النخلة تغيرت لو كان منصفاً! ولا سبيل إليها سوى الكلمات.

إنه التغيير الذي أزعج عفاريت (قصر إبراهيم) تلك العفاريت التي تسكن القصر وتتزاوج وتتوالد، وهي التي وصفها الراوي بأنها (عكرة المزاج، نزقة، ليست ككل عفاريت الدنيا، لا تسمح لأحد بالدخول إلى القصر) (الكوت: 6)، فالقصر أصبح موطن نزهة، وهذا ما يُدنس حصانة المكان في ذاكرة الروائي، يصبح مكاناً متاحاً للجميع، غير مغلف بالكلمات التي يمكنها أن تصنع فضاءات أكثر سعة من ضيق الصورة لدى المتلقي.

تلك الصورة التي تجعل من نورة بنت النجار تخرج من القصر بعد ثلاث سنوات حاملة عفريتاً صغيراً، له قرنان صغيران وذيل قصير! فمثل تلك الصورة الفنتازية لا تكون إلا بالكلمات التي تدخرها الذاكرة الأحسائية بطبيعة المكان، وحبك القصص في الأماكن المغلقة عن الأعين، ونسج الأساطير في (جبل القارة) وعيون الماء التي تدلق نزراً من مكنونها في مثل تلك الأعمال الروائية التي تتخذ من الأحساء مكاناً لها، وقادرة على المزيد متى ما وجدت من يستطيع الحفر، ويهبها جهده لاستخراج ذلك من العمق، في موسم الجفاف!



الأحساء

إرث تاريخي وتراثي لا يضاهى

غادة البشر: الأحساء

تعد المتاحف وسيلة ناجعة لحفظ الإرث التاريخي والثقافي والتراثي، ومرجعية للأجيال للتعرف على تاريخهم وإرثهم، ولقد فطن أهالي الواحة لما تحمله واحتهم من إرث تاريخي وتراثي جدير بالعناية، فامتلأت الواحة بالمتاحف الخاصة، بالإضافة لمتحف الأحساء الرسمي الذي يعد ثروة تراثية وتاريخية، كما حظي التراث الشعبي المحلي بعناية الجهات الحكومية، وقد سجلت الأحساء حضوراً تراثياً وتاريخياً في عدة محافل أهّلتها لأن تكون في المقدمة.

متحف الأحساء الوطني

افتتح متحف الأحساء للآثار والتراث الشعبي بمدينة الهفوف عام 1404هـ بهدف صيانة وحماية المواقع الأثرية والتاريخية، وتيسير عملية تسجيل المواقع واستقصائها، واحتواء القطع الأثرية التراثية والتاريخية، واستقصاء وتسجيل ألوان التراث الشعبي المادي والشفهي، إلى جانب إطلاع الجمهور على الآثار، من خلال المعارض والنشاطات، حيث يستقبل المتحف آلاف الزوار والوفود السياحية من داخل الأحساء وخارجها، ويضم معروضات وآثار منذ 12 مليون عام، وحركة القارات (الجيولوجية)، وتاريخ المنطقة الزراعي والتجاري والخليج العربي، والعصر الحجري القديم والوسيط والحديث، وعرض تأثر المنطقة بالحضارات المجاورة في وادي الرافدين وحضارة العبيد، وحضارة دلمون، والفترة الآشورية والبابلية، وعصر (الجرهاء)، والفترة (الساسانية)، واتحاد القبائل العربية، والفترة الإسلامية والخلافة في شرق الجزيرة، كما يتناول فترة الحكام المحليين للأحساء (العيونيون والعصفوريون والجبريون)، وحكم (بني خالد) والفترة العثمانية الأولى، والدولتين السعوديتين الأولى والثانية والفترة العثمانية الثانية، واسترداد الأحساء على يد الملك عبدالعزيز، بالإضافة للحياة الفطرية بالمنطقة، وأدوات التراث الشعبي في المجتمع الريفي والحضري ومدن وأسواق الأحساء وأبرز صناعاتها المحلية، والعملات الإسلامية المنوعة، وعدداً من المخطوطات وصورها.

متحف حسين الخليفة

يقع متحف حسين علي الخليفة التراثي في المبرز بالأحساء، وقد افتتح المتحف عام 1426هـ بمساحة 200 متر مربع، ويضم المتحف عدة أركان منها ركن الفلاح وأدواته القديمة، ركن البادية، ركن البحار، ركن الخطوط السعودية، ركن زينة النساء في الماضي، ركن ألعاب الأطفال القديمة، ركن العيادة والحجامة، ركن العملات القديمة المعدنية والورقية، ركن الأدوات الكهربائية القديمة، وقد خصص الخليفة 16 محلاً للحرف القديمة داخل المتحف، ويحتوي المتحف على أكثر من 5000 قطعة، ويضم مخطوطات قديمة، ومصحفاً بطول 7م، وسيارة شفرولية إمبالا، ودراجات نارية، وثلاجات تعمل بالكيروسين والغاز.

ويعتبر متحف الخليفة من المتاحف النموذجية، وقد حظي بالدعم المعنوي من المسؤولين، وزيارة وفود عربية وخليجية وأجنبية، كما حصد جائزة التميز السياحي لأفضل نشاط سياحي عام 2012م.

متحف خالد البوعبيد

يقع متحف خالد عبدالرحمن البوعبيد التراثي في مدينة محاسن بمساحة 400 متر مربع. صمم على طابع البيت الأحسائي، ووضع بمقدمته المرازيم والنوافذ والأبواب والدكة، ويضم أكثر من 5000 قطعة تراثية صنفها 18 قسماً، قسمت كأجنحة و14 دكاناً للحرف التقليدية، وزوايا للملابس والعملات والأسلحة والأواني المنزلية، والألعاب الموروثة، ومستلزمات المرأة والأسرة،

وبعض الطيور المحنطة والدراجات النارية، ومقتنيات النخيل، وأدوات الصيد، والساعات، وأجهزة الراديو القديمة، والهواتف الأرضية، بالإضافة لمقهى شعبي قديم.

متحف خالد الحمل

يقع متحف خالد محمد الحمل المسمى (متحف كنوز الماضي التراثي) في مدينة المبرز، يتكون من ثلاث قاعات، مقسمة حسب الوظيفة والمادة، ومنها الحرف القديمة، بالإضافة للملابس، والحلي، والعملات، والطيور المحنطة، والدراجات النارية، وسيارة قديمة، ومصحف عمره 150 سنة، ومخطوطات نادرة، وغرفة معيشة، ومجلس وسوق شعبي قديم، ويقدر عدد مقتنيات المتحف بنحو 3500 قطعة تراثية متنوعة.

متحف إبراهيم الذرمان

يقع متحف إبراهيم عبد الله عيسى الذرمان في مدينة المبرز، يتكون من سبع قاعات هي مجلس الرجال، ويضم أدوات الضيافة والأسلحة التقليدية، وقاعة المقتنيات الثمينة، وأثمنها كتاب الله، ومخطوطات منذ عام 1171هـ، وحلي نسائية، وكتب دراسية قديمة، وقاعة للبيت الأحسائي القديم وأدوات الفلاح، وقاعة لأدوات الضيافة الخاصة بالحفلات، وقاعة للأجهزة القديمة، وقاعة لغرفة العروسين ومستلزماتها.

متحف سليمان الماجد

يقع متحف سليمان محمد الماجد التراثي في الهفوف بمحافظة الأحساء، بمساحة 180م، ويحوي أواني القهوة والضيافة العربية، والرحى الحجرية، والمراوح الخوصية، والمكاييل الخشبية، والأدوات الزراعية، وأدوات الإضاءة، والعملات والنقود والمخطوطات والخرائط والصور القديمة، ومكائن الخياطة.

متحف صالح الظفر

يضم متحف صالح عبداللطيف الظفر أدوات الضيافة، وأدوات إعداد القهوة، وأدوات الزراعة والري، وأدوات الحرب والسلاح، وأواني الطبخ، والملابس الرجالية والأحذية القديمة، والملابس النسائية والحلي وأدوات الزينة، والأبواب والشبابيك القديمة والأقفال النادرة، كما يوجد دكان صغير يضم مستلزمات وحاجيات الإنسان قديماً، وأكشاك تضم أدوات الحرف أو المهن القديمة.

متحف عبدالرزاق العرب

يقع متحف عبدالرزاق العرب التراثي في الهفوف، ويتكون من صالة كبيرة وثلاث قاعات، تحوي ملابس تراثية، أواني الطهي، أدوات القهوة، أدوات الإضاءة، الأدوات المدرسية



القديمة، وأدوات الري والزراعة، والأسلحة بأنواعها.

متحف وليد الناجم التراثي

أسسه وليد بن عبدالله بن محمد الناجم، في مدينة الجفر بمساحة 400 م، مبنية على الطراز القديم بالجص والحصى والكندل، ويعتبر بالنسبة لمحتوياته من المتاحف النموذجية والمتكاملة كماً ونوعاً، يحتوي على أكثر من 10000 قطعة تراثية قديمة ونادرة، ويتكون من مجموعة غرف هي المجلس، غرفة العروس، المطبخ، الليوان، مجلس نسائي، غرفة دراسية، غرفة أدوات الفلاحة، ودكاكين شعبية للصناعات الحرفية، ودكان يضم مستلزمات وحاجيات الإنسان قديماً.

متحف عبد اللطيف النعيم

أسس عبداللطيف بن عبدالرحمن النعيم، متحفه التراثي الثقافي عام 1419هـ، وضم المؤلفات التراثية القديمة المهتمة بتاريخ المملكة، ويعد فكرة وطنية ثقافية تهتم بالتاريخ والثقافة والتراث.

وقد وجد المتحف دعماً من عدد من المؤسسات والجهات الوطنية منها دارة الملك عبدالعزيز، المتاحف والآثار بالمملكة، مكتبة الملك عبدالعزيز، مكتبة الملك فهد، جريدة الجزيرة، مؤسسة النقد السعودي، مركز البابطين للتراث والثقافة، بالإضافة للزيارات الطلابية للمتحف.

أبرز المواقع الأثرية بالأحساء

وإلى جانب المتاحف تزخر الأحساء بالعديد من المواقع الأثرية والسياحية، التي جعلت منها مزاراً جاذباً للسياح، ومن أهم المواقع القلاع والحصون التاريخية التي تشكل جزءاً مهماً من الخلفية التاريخية للأحساء، مؤكدة حضورها المهم في تاريخ الجزيرة العربية، وقد حظيت هذه القصور والقلاع بحملات ترميم ورعاية مستمرة من الجهات المعنية، مما يعد إضافة نوعية قيمه للمقدرات السياحية في الأحساء. ومن أهم هذه القلاع:

قصر إبراهيم

يقع قصر إبراهيم في حي الكوت بالهفوف، وهو بمثابة المقر الإداري الرئيسي للحكم قديماً، كما شرف بإعلان دخول الملك عبدالعزيز للأحساء عام 1331هـ. تنسب تسميته إلى إبراهيم بن عفيصان أمير الأحساء، ويعرف القصر بأسماء عديدة منها قصر القبة أو قصر الكوت.

تقدر مساحته بـ18200م2 من الخارج و10،000 من الداخل، يرجع إلى عهد الجبريين، ويضم منشآت عسكرية، وحماماً كبيراً، ومسجداً ذا قباب ومئذنة مدببة، ونمطه المعماري نمط إسلامي عثماني، وقد أجريت عمليات ترميم






للقصر للمحافظة على طرازه المعماري، ولاستخدامه مقراً للمهرجانات السياحية، والمعارض التراثية.

قصر خزام

بني عام 1207-1210هـ بحي النعاثل في الهفوف، حمايةً لمخيمات البادية الموسمية، ومقراً لاجتماع زعماء القبائل لحل مشاكلهم القبلية، وهو عبارة عن قلعة حربية مستطيلة، ومساحته تتجاوز 5000م، وبه مسجد صغير، ودورات مياه للجند، وغرف، وترجع أهميته لكونه أول الحصون التي سقطت في يد الملك عبدالعزيز.

قصر صاهود

بني ما بين 1790-1800م في مدينة المبرز بعهد بني خالد، على شكل هضبة مرتفعة مستطيلة، يحيط به جدار دفاعي منخفض، يوجد بداخله مسجد واسع ومحراب ومنبر، وكان يستخدم كدفاع عن المدينة وعن الأراضي الزراعية حولها، وكمراقب لمخيمات البدو الموسميين، ويعود اسمه إلى مدفع كان منصوباً داخل القصر يطلق عليه صاهود، وتعود أهميته لموقعه الخارج عن العاصمة وإمكانية صد أي هجوم، وقد اكتشفت هيئة الآثار بمحافظة الأحساء قطعاً من قاذفات حربية قديمة ومدفع قديم وقطع أثرية يعود تاريخها إلى مئات السنين.

قصر محيرس

بني عام 1208هـ على تلة مرتفعة بالمبرز، وهو عبارة عن قلعة حربية للمراقبة، وقد بدأت الأمانة والهيئة العامة للسياحة والآثار مشروع تطويره، لاستثماره وتوظيفه كموقع سياحي وترفيهي، وسيتم إعادة تأهيل وترميم قصر محيرس بنفس المواد الأصلية المستخدمة، بالإضافة إلى المرافق العامة والمباني الاستثمارية.

قلعة أجود بن زامل

يقع قصر أجود بن زامل الجبري في المنيزلة مقر حكم الجبريين، ولم يتبق منه سوى أجزاء بسيطة باقية، وهو محطة استراحة للقوافل القادمة والمغادرة من وإلى شاطئ العقير خلال القرون الماضية، وتبين للمختصين في الآثار





بأن كمية الفخار المستخدمة في بنائه أكثر من أي كمية في أي موقع تراثي آخر بالأحساء.

ويوجد على بعد كيلو متر واحد من القصر برج تابع له يسمى (برج الوجاج)، يُعتقد أنه كان يستخدم لمراقبة وحراسة القصر من الغارات والهجمات الحربية.

مسجد جواثا التاريخي

هو ثاني مسجد أقيمت فيه صلاة الجمعة في الإسلام بعد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، بناه بنو عبدالقيس بعد وفادتهم الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة للهجرة. تشير المصادر التاريخية إلى أن المسجد أعيد بناؤه وترميمه أكثر من مرة، انتهت بعملية الترميم الأخيرة في العصر الحالي.

منزل البيعة

بني وسط حي الكوت بالهفوف عام1203هـ، صاحبه الشيخ عبد اللطيف الملا، تقدر مساحته بحوالي (705م)، شهد بيعة أهالي الأحساء للملك عبدالعزيز في العام 1331هـ.

القيصرية

يعد سوق القيصرية من أقدم وأعرق الأسواق التراثية والشعبية في منطقة الخليج، وهو من أكبر الدلالات على مكانة الأحساء التجارية، بوصفها حلقة الوصل بين ساحل الخليج والمدن الداخلية من خلال منفذ ميناء العقير. بني ما بين عامي 1918-1923م، ويحتوي على 300 محل تجاري تعرض فيه أصناف البضائع التقليدية الشعبية الأحسائية مثل صناعة المشالح، والعبايات، والأواني، والمنتجات الزراعية والجلدية والأعشاب والعطارة.

وفي شعبان 1422هـ تعرضت القيصرية لحريق أحرق السوق برمته، ولكن أعيد بناؤه بمواد بيئية تقليدية على نفس نمطه المعماري القديم.

المدرسة الأميرية (مدرسة الأحساء الأولى)

بنيت في الهفوف عام 1360هـ، بالقرب من أسواق الأحساء الشهيرة مثل سوق التمر، والصيرفة، والقيصرية، وقد درست في تلك المدرسة كوكبة من أهم الشخصيات.



الشخصية الأحسائية في السرد

ناصر الجاسم: العيون

لم يعِ القاص أو الروائي الأحسائي الأول كيف تكون عليه الشخصية الإنسانية في نصه السردي، سواء كان نصاً قصيراً أو نصاً طويلاً، سواء كانت الرواية القصيرة أو الرواية الطويلة، رغم أنه لم يوجد في تلك الفترة من يستطيع أو من يحمل عبقرية الروائيين الكبار الذين عرفهم تاريخ الأدب بكتابة الرواية الطويلة. كان وعي القاص الأحسائي والروائي بمعنى الشخصية الإنسانية وعياً بسيطاً محدوداً، لا يتجاوز الوعي بالبطل كما هو عليه في كتب التعليم العام، أو في كتب قصص الأطفال أو قصص المغامرات، هذا الفهم المحدود لطبيعة ما هي عليه الشخصية أدى بالنتاجات الأولى أن تكون بسيطة في تناولها للإنسان الأحسائي، فلم تكن حركته في داخل المتن السردي حركة ذات بعد وجودي أو حركة ذات تأزم نسبي كبير أو فيها انغماس لما هي عليه الشخصية الإنسانية المعقدة أو المركبة بتناقضاتها وصراعها الداخلي، من حيث الخير والشر. وقد ظل هذا الفهم مسيطراً على الكاتب الأحسائي زمناً طويلاً. ولطبيعة النتاج الذي يصل إليه النتاج العالمي أو المطروح في سوقه المحلي؛ لم يستطع الفرد في الأحساء أن يتجاوز هذا النمط البسيط والعفوي، إذ ظل يدور في الفلك ذاته دون حدوث أي تطور نوعي يلمسه الناقد، ولكن مع بداية الثمانينات وتحديداً في أواخر التسعينات ظهرت في الأحساء الكتابات الروائية، سواء كانت قصة أو رواية، بتطور نوعي واضح، يستطيع أن يتلمسه الناقد في معنى الشخصية الإنسانية التي يفترض أن ترحل من فكر الكاتب ومخيلته إلى النصوص، وقد يلمس النقاد هذا الشي أو هذا التغير النوعي في كتابات عدد من الروائيين الجدد أو الروائيين الذين دخلوا ساحة السرد الكتابي، دخلوا وهم قد تدرعوا وتسلحوا بخلفية قارئية نظرية في الجامعات، بعضهم تخصص في الأدب وبعضهم تلقى علوماً في الدراسات العليا، وبعضهم تتلمذ عن طريق اطلاعه على نتاج الحاصلين على نوبل وعلى الأدباء العرب الذين كتبوا بالعربية مباشرة أو عن طريق وسيط، أو كتبوا بالعربية بعد أن كتبوا بلغاتهم التي تعلموها في الغرب كاللغة الفرنسية أو اللاتينية، مما أتاح التلاقح الحضاري أو الثقافي مع الكتاب الأوروبيين والأمريكيين بلغاتهم الأصلية، ومن ثم التعرف على نمط الشخصية الإنسانية تعرفاً كاملاً وواضحاً، آنذاك توافر لهم - أي الكتاب الأحسائيين المتخصصين في السرد - أن يكتبوا أو يقدموا الشخصية الإنسانية بصبغة عالمية، فترى



في أعمالهم كل أنماط وأنواع الشخصيات الإنسانية، إما أن تكون أسماً بذاته معروفاً أو تكون بحسب ضمير من الضمائر السردية المعروفة تاء المتكلم أو ضمير الغائب أو الجماد أو الحيوان، فأصبح الوعي يكبر إلى حد تجاوز الشخصية نفسها، فأصبحت تجد شخصية البطل الرئيسة تتشابك مع الحدث واللغة مع باقي الشخصيات، وتجد الشخصية الأنموذج التي تقوم بفعل متكرر طوال زمن الرواية، أيضاً تجد الشخصيات الهامشية، وبما أن الأحساء مكان ثري وخصب ومعطاء فتجد الشخصيات التي يمكن أن تحتل قاع المجتمع كالشخصيات البسيطة الطيبة، وتجد شخصيات الحرفيين من بائع الرطب والنبات ومربي الحمام، وتجد الشخصيات العلمية التي تعلمت تعلماً حديثاً كالمدرس والمدير وغير ذلك مما هو موجود في حياة الناس ويرونه ويشاهدونه. الكاتب والكاتبة الأحسائية شديدو الالتقاط وشديدو الأخذ والدقة في رسم الشخصيات المتاحة لهم من معطيات بيئتهم الخصبة. ويبرز هنا في هذا المجال روائيان اثنان من الأحساء، وقد اخترت الرواية لأن الشخصية تبرز فيها بكثافة تفوق حضورها في القصة القصيرة، يبرز حسن الشيخ وفهد المصبح في عملين اثنين لهما: حسن الشيخ في رواية (الفوارس)، وفهد المصبح في رواية (الأوصياء). فكانت الروايتان كلتاهما غنيتين بشخصيات إنسانية تستطيع أن تأخذ سمة الخلود في ذاكرة المتلقي لتميزهما وطرافة بعضها. وفي القصة القصيرة يبرز ثلاثة من كتاب الأحساء في عرض أنماط من الشخصية الإنسانية المنوطة بصبغة إنسانية أحسائية، والقصاص الثلاثة يكادون يكونون أبناء جيل سردي واحد، وهم القاص طاهر الزارعي والقاص محمد البشير والقاص أحمد العليو. فالقصاص ثلاثتهم التقطوا شخصيات ذات سلوك إنساني محدد، لكن نجد محمد البشير ينحو منحى إنسانياً عالمياً، إذ أنه يركز على قضايا العرق واللون، ونجد هذا التركيز له في قصة عنوانها (سوداء كقمر) ونذكر بطلتها (نفلة). أما القاص طاهر الزارعي فقد انتهج نهجاً محدداً، وهو تقديم الشخصيات الأحسائية التي تختلف خلف مظهرها الاجتماعي أو خلف قيود المكان، من حيث تأثير العيب والسلطة الاجتماعية، وقدم الشخصيات التي تمارس انحرافها أو شذوذها الجنسي خفية أو خارج حدود المكان في المنفى الاختياري أو السياحي، وذلك في مجموعته (زبد وأقفال معلقة). أما القاص أحمد العليو فقد قدم الشخصية الإنسانية التي تحاكي إلى حد كبير الشخصية التي تعيش على أرض الواقع الأحسائي، الشخصية المسالمة النائية بنفسها عن حب النزاع أو العدوان أو الميل للإيذاء، والشخصية التي تعكس نسبة كبيرة من عدد الكادحين والمطحونين في المجتمع الأحسائي. وقدم الشخصيات التي تبحث عن الغنى والرفاهية، أي قدم الشخصيات الفقيرة، وقدم كذلك الشخصية الوسواسية القهرية التي لا تحب العنف ولا تتمنى أن تصل إليه وتخشى الاحتكاك بالآخرين والغرباء تحديداً، كما هو واقع سكان الأحساء. هذه الشخصيات المسالمة والحذرة لأحمد العليو تجدها مبثوثة بكثرة في مجموعاته القصصية.

وقدم هاني الحجي، قصصاً نوعية للمثقف الأحسائي أو أكثر تحديداً للشخصية الأحسائية المثقفة أو الشخصية الأحسائية المتدينة.

هذه عينة لكتاب من الأحساء، كتاب سرد اهتموا وأبدعوا وحرصوا في إبداعهم السردي على إظهار الشخصية الأحسائية بكل أطيافها وبكل غناها وتنوعها. ولا يعني الحديث في هذا الموضوع أنه نهائي، فهو بداية لحديث أكبر وشامل لمن اهتم بالنمط الأحسائي في كتاباته.

مكتبات الأسر الأحسائية

أحمد البدر: الأحساء

تعد مكتبة الأسر من أبرز المؤشرات الدالة على المستوى العلمي والثقافي للأسر المتملكة لها، وقلما تجد أسراً برز بها عدد من رجال العلم والأدب تخلو من المكتبات الأسرية أو الشخصية. وتعد الأحساء من أبرز الأماكن التي خرّجت أسراً علمية كان لعلمائها وأدبائها دور ونشاط علمي بارز، سواء داخل الأحساء أو خارجها.

مكتبات العلماء والأدباء

نكاد نجزم أن لكل عالم أو أديب مكتبة خاصة به، وتتفاوت حجم هذه المكتبات الشخصية بين شخص وآخر، ويرجع ذلك لعدة ظروف منها: المكانة العلمية أو الثقافية لصاحب المكتبة، وحب صاحب المكتبة لاقتناء الكتب، والوضع المادي لصاحب المكتبة.

ولا يسعنا هنا ذكر جميع أو جل من يملك مكتبة شخصية بالأحساء، وإنما نذكر هنا - على سبيل المثال لا الحصر - بعض رجال العلم والأدب من أعلام الأحساء الماضين الذين تكونت لديهم مكتبات خاصة:

السيد إبراهيم السبعي القاري، وهو من أهل القرن الحادي عشر. الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن آل طوق، وهو من أهل أوائل القرن الرابع عشر. الشيخ أحمد بن حمد العمير، المتوفى سنة 1387هـ. الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، المتوفى سنة 1241هـ. الشيخ أحمد بن عبدالعزيز القحطاني، المتوفى سنة 1396هـ. الشيخ أحمد بن محمد المحسني، المتوفى سنة 1247هـ. الشيخ حسن البوخضر، المتوفى بعد سنة 1286هـ. الأديب حسين بن عبدالله بومسفر، وهو من أهل القرن الرابع عشر. الشيخ داود بن سلمان الكعبي، المتوفى سنة 1392هـ. الشيخ سلمان بن علي الثواب، المتوفى سنة 1396هـ. الشيخ صالح بن محمد السعد، المتوفى سنة 1370هـ. الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الوهيبي، المتوفى بعد سنة 1304هـ. الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك، المتوفى سنة 1394هـ. الدكتور عبدالهادي الفضلي، المتوفى سنة 1434هـ. الشيخ عيسى بن عبدالله الشواف، المتوفى سنة 1338هـ. الشيخ عيسى بن عبدالله العكاس، المتوفى سنة 1338هـ. الشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر، المتوفى سنة 1391هـ. الشيخ محمد بن عبدالله آل فيروز، المتوفى سنة 1216هـ. الشيخ محمد بن عبدالمحسن الغريب، المتوفى بعد سنة 1273هـ. الشيخ محمد بن علي آل أبي جمهور، المتوفى بعد سنة 909هـ. الشيخ محمد بن نصر الله آل مربط، وهو من أهل القرن الثاني عشر. السيد ناصر بن هاشم السلمان، المتوفى سنة 1358هـ. الشيخ يوسف بن راشد آل الشيخ مبارك، المتوفى سنة 1416هـ.

والآن نأتي إلى ذكر الأسر الأحسائية التي تملكت مكتبات، ولا يعني هذا أنه فقط هذه الأسر هي التي تملكت مكتبات خاصة، وإنما نذكر هنا أسماء الأسر التي تمكنا من الحصول عليها:

- مكتبة آل أبي جمهور:

هذه الأسرة كانت تسكن قرية التيمية الملاصقة لجبل القارة، وقد برزت في أواخر القرن الثامن والقرنين التاسع والعاشر للهجرة، وأقدم علماء هذه الأسرة المعروفين هو الشيخ حسن بن إبراهيم بن حسن آل أبي جمهور، ويبدو أن نواة هذه المكتبة ابتدأت على يديه، ولا نعلم عن مصير هذه المكتبة شيء بعد ذلك سوى ما ذكره صاحب كتاب (قصص العلماء) من أن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

المتوفى بعد سنة 1241هـ أصبحت تحت يده مكتبة ابن أبي جمهور الأحسائي.

- مكتبة البغلي:

كانت هذه المكتبة تقع بمدينة الهفوف، وأكثر كتبها مخطوطة، وقد أصبحت تحت إشراف علماء الأسرة، وآخر عالم من أسرة البغلي من الذين أشرفوا على هذه المكتبة الشيخ حسن بن محمد البغلي المتوفى سنة 1383هـ، وبعد وفاته تفرقت محتويات المكتبة.

- مكتبة الجبران:

مؤسس هذه المكتبة هو الشيخ محمد بن أحمد الجبران، المتوفى سنة 1304هـ. وكانت هذه المكتبة تحوي الكثير من الكتب المطبوعة ومن المخطوطات النفيسة، وبعد وفاة الشيخ محمد سنة 1394هـ ضعف الاهتمام بالمكتبة فتفرقت محتوياتها لدى أبناء الأسرة.

- مكتبة الحسيني:

كانت هذه الأسرة تسكن قرية القارة بالأحساء، وبرز منها عدد من العلماء، وقد أوقف السيد علي بن إبراهيم بن أحمد الحسيني المتوفى بعد سنة 1164هـ هذه المكتبة على طلبة العلم من أهل قرية القارة حسب ماجاء في وصيته.

- مكتبة آل حميدان (آل مبارك):

أسرة الحميدان كانت تسكن بلدة الجفر بالأحساء، وأقدم علماء هذه الأسرة هو الشيخ عبدالله بن ناصر الحميدان، وهو من أعلام أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، ويبدو أنه هو أول من انتقل من أفراد هذه الأسرة إلى القطيف، وكان لديه اهتمام بالكتب حيث أنه نسخ الكثير منها، كما يبدو أنه هو مؤسس مكتبة الأسرة، وكانت وفاته سنة 1124هـ.

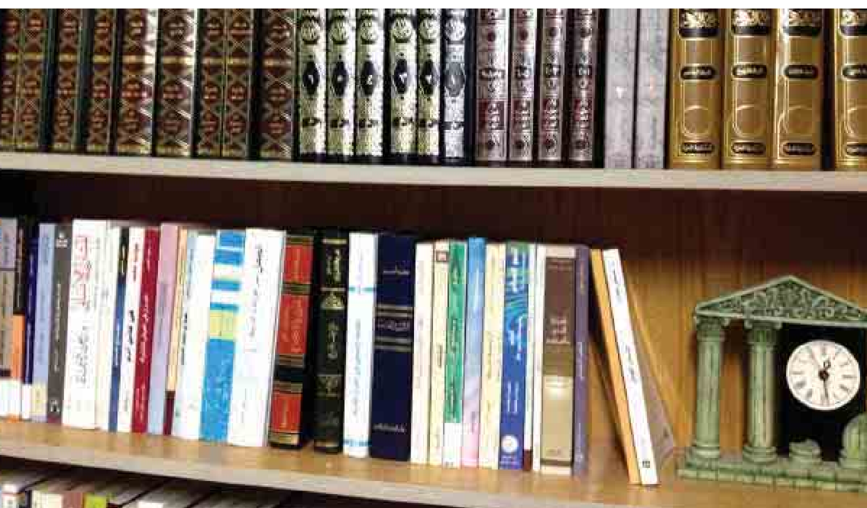
- مكتبة آل السيد خليفة:

كان بداية تأسيس هذه المكتبة على يد السيد خليفة بن علي الموسوي الأحسائي في أوائل القرن الثالث عشر، وكانت فيما يبدو صغيرة الحجم كون السيد خليفة لا يزال في ريعان شبابه، وعندما انتقل إلى العراق نقل معه المكتبة وبدأ بتوسعتها حيث أنه قام بنسخ الكثير من الكتب بنفسه، وأيضاً قام بشراء كتب كثيرة عبر عمره الطويل الذي قارب المئة عام، حتى أصبحت مكتبة آل السيد خليفة من أشهر المكتبات في عصرها، وكانت تحوي الكثير من المخطوطات، وفي سنة 1371هـ قام السيد عبدالله بن محمد علي الخليفة سنة 1371هـ ببيع المكتبة في المزاد العلني وتفرقت محتوياتها بين أيدي الناس.

- مكتبة آل زين الدين:

تكونت النواة الأولى لهذه المكتبة بقرية المطيرفي في شمال الأحساء على أيدي علماء الأسرة الأوائل، وأقدم من





عرفناه من أعلام هذه الأسرة هو الشيخ داغر بن رمضان الأحسائي، وهو من أعلام القرن الحادي عشر، إلى أن قل الاهتمام بها وتفرقت محتوياتها كحال بقية المكتبات.

- مكتبة آل الشيخ مبارك:

ذكر الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك أن جد الأسرة الشيخ مبارك المتوفى سنة 1230هـ -وهو من أهل مدينة الهفوف- عندما توفي وزعت كتبه على أولاده الستة بالتساوي، وكذلك تم توزيع كتب الشيخ عبداللطيف بن الشيخ مبارك بعد وفاته على أولاده، ومن هنا نستنتج أن الشيخ مبارك هو مؤسس مكتبة هذه الأسرة والتي تقسمت فيما بعد إلى عدة مكتبات كل مكتبة تخص عالم من علماء الأسرة.

- مكتبة الصحاف:

كانت هذه المكتبة تقع بمدينة الهفوف، حيث أنها تأسست بشكل بسيط عن طريق علماء الأسرة السابقين.



مدينة الشعر والشعراء

د. خالد قاسم الجريان: الأحساء

تعد الأحساء إحدى محافظات الشعر والأدب في مملكتنا الغالية، وعلى مدى قرون وعصور ظلت الأحساء رائدة في هذين البابين العزيزين، والسبب يعود إلى ما تنعم به هذه المحافظة من أسباب العيش والرخاء ومن الأمن والأمان والاستقرار.

ويعود تاريخ الشعر في هذه المحافظة إلى عصر ما قبل الإسلام حيث برز الشاعر الشاب طرفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة، وخاله الملتمس، مروراً بالعصر العباسي حيث برز الشاعر علي بن المقرب العيوني.

وفي العصر الحديث ظهر عددٌ من الشعراء العلماء ذكرهم صاحب كتاب شعراء هجر في القرن الرابع عشر الهجري من أمثال الشاعر الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك، والشاعر عبدالله بن علي العبدالقادر، والشاعر عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك والشاعر الشيخ عبدالعزيز العلجي وغيرهم كثير، والسبب في كثرة الشعراء في هذه الفترة يعود إلى كثرة الأسر العلمية، ودور المدارس العلمية المنتشرة في أرجاء الأحساء، واختلاط الشعراء بغيرهم من أندادهم في البلاد العربية، واطلاعهم على ما ينشر هناك، وكثرة المنتديات الأدبية.

ثم جاء من بعدهم عددٌ من الشعراء أمثال الشيخ عبدالرحمن بن أبي بكر الملا، والشاعر الشيخ محمد بن عبدالله العبدالقادر، والشاعر الشيخ الأديب أحمد بن علي آل مبارك، والشاعر الشيخ محمد العمر الملحم، والشاعر الكبير الدكتور غازي القصيبي، والشاعر المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن عثمان الملا، والشاعر الملقب ببحتري الأحساء الأستاذ يوسف أبو سعد، والشاعر الفيلسوف الدكتور راشد المبارك، والشاعر الشيخ عبدالله الرومي، والشاعر الشيخ عبدالمحسن البنيان، والشاعر سعد البراهيم والشاعر محمد الصويغ وغيرهم.

وظلَّ الشعر يتوهج في هذه المدينة الحالمة الوادعة شرق الجزيرة حتى برز عددٌ من الشعراء الذين تبوأوا مكانة شعرية على خارطة الوطن العربي من أمثال الدكتور خالد بن سعود الحليبي، والشاعر جاسم الصحيح الذي احتفى به مهرجان الجنادرية في أحد مواسمه، والشاعر الأديب مبارك أبو بشيت، والشاعر خليل الفزيع، والشاعر الدكتور محمد الدوغان، والشاعر الدكتور محمود الحليبي، والشاعر ناجي الحرز، والشاعر الأديب محمد الجلواح، والشاعر الأستاذ جاسم المحيبس، والشاعر الأستاذ سعد الدريبي، والشاعر الأستاذ موسى الشخص، والشاعر الأستاذ عبدالله العويد.

ثم تلاهم جيل من الشعراء الشباب الذين برزوا بشكل



كبيـر فـي المحافل الأدبيـة الخليجيـة والعربيـة مـن أمثال الشـاعر الأسـتاذ أحمـد العميـر، والأسـتاذ الشـاعر ناجـي حرابـه الـذي حصـل علـى جائـزة سـوق عـكاظ فـي نسـخته الثالثة، والشـاعر جاسـم عسـاكر، والأستاذ الشـاعر عبدالله الخضيـر الذي فاز ديوانه بجائزة الشـاعر حسـن قرشي في مصـر، والشاعر الأديب صـلاح بن هندي، والشاعر الدكتور عبدالـرؤوف العبداللطيـف، والأسـتاذ الشـاعر محمـد بـن إبراهيـم الملحم، والأسـتاذ الشـاعر محمد العلي، والأسـتاذ الشـاعر حسـن الربيـح الذي فـاز ديوانه بجائـزة الطفل في دولة قطر الشقيقة، والأستاذ الشاعر حيدر العبدالله الفائز بجائـزة أمير الشـعراء في دولـة الإمـارات العربية المتحدة الشقيقة، والشـاعر الدكتور هاني الملحم، والشاعر الأستاذ سـعد العتيـق، والشـاعر إبراهيم البوشـفيع، والشـاعر عادل المحيش، والأسـتاذ الشاعر ناصـر الثنيان، والأستاذ الشاعر ياسـر الشـجار، والأسـتاذ الشـاعر وليد الفضلـي، والأسـتاذ الشاعر عبدالمجيد الموسوي وغيرهم كثير.

ثم تلاهم جيل من الشعراء الناشئين يحذون حذو الكبار في شـعرهم أمثال الشـاعر عبدالله الملا، والشـاعر سـفيان الدوغان، والشاعر جابر الجميعة، والشاعر عبدالله العطية، والشـاعر الشـاب أنس بن عبدالله الخضيـر الفائز بالمركز الثاني – جائزة وزارة التعليم بمكة المكرمة لهذا العام.

وكان للتكريـم دور فـي ازدهـار الحركـة الشـعرية فـي الأحساء، فقد دأبت المجالس الأدبية على استضافة الشعراء والاحتفاء بهم، كذلك قام نادي الأحسـاء الأدبي منذ نشـأته علـى تكريـم الشـعراء وطباعة دواوينهـم الأمر الذي شـجع الشعراء على الإكثار من الشعر.

كذلك برز في الأحسـاء عددٌ من الشـاعرات اللاتي تألقنَ فـي سـماء الشـعر أمثـال الشـاعرة الأسـتاذة بهية بوسـبيت، والشاعرة الأستاذة تهاني الصبيح، والأستاذة الشاعرة ينابيع السـبيعي، والأسـتاذة الشـاعرة اعتدال الذكر الله، والأستاذة الشاعرة ليلى العصفور، والأستاذة الشاعرة سوزان اليوسـف، والأسـتاذة الشـاعرة هاجـر الجغيمـان، والأسـتاذة الشـاعرة مريـم الفـلاح، والأسـتاذة الشـاعرة خلـود الـواو، والأسـتاذة الشاعرة حوراء الهميلي وغيرهنَّ كثير.

ويعود الفضـل بعد فضل الله في ازدهار الحركة الشـعرية فـي الأحسـاء إلـى ما توليه حكومتنا الرشـيدة بقيادة مولاي خـادم الحرميـن الشـريفين الملـك سـلمان بـن عبدالعزيز حفظـه الله وولـي عهـده الأميـن وولي ولي عهـده حفظهما الله من دعم للشعراء واحتفاء بهم وتكريمهم وإعلاء شأنهم، ودعوتهم لتمثيل المملكة في المحافل الخليجية والعربية والدولية.

الفنون الحساوية
في المدينة الإبداعية

د. سمير الضامر: الأحساء

المدن الإبداعية هي المدن التي تضج بالإنسانية؛ بمعنى أن قيمة الإنسان هي القيمة الأولى في إنتاج الإبداع، فلولا وجود الإنسان/المفكر/المبتكر لما وُجد الإبداع. والثقافة الإبداعية في الأحساء قديمة بل موغلة في القدم، وكان إنسانها البدائي واعياً بفطرته في أن يؤسس ويصنع الحرف والفنون المرتبطة بحياة الشعب، لأنها ليست ترفاً، بل هي من صميم الحياة الاجتماعية المعيشية والترفيهية في تلك الأزمنة، أضف إلى أن «الأيديولوجيا» بمفهومها المعاصر لم تكن موجودة في تلك الأزمنة، بل كانت فكرة القَرَابات والمجموعات هي المشكل للهوية الثقافية والشعبية، وهي منطلقة من منطلقات التفكير الإنساني، وحاجاته الوظيفية والنفعية، ولذلك فقد كانت المهن والأعمال المرتبطة بالزراعة وبالبحر ذات ارتباط بفنون تخصها، ومنها كانت الانطلاقة الأولى للفنون الشعبية، فهي فنون جماعية ابتكرها رواد البحر الأوائل كفنون (الفجري الحساوي)، وكفنون (الصَّدر) كما ابتكرها الفلاحون في وقت زراعة النخيل والمزارع، وكفنون (الخماري) و(أهازيج الأطفال) كما ابتكرتها الأمهات والمغنيات القديمات/ضاربات الدفوف وهن نسوة الأفراح والمناسبات الاجتماعية المختلفة.

وليس هذا فحسب، بل إن فكرة الطقوس الاجتماعية والدينية كانت من أهم المُشكِّلات الثقافية والفنية للمُنتج الشعبي في الفنون والحرف، وكذلك الرحلات والهجرات المختلفة من وإلى الأحساء قد عززت التلاقح الثقافي بين شعوب المنطقة؛ العربية والهندية والفارسية والأفريقية، وهذه الرحلات المختلفة وإن كان لها دور المثاقفة في اللهجات والعادات والتقاليد وإنتاج الفنون والحرف والتراث العمراني، إلا الأحساء احتفظت بشخصية خاصة بها، والدليل على ذلك إضافة كلمة «الحساوي» لأشياء كثيرة في الحياة سواءً كانت فنوناً أو حرفاً. والمشكلة البحثية هي أن خاصية «المنتج الحساوي» لم تحظَ بالتوثيق بالصورة العلمية التي دأب عليها باحثون ومؤلفون من باحثي العالم المختلفين، بل إن ما كتبه الرحالة القدماء عن فنون الأحساء وحرفها الشعبية ليس بالكم الذي يشبع النهم! ولذلك فإن أبناء البلد تأخروا كثيراً في مشروع التوثيق الاجتماعي والفلكلوري، ما أفقد البلد مكانتها الحقيقية التي تستحقها.

إن «المؤسسة الشعبية» التي سبقت تشكل الدولة الحديثة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وهي التي تعود لأكثر من مئتين أو ثلاثمئة سنة مضت، كان لها تأثيراتها الخاصة، حيث كان الناس في تلك المرحلة يسيرون في نظام الجماعة والفكر الشعبي الذي أنتج عدداً من الفنون والأغاني، وغالبها فنون جماعية توارثوا أشعارها وإيقاعاتها وحافظوا على نظامها، دون أن تُنسب هذه الفنون والأغاني لفرد بذاته، وكان كل فرد من أفراد هذه المنظومة الشعبية حافظاً وحارساً لهذه الأغاني المُمثلة لفكر الجماعة اجتماعياً وإنسانياً، وفي ظني لو لم تأتنا تقنية التسجيل على الأسطوانات لظلت الفنون الحساوية والخليجية فنوناً جماعية، لكن التسجيل في الأسطوانات هو الذي أسس وعزز لمشروع المطرب الفرد، الذي تأسس على فنون شعبية جماعية قديمة كالعرضة والهيدا والفجري والخماري









والليـوة والطنبورة وغيرهـا، وهذا الملمح هـو أنثربولوجيا خاصـة بالفنـون الشـعبية القديمـة التي كانت تتأسـس على بنية ثقافية شـفاهية متغلغلة في الوجدان والشـعور، مع ما يوجـد فيهـا من بقايا أسـاطير وعبـادات قديمة ضـمنت لها البقاء.

إن تجربتي البحثية الميدانية في جمع كتاب «البشتخته» في الفنون الحساوية القديمة تدل على أن الأحساء القديمة كانت موقعاً إبداعياً لا يُستهان به في إنتاج الفنون والحرف، ولذلـك فقـد اسـتحقت الأحسـاء أن تكون من ضـمن المدن الإبداعيـة حـول العالم في اليونسـكو، والذي يجدر بشـباب اليـوم -من الباحثين والمبدعين- التفكيـر والعمل به أن لا يقفوا عند حد التغني بالماضـي فقط، بل من الضـروري أن يستلهموا الفنون القديمة ويعيدوها مطورة بأساليب وآلات القرن الجديد، وخصوصـاً الممارسين للفنون والموسيقى، كتوظيف الألحان والإيقاعات وغيرهما.

الإنسان الحسـاوي القديم قدم ثقافته ومنتجه الإبداعي بناءً على تصـوراته الفطرية البسـيطة نحـو الحياة والكون والإنسان، ولذلك فعلى الإنسان المعاصر المتسلح بالتعليم والتكنولوجيـا المعاصـرة أن يمـد يـده لذلـك الماضـي ويتجاوزه بإبداعية جديدة مناسبة لتغيرات العصر، وبصورة مدهشة في الأصالة والتطريب وروح الإنسان.

المثقفات الأحسائيات مسيرة عطاء



رباب النمر: الأحساء

مع انسكاب الينابيع من المصاب الطبيعية في الأحساء؛ يتدفق حبر الإبداع رقراقاً. ومع ميلاد كل نخلة من نوى البلحات المباركات؛ يولد أديب يحرث تربة أرضه بيد، ويكتب حرفاً باليد الأخرى، يمسك مسحاة وممحاة، يحتضن غصناً وقلماً ليكتب قصة الأحساء التي بزغت منذ فجر التاريخ. فلا غرو أن تزخر الأحساء بالعلم والفكر والأدب، وأن ينبغ فيها العلماء والشعراء والأدباء قبل الإسلام وبعده. ولم تزل قصة الإبداع في الأحساء متلاحقة الفصول، مستمرة الأحداث، ريانة السرد، ولا تزال تنجب أقماراً وكواكب، مما جعلها تتبوأ مكانة علمية مرموقة على مستوى الوطن العربي.

ومع كثرة الاستيطان البشري في الأحساء لموقعها الجغرافي الفريد؛ حظيت بالتواصل الثقافي مع غيرها من الحواضر الثقافية في المنطقة الخليجية والعربية على مر العصور، فولد الإبداع في نفوس أبنائها ذكوراً وإناثاً. وكان للمرأة حظ منذ قدم تاريخ المنطقة في العطاء الإبداعي. ففي العصر الجاهلي تواصلت هجر ثقافياً من خلال الأسواق التجارية المقامة على أرضها، مثل: سوق هجر، وسوق المشقر، وسوق الجرعاء. وفيها ذاع صيت الشاعرات الأحسائيات وانطلقت أصوات قوافيهن، مثل: الخرنق أخت طرفة بن العبد، وبنت حكيم العبدية. وفي العصر الإسلامي انتعشت الحياة الأدبية والفكرية في الأحساء لوجود عدد كبير من العلماء والشعراء والأدباء البارزين، ومنهم ابن أبي جمهور الأحسائي، وشرف الدين يحيى بن عز الدين البحراني. وبرزت بعض الأسر العلمية التي تركت إرثاً ثقافياً ودينياً حفظته الأجيال.

النهضة الأدبية في الأحساء

بدأت النهضة الأدبية المعاصرة بالأحساء في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، حيث سجلت الأحساء رقماً قياسياً في عدد أدبائها وجودة نتاجهم على مستوى جزيرة العرب. منهم الشيخ عبدالله بن علي آل عبدالقادر والشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك. ومنذ منتصف العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري بدأت المنطقة في الاتصال بحركات التجديد في الأدب بفضل عدة عوامل، منها سفر بعض الأدباء إلى البلدان المجاورة كالبحرين ودبي والعراق والكويت، مما أدى إلى الاتصال بالحواضر العربية الكبرى التي كانت تعج بحركات التجديد في فنون الأدب المختلفة عن طريق الصحف والمجلات الأدبية، ثم عن طريق الوافدين أو البعثات التعليمية. وبدأت تظهر المشاركات الصحفية للأحسائيين في الصحف المحلية والعربية. فلمعت أسماء بعض الأديبات، وأصدرن الدواوين الشعرية والمجموعات القصصية، ونشرن إنتاجهن ورقياً وإلكترونيا من خلال شبكات العالم الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي كالتويتر والفيس بوك، وانضممن إلى النوادي الأدبية كعضوات في رئاسة مجالس الأندية الأدبية، كما شاركت المبدعات الأحسائيات عبر الصحافة المحلية وتفاعلن مع قضايا المجتمع، وشاركن في المهرجانات المحلية والعربية.

من عام 1375 هـ حتى عام 1390 هـ

برزت على الساحة الأدبية في الأحساء من عام 1375 هـ حتى عام 1390 هـ أديبات، هن: بهية بوسبيت، وبشرى السنيني، ومريم الحسن، ومعصومة العبد رب الرضا، والعنود بونهية، وينابيع السبيعي.

أثرت بهية بوسبيت الساحة الأدبية بالكتابة والنشر عبر الصحف والمجلات المحلية، وفازت في عدد من المسابقات القصصية على مستوى الوطن، مثل: جائزة أبها الثقافية للقصة، ومسابقة نادي القصيم الأدبي للقصة، وشهادة تميز في القصة القصيرة من نادي جدة الأدبي. كما شاركت بوسبيت في العديد من المهرجانات على مستوى الوطن منها مهرجان الجنادرية، وملتقى جماعة حوار بنادي جدة الأدبي، ومشاركة شعرية في نادي الأحساء الأدبي بمناسبة اليوم الوطني. صدرت لها روايتان. (امرأة على فوهة بركان)، و(درة من الأحساء)، ومجموعات قصصية هي: (المصيدة) و(أحلام عذراء) و(مأساة نور وآخرين)، و(وتشاء الأقدار)، و(الليلة الأخيرة في الكويت)، و(شيطان العصر الحديث).

ولبشرى السنيني مشاركات منبرية عديدة، حيث أقيمت لها الأمسيات في عدد من مناطق المملكة وخارجها. ولها تجارب في الكتابة الصحافية. نشرت إنتاجها الأدبي عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وصدر لها ديوان شعر بعنوان (خيلاء العتمة) وروايتان، هما: (مغتربات الأفلاج)، و(كانوا يقتلون الفراشات).

وشاركت مريم الحسن في مهرجان القصة القصيرة جداً في المغرب العربي، وصدرت لها روايتان: (الضياع)

و(أشرقت الأيام)، وطبعت لها نصوص قصيرة جداً بعنوان: (آخر المطاف)، حيث تنوعت تجربتها الكتابية بين الرواية والقصة بأنواعها.

وأصدرت معصومة العبد رب الرضا مجموعتين قصصيتين بعنوان: (سمك بأحشائه) و(رماد).

وخاضت العنود بونهية تجربة الكتابة الصحافية خمسة أعوام. وصدرت لها رواية موسومة بـ(عناق الأوراق)، وكتاب يتضمن نصوصاً نثرية بعنوان (أحبك يا هذا).

وشاركت الشاعرة ينابيع السبيعي في الكثير من الفعاليات والمهرجانات بالأحساء والمنطقة الشرقية، ولها ديوان (أشجان الفؤاد) فصيح، و(خفايا الأمس) شعبي.

من عام 1390 هـ حتى عام 1400 هـ

ظهرت عدة أسماء نسوية على مسرح الساحة الأدبية في الأحساء، هن: زهرة الأربش، وشمس الحمد، ورباب النمر، وتهاني الصبيح، وبلقيس الملحم، وعبير الشاوي، ووفاء السعد، وندى النجار.

شاركت تهاني الصبيح بقصائد وطنية في أمسيات شعرية في كل من مسرح نادي الأحساء الأدبي، وسوق عكاظ، ومؤتمر الأدباء الرابع بالمدينة المنورة. ترجم لها في معجم شاعرات الأحساء، وكتاب شاعرات من السعودية لسارة الأزوري. صدرت لها رواية بعنوان (وجوه بلا هوية).

ونشرت رباب النمر الكثير من إنتاجها الأدبي بالصحف والمجلات المحلية الورقية، والعديد من المنتديات ومواقع التواصل الإلكترونية. صدر لها مجموعتان قصصيتان (اللوحة الأخيرة) و(هزيمة ألم) ودراسة بعنوان: (قصص الأطفال في نماذج من الأدب السعودي). وترجم لها في معجم شاعرات من السعودية لسارة الأزوري، وأنطولوجيا القصة القصيرة لخالد اليوسف.

وصدر لزهرة الأربش مجموعة قصصية بعنوان (إحداهن).

ومثلت شمس الحمد المملكة في أمسية قصصية بالمغرب، وصدرت لها مجموعتان قصصيتان (طقس ونيران)، و(المشي فوق رمال ساخنة)، كما فازت شمس بجائزة نادي تبوك الأدبي عن مجموعتها (طقس ونيران)، وفازت مجموعتها الثانية بجائزة أبها.

ونشرت بلقيس محمد الملحم العديد من إنتاجها الأدبي في الدوريات والصحف العربية. وترجمت بعض نصوصها إلى لغات أخرى. وقد تناول مجموعتها الشعرية بالدراسة بعض العراقيين. وحصلت على جائزة ناجي نعمان الدولية عن ديوان (رضي الله عن وطني) وجائزة البي بي سي عن القصة القصيرة، ووسام المرأة القاصة من مؤسسة المثقف العربي في أستراليا. وعينت سفيرة للثقافة في الخليج العربي عام 2012 م. صدرت لها: (أرملة زرياب – قصص قصيرة من العراق)، ورواية (حرائق الملك المشتهاة)، وديوانا شعر هما: (ما قال الماء للقصب)، و(سرير من الماء لجمر اليقظة). شاركت الملحم في مهرجان الجنادرية في العامين: 1432 / 1433 هـ، واستضيفت في أول أمسية للقصة القصيرة في جمعية الثقافة والفنون بالأحساء.

وعبير محمد الشاوي عملت في حقل أدب الطفل، فصدرت لها ثلاث قصص أطفال، هي: (رحلة قمور) و(الفلاح والعقرب) و(نحن نستطيع). وصدرت لها مجموعة قصصية بعنوان (خيوط).

وخاضت وفاء السعد المجال الإعلامي، فجمعت بين الصحافة والكتابة الأدبية، تعمل حالياً صحافية بجريدة الحياة. صدر لها كتاب للقصص والخواطر هو: (جسور متقطعة).

وصدر لندى النجار رواية بعنوان: (لماذا تغيب؟).

من عام 1400 حتى الآن

ومن العام 1400 هـ، حتى الوقت الراهن برزت الأسماء التالية: فاطمة الناصر، وأمينة الحسن، وفاطمة السلامين، وأمل المطير، وآلاء اليحيى، وسوزان اليوسف.

أصدرت آلاء اليحيى مجموعة قصصية بعنوان (دفتر تحت المجهر).

ونشرت أمل المطير إنتاجها الأدبي في عدة صحف إلكترونية، ومطبوعة لها روايتان هما (الرقص على الجراح) و(ليلة العمر الحزين نهاية المطاف حينما تسخن الثلوج).

وكتبت أمينة الحسن القصة القصيرة والنصوص المسرحية، كما نشرت الكثير من إنتاجها الكتابي في المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت. صدرت لها مجموعة قصصية (سرير يتسع).

وصدر لفاطمة الناصر مجموعة قصصية بعنوان: (أشباح الشيخوخة).

وكتبت فاطمة السلامين القصص والروايات، وصدر لها مجموعتان قصصيتان، هما (نافذة الأمل) و(همس الحياة).

واهتمت سوزان اليوسف بأدب الطفل ولها عدة مشاركات محلية وإقليمية، صدر لها ديوان شعر (يا ساكني) و(أغنيات الياسمين).

الألعاب الشعبية
في الأحساء قديماً

أحمد عبدالهادي صالح: الهفوف

ظاهرة المرح أو اللعب بشكل عام عند الإنسان عامة سواء الطفل أو البالغ، ذكراً كان أو أنثى، تستحق الوقوف عندها وتدوينها ودراستها ومعرفة أثرها من الناحية التربوية والنفسية على الشخص نفسه والمجتمع الذي يعيش في وسطه.

ومحافظة الأحساء كواحة زراعية تقع في شرق الجزيرة العربية يمكن أن نرسم عن مجتمعها القديم صورة اجتماعية من خلال اللعب، أو الترويح عن النفس سواء للأطفال المعروفين بالنشاط والحركة طوال اليوم أو الكبار، ذكوراً وإناثاً، أثناء الراحة وبعد الفراغ من أداء واجباتهم وأعمالهم اليومية أو عند اجتماع أفراد الأسرة الصغيرة مع بعضها للمرح والألفة وبث العطف والرحمة بينهم.

لأن الألعاب الشعبية تتميز بامتيازات عن غيرها من الألعاب الحديثة؛ إذ إن معظم تراثها له مساس متين بتقاليد ذلك المجتمع الذي يرتبط بروابط الأسرة الواحدة فيسهل التقاء الشباب مع بعضهم وكذلك الفتيات.

وفي عصر التقدم التكنولوجي السريع، وهو عالم الاتصالات، أصبحت هذه الألعاب -القديمة الشعبية- نسياً منسياً أمام الألعاب الإلكترونية، ولم تجد العناية الكافية من ذوي الاهتمام بشؤون التراث بدراستها وتوثيقها، وبالتالي تأخذ مكانها الطبيعي ضمن تراث المنطقة المحفوظ.

أما لمَ كل ذلك الاهتمام بالألعاب الشعبية... فهو أن الألعاب في الماضي تتميز بامتيازات تربوية جيدة ساهمت في الحفاظ على المجتمع متماسكاً، حيث كانت تعتمد في أصل اللعب على الشرف والأمانة وحسن النية، وقضاء وقت الفراغ بالترويح عن النفس، بالإضافة إلى أن هذه الألعاب لم تخترق عادات وتقاليد المجتمع بل حافظت عليها، فلا يختلط الأولاد في اللعب مع البنات، بل كل جنس ينصهر في بوتقة واحدة إطارها المحبة والصدق، وبكثرة الألعاب كسر الأطفال حاجز الملل لوجود البديل، وراعى كل جنس قدراته في نوع اللعبة التي سيلعبها كلٌ حسب عمره وقدراته وطاقته..





فالكبار أو الشباب مثلاً يلعبون الورقة التي تسمى لعبة (الزنجفة) وهي لعبة (أبو ستة) وقد اشتهرت وعرفت ومازال البعض يلعب الورقة وإن تطورت أساليبها وقوانينها، وعندهم أيضاً ألعاب تختص بالسباحة لوفرة الماء ولوجود العيون العذبة، وتحدي كسر البيض.

أمَّا الفتيات فلهن ألعاب خاصة يُراعى فيها تكوينهن الجسدي واحتياجاتهن مثل ألعاب الدمى، والقفز بالحب، وترديد الأناشيد والأهازيج بينهن، ومن ضمن ألعابهن لعبة تسمى (الحجل) وهي من الألعاب الجماعية التي تجذبهن، وفكرتها أن تخط خطوط على الأرض بطريقة معروفة ويتم توزيع اللعب بينهن ويبدأن اللعب برجل واحدة فقط ولذا عرفت بهذا الاسم.

وألعاب الأطفال أكثر بكثير من ألعاب الكبار فلهم في كل وقت لعبة، فألعاب الصيف تختلف عن ألعاب الشتاء، وأيام العيد تختلف ألعابه عن موسم زرع الأرز الأحسائي، ومن ألعابهم: طاق طاقية، عمل طائرات بالورق، عمل الفرارة أو المروحة، لعبة النباطة والنبالة، وهدوا سليسل، والتيل، ومنها لعبة الضميمة، وفيها: يجلس مجموعة من الأطفال على الأرض، ويتقدمهم شخص وهو واقف ولا يراهم (يدير ظهره لهم) والجالسون عندهم شيء يخبئونه عند أحدهم، ومن ثم يلتفت إليهم الشخص الواقف ويخمن من مخبأ عنده.. فإذا كان تخمينه صحيحاً يقف من خرجت عنده، وإلا تعاد اللعبة من جديد.

بقي أن نقول إن للوالدين دوراً كبيراً وحضوراً بارزاً بين أفراد الأسرة وأطفالهم أثناء اللعب، فاللعب يكون في ساحة المنزل أو قريباً من نظرهم وأيضاً الأم تلاعب طفل المهد وتنشد له أناشيد تبث روح المرح على قلبه أو تقص القصص على أطفالها أثناء جمعتهم، فهي أم ومربية ومعلمة. أما مستلزمات اللعب فغالباً ما تكون بسيطة جداً، وتجلب من البيئة الأحسائية ذاتها، فالواحة زراعية بطبيعتها والأطفال استثمروا مواد الزراعة وعملوا ألعابهم منها، فبالليف المستخرج من النخلة عملت الدمية للفتيات، وركب الأطفال السعف كأنهم يركبون الخيل، والنبالة والزنبور (البلبل) عُملا من شجر الأثل، بل لا تجد شيئاً يشترى من أجل اللعب إلّا نادراً.

الحراك المسرحي بالأحساء

سلطان النوة: الأحساء

ترجع بداية تاريخ المسرح بالأحساء إلى فترة الخمسينات والستينات الهجرية، من خلاله ما تقدمه المدارس من مشاهد مسرحية تمثيلية، ومن أشهر تلك المدارس مدرسة الفتح، وأيضاً المعهد العلمي بالأحساء، وكذلك ما قدمته الأندية الرياضية في منتصف التسعينات الهجرية، وبخاصة مع إقامة أول المسابقات المسرحية التي نظمتها وأشرفت عليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض في العام 1395هـ. ومن أبرز تلك الأندية نادي الجيل ونادي هجر ونادي العدالة والقارة والطرف.

وعند تأسيس جمعية الثقافة والفنون بالأحساء، وهي التي كانت في بداياتها تحت مسمى جمعية الفنون الشعبية في العام 1391هـ، وكان تأسيسها قبل تأسيس المركز الرئيس بالرياض، حيث تأسس عام 1393هـ؛ كانت الجمعية في الأحساء تمارس وتجمع العديد من الفنون، منها التشكيلية والموسيقية والتراثية والثقافية، وأيضاً المسرحية، وما زالت الجمعية مع عمرها الذي امتد أكثر من 40 عاماً تقدم العديد من العروض والتجارب المسرحية. ومن الأمور التي تحسب للمسرح في الأحساء، بجانب ريادته في تأسيس أول جمعية للثقافة والفنون بالمملكة؛ إقامته أول عمل مسرحي للطفل عام 1396 من خلال مسرح نادي الجيل بالأحساء في مسرحية (ليلة النافلة) لمؤلفها ومخرجها عبدالرحمن المريخي -رحمه الله- الذي يعد رائد مسرح الطفل في المملكة والخليج.

وفي الأحساء تأسست أول فرقة مسرحية للشباب من خلال المكتب الرئيس بالأحساء عام 1406هـ، وشاركت تلك الفرقة في مهرجان المسرح الخليجي للشباب في الشارقة عام 1407هـ، وحصد من خلالها الممثل سامي الجمعان جائزة أفضل ممثل مسرحي، واعتبرت تلك الجائزة أول جائزة مسرحية خليجية ودولية يحصل عليها (المسرح السعودي) خارجياً.

وحقق المسرح الأحسائي حضوراً لافتاً من خلال المهرجانات المسرحية المحلية، وذلك بحصوله على





المراكز الأولى، وكان آخرها في مهرجان المسرح السعودي الرابع في الرياض، ومهرجان الفرق المسرحية لرعاية الشباب بالرياض، وكذلك تمثيله المسرح السعودي من خلال المهرجانات المسرحية الخليجية والعربية والدولية، وقد حصدت عروضه أكثر من 16 جائزة مسرحية دولية، أبرزها جائزة أفضل تأليف مسرحي في مهرجان الشباب الخليجي في البحرين عام 1994م، وفي الكويت عام 2013م، وكذلك جائزة أفضل عرض مسرحي ثانٍ في مهرجان الشباب الخليجي في البحرين عام 1994م، وفي قطر عام 2008م. وكذلك حصوله على السبق، على مستوى العروض المسرحية السعودية، بتحقيقه جوائز خليجية في السينوغرافيا المسرحية في مهرجانات المسرح الخليجي للشباب في كل من الكويت عام 2004م، وفي قطر عام 2008 م، وجائزة السينوغرافيا بمهرجان الفرق الأهلية الخليجية في قطر عام 2010م. كما تم تكريم الكثير من الأسماء المسرحية الأحسائية في عدد من المهرجانات المسرحية الخليجية وبمهرجان الرواد العرب، ومازال هذا المسرح الأحسائي حاضراً وبقوة في المشهد المسرحي السعودي من خلال عروضه المتنوعة المقدمة لجميع شرائح المجتمع من خلال العروض المسرحية الخاصة بمسرح الطفل ومسرح الشباب والمسرح الاجتماعي والنخبوي، وحتى المسرح النسائي الذي قدم دورات مسرحية خاصة بالنساء، حيث أنجز أول عرض مسرحي تقدمه جمعيات الثقافة والفنون، موجّه في تنفيذه وإعداده وتأليفه وإخراجه وحضوره من الجمهور النسائي عام 2013م. كما أقيمت في الأحساء العديد من المهرجانات المسرحية المحلية، أبرزها ملتقى مسرح الطفل (6 دورات)، ومهرجان الأحساء المسرحي (3 دورات)، ومهرجان الشباب المسرحي، ومهرجان هجر المسرحي، ومهرجان مسرح الطفل الثالث الذي نظمته وكالة الوزارة للشؤون الثقافية على مسرح جمعية الثقافة والفنون بالأحساء. كما استضاف المسرح الأحسائي العديد من الفرق المسرحية بالمملكة والخليج، وأيضاً أقام مجموعة من الدورات والورش المسرحية المتقدمة التي أشرف عليها أساتذة ومدربون معتمدون من دول الخليج والدول العربية.





من ملامح الصناعات الحرفية في الأحساء





أحمد البقشي: الأحساء

لم يكن إعلان الأحساء هذا العام 2016م أوّل مدينة خليجيّة خلاقة، وثالث مدينة عربية (في قطاع الصناعات الحرفية) ضمن 47 مدينة عالمية، وفق مقرر منظمة اليونسكو؛ أمراً عابراً، فمن يرتاد أي مدينة من مدنها التاريخيّة أو المهرجانات التراثيّة التي تقام فيها على مدار العام، سيتلمّس عدداً من الملامح التي لا يمكن إلا الوقوف عليها بتأنٍ، منها:

- حالة الغنى الكيفي والكميّ في عدد الصّناعات الحرفيّة:





فمن يتجوّل في أسواق الأحساء التاريخيّة، أو يزور جناحها في الفعاليات التراثيّة التي تقام في الأحساء وخارجها؛ فسيلاحظ كمّاً جيداً من المهن يندر أن يوجد بشكل متجاور إلا في الأحساء، فمثلاً تشارك الأحساء بقرابة أربعين مهنة في مهرجان التراث والثّقافة في الجنادرية، مثل النّجارة والصّفارة، الصياغة، البشوت والدرفش والحياكة، الخواصة والحدادة والمداد والدرفش والتلييف، الحباكة، الندافة، الغراشة، القياطين والتبطين، السراجة، الحبال والحلوى، الأسلحة البيضاء.. وغيرها. وهذا الأمر منطلق بالتأكيد من العمق التاريخي للمنطقة التي تعدّ واحدة من أقدم المستوطنات البشرية والتي لم يبارحها الاستيطان فتراكمت كلّ تلك الخبرات البشرية على هيئة مهن وصناعات.

- تتوزّع الصّناعات والمهن على أغلب جغرافيّة الأحساء، وإن كانت متركّزة بشكل أبرز في مدنها الرئيسة.

- تمتاز الأحساء بتفرّدها ببعض الصّناعات والمنتجات التي انطلقت منها إلى العالم ونسبت لها، فهناك البشت الحساوي والسّيف الحساوي والخنجر الحساوي والمرتعشة الحساويّة والدلّة الحساويّة.. وغيرها من المنتجات التي تفردت بها، وفي نفس الوقت تلقّت صناعات من منتجات من خارجها، ولكنها لم تتركها دون أن تبصمها ببصمتها الخاصّة، وينفث فيها الحرفي الأحسائي من سحر الأحساء ليوائمها، فصنع الصائغ الحساويّ مثلاً الخناجر الأخرى كالجنوبية والعمانيّة مضافاً للخنجر الحساوي، كما أبدع في صنع القلائد البغداديّة، وصنع النجار الأحسائي الأبواب البغداديّة الخشبية بإتقان مما يعكس حالة من الديناميكيّة في ذهنية الحرفيّ فيرسل ويستقبل ويوائم.

- وجود حالة التخصّص الدّقيق في أغلب المهن: وهذا منطلق من الأمر السابق، حيث أفرزت حالة الثّراء في المنتج، حالة اختصاص بإنتاج صنف أو صنفين داخل المهنة الواحدة، بل أكثر من ذلك قد يختصّ الحرفي بجزء من منتج واحد كما في حالة البشوت.

- ابتكار فكرة (خطّ الإنتاج): حيث أنّ بعض المنتجات تمرّ عبر مراحل كالبشوت مثلاً، الذي يمرّ بخمس مراحل، يختصّ كل مخيّط بأداء مرحلة، وهذا طبعاً ينمّ عن حالة فطنة تراكميّة بحيث يبدع كلّ مخيّط في المرحلة التي ينفذها ليحصل المنتج النهائي على حالة فائقة من التميّز.

- الأسرة المنتجة: حيث هذا الملمح هو السائد في الأحساء، بحيث تكون الأسرة الواحدة من رجال ونساء متضامنين في الإنتاج ويتقاسمونه ، وكان من المألوف

قديماً أنّ هناك ركناً للإنتاج في كلّ بيت حتى لمن يمتلك دكّاناً في خارجه، حيث ينشأ الابن والابنة وعيناهما تراقبان مراحل الإنتاج منذ نعومة أظافرهما ويتشربان أسرارها ومهاراتها.

- لكلّ مهنة وصناعة مجموعة من القيم والمعايير والأخلاقيات والأسرار والتقنيات يحافظ عليها أرباب المهنة، ويحرصون عليها سواء في مستويات الجودة وتصنيفها أو في أخلاقيات التعامل بينهم وأصولها.

- الاهتمام بالجانب الجمالي في المنتجات التي يصنعها، فلا يرضي الحرفي في الأحساء، أن يقوم بصناعة دون أن تكون جميلة، وفق النسب التي وضع أسلافه قواعدها الجمالية والتي تمتاز بالاتساق، وتميّزها العين الذوّاقة للملامح الفنيّة، وسيكون واضحا جداً، لمن لاحظ ذلك في النقوش الجصّيّة والنقوش على الأبواب الخشبيّة والانتقاء الدقيق لمنتجات الصّياغة وتعاليق الرّقبة والرأس للمرأة، ونزولاً لسفرة الطعام الخوصيّة التي يعسر على مستخدمها معرفة وجهها من قفاها لأنّ جميع العيوب أخفيت فلا يشعر المستخدم إلا بتماسكها ومتانتها وجمالها.

- تكاثر الصناعات المرتبطة بحالة الرّفاه: والتي أتاحها الرّفاه الذي كانت تعيشه الأحساء في أغلب حقبها، حيث كانت تكرع من أنهارها المتدفقة ويبدع صناعها في إنتاج الصناعات، فصناعات مثل الصيّاغة والتي اشتهر الأحسائيون أنهم (لم يدعوا موضعاً في جسد المرأة إلا وخصّصوا له نوعاً أو أكثر من المصاغات).

- المرونة في التنقّل بين المهن ذات السمات الفكرية المشتركة: دائماً ما يحدث لمهنة من المهن حالات من التأرجح بين الرواج والانتكاس الأمر الذي يجعل ممتهنها يغير نشاطه بما يمكنه من كسب رزقه، وهذا الأمر مضطرد ومتعارف عليه منذ القدم في الأحساء، وفق توافقات اجتماعية، فمثلاً عند خبوّ نجم الحياكة يتجه أربابها للبناء، والعكس، وعند خبوّ نجم الصياغة يتجه أربابها لخياطة البشوت، وفقاً لإمكانيات السوق.

- ارتفاع قيمة الاعتزاز بالحرفة داخل الأحساء، ومن يعش في الأحساء سوف يلاحظ هذا الأمر جليّاً. ومن خلال متابعتي في نشاط التّوثيق التراثي، لمست ذلك من خلال مقابلاتي العديدة من الكثير من أرباب الصناعات، الذين كانوا يعرضون عليّ منتجاتهم بحالة من الافتخار والاعتزاز، وهذا الأمر انسحب على حالة التمدنّ والتحضر، حتى انسحبت العصبيّة التي يعرفها ابن الصحراء لقبيلته، يقابلها ابن الأحساء بمهنته، فأصبحت الحرفة هويّة أخرى يتفيأ بها أبناؤها.

- وفرة المهنيين عبر تاريخ الأحساء، تعامل معها الأحسائيون بشكل طبيعي وفق مبادئ السوق، فتنقلوا في أغلب محيطهم الإقليمي، وبالتالي نقلوا عبر الهجرة صناعاتهم وشكّلوا مجتمعات مهنيّة في أماكن السكنى الجديدة دون انقطاع عن جذورهم، فمن يتابعهم، يجدهم في البحرين والكويت وقطر والإمارات وعمان وجنوب العراق والمناطق العربية في إيران وزنجبار، وغيرها.

لقد كانت منتوجات تلك الحرف المميزة من أهم بواعث أن تقصد الأحساء للتبضّع. ذكر لي الوالد -حفظه الله- وكثير من الآباء أن أسواق القيصرية وسوق الذهب، وسوق الحداديد وأسواق الخميس، وغيرها من أسواق الأحساء التاريخية؛ كانت مشهداً مختلطاً من الأزياء يتماوج فيه لابسو العقال بلابسي العصابة والعمامة البدوية وثياب الشلحات والأوزر الجنوبية في مشهد بديع لقاصدي أسواق الأحساء.



الأحساء

في الكتابات التاريخية

تعد المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية منطقة استيطان بشري عبر التاريخ حيث كانت تتوسط مراكز الحضارات في العالم القديم.

وقد عرف هذا الإقليم بإقليم البحرين وعاصمته هجر حتى جاء القرامطة سنة 286هـ وبنوا الأحساء وعمروها وجعلوا منها عاصمتهم وامتد الاسم ليشمل الإقليم بأكمله وظل الإقليم يحمل هذا الاسم إلى عهد قريب حين استحدث نظام المناطق في المملكة العربية السعودية ليتحول الاسم إلى المنطقة الشرقية وينحصر اسم الأحساء على المحافظة.

1 - الأحساء في أمهات الكتب التاريخية

كانت كتابة التاريخ الإسلامي في بدايتها كتابة للسير والمغازي ثم تحولت إلى حوليات تذكر الأحداث التي تمر بالعالم الإسلامي، وكانت الأحساء إحدى هذه المحطات التي دونت المرويات التاريخية أحداثها كتاريخ متعدد الأنماط على حسب اشتغالات المؤرخ وأهدافه، ومن هذه الكتب تاريخ الأمم والملوك للطبري «ت: 310هـ» والتنبيه والإشراف للمسعودي «ت: 346هـ» والكامل في التاريخ لابن الأثير «ت: 388هـ» وتجارب الأمم «ت: 421هـ» والبداية والنهاية لابن كثير «ت: 774هـ» وتاريخ ابن خلدون «ت: 808هـ» واتعاظ الحنفا للمقريزي «ت: 845هـ».

2 - كتب تاريخ الأحساء العام

وهي تلك الكتب التي حاولت وبطريقة جادة جمع التاريخ الأحسائي وضمه في كتاب شامل، وقد تطرقت هذه الكتب إلى منطقة الأحساء ومدنها وقراها وأماكنها وحوادثها منذ القدم التاريخي حتى وقت التدوين.

وقد قدمت هذه الكتب خدمة جليلة في جمع الشتات من بطون الكتب وضمه في كتاب جامع يعطي صورة تسلسلية للوقائع والأحداث ويبين أنماط التحول والتغيير، ومن هذه الكتب كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد لمحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري الأحسائي والذي يتكون من قسمين، وقد تناول فيه التاريخي السياسي والعلمي والأدبي وكذلك كتاب صفحات من تاريخ الأحساء لعبد الله بن أحمد الشباط وكتاب منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ لخالد بن جابر الغريب وفي هذين الكتابين تكلما عن المشاريع الحديثة والتطوير الإداري والتنموي للأحساء بالإضافة لما سبق.

3 - كتب التحقيب التاريخي

أغلب هذه الكتب هي دراسات عليا ضمن مناهج تاريخية محددة وتمتاز هذه الكتب بالدقة والموضوعية في الطرح والحيادية في التحليل ومن أمثلة هذه الكتب كتاب تاريخ البحرين في القرن لأول الهجري للدكتور محمد بن ناصر الملحم حيث تكلم عن إقليم البحرين قبل الإسلام وذكر أحواله السياسية والدينية ثم تحدث عن دخول الإقليم في الإسلام والأحداث التي مر بها خلال القرن الهجري الأول. وهناك كتابات تناولت حقبة القرامطة «286-469هـ» مثل كتاب الجامع في تاريخ القرامطة لسهيل زكار وكتاب الحركة القرمطية لطادروس طراد.

ثم تلتها الدولة العيونية «469 - 636هـ» ومن كتابات هذه المرحلة كتاب الدكتور عبد الرحمن المديرس الدولة العيونية في البحرين وكذلك كتاب عبد الرحمن آل ملا تاريخ الدولة العيونية في البحرين.

ويأتي بعد هذه المرحلة كتاب الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية «469 963-هـ/ 1076 - 1555م» للدكتور محمد محمود خليل وهي دراسة تضم ثمانية أبواب وتتناول دراسة أربع دول حكمت هذا الإقليم تتابعياً وهم العيونيون والعصفوريون وآل جروان والجبور وكيف انتهت دولتهم مع قدوم البرتغاليين إلى الخليج العربي.

ومن تلك الدراسات كتاب الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري وهو رسالة الماجستير للدكتور خلف بن ذبلان الوذيناني وقد كتب عن الأحساء كإيالة عثمانية ثم عن بني خالد وعلاقتهم مع الدولة السعودية الأولى والأحداث



السياسية في الخليج ومواقف الدولة العثمانية من تلك التطورات.

يأتي بعده كتاب تاريخ الأحساء السياسي «1818 - 1931» للدكتور محمد عرابي نخلة، ويتناول فيه الاحتلال المصري للأحساء وعودة بني خالد للحكم بعد انسحاب المصريين ثم عودة الأحساء تحت الحكم السعودي. كما يتناول الوضع السياسي في الأحساء في عهد الدولة السعودية الثانية وكيف استغلت الدولة العثمانية الصراع في اضعاف الدولة السعودية واحتلال الأحساء وجعلها قاعدة للتوسع حتى عودة الأحساء إلى الدولة السعودية الثالثة في عهد الملك عبد العزيز عام 1331هـ.

ومن الكتب التي تكلمت عن حقبة الدولة السعودية الثانية كتاب مريم بنت خلف العتيبي الأحساء والقطيف في عهد الدولة السعودية الثانية «1245 - 1288هـ / 1830 - 1871م».

وهناك كتب تحدثت عن الأحساء تحت الحكم العثماني مثل كتاب الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء «1288 - 1331 هـ/ 1871 - 1913م» للدكتور محمد بن موسى القريني وكتاب من وثائق الأحساء في الأرشيف العثماني للدكتور سهيل صابان وكتاب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء «1288 - 1331هـ/ 1871 - 1913م» للدكتور حمد محمد القحطاني وكتاب الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني «1288 - 1331هـ/ 1871 - 1913م» وهو دراسة وثائقية للدكتور عبد الله بن ناصر السبيعي.

ويأتي كتاب «فيدركو شمد فيدال» واحة الأحساء الذي صنفه عام 1952م وهو يعمل بشركة أرامكو كشاهد عيان، وهو يحمل الكثير من التفاصيل الاجتماعية والاقتصادية والآثار لمنطقة الاحساء في العهد السعودي، وقد ترجمه الدكتور عبد الله السبيعي. ومن الكتب التي أرّخت لهذه المرحلة كتاب الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية «1350 - 1380هـ/1930 - 1960م» وكذلك كتاب اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية «1352-1380هـ/ 1933-1960م» وكلاهما للدكتور عبد الله بن ناصر السبيعي ويؤرخ لهذه المرحلة ويرصد التحولات والتغيرات فيها.

4 - الكتب التاريخية المتخصصة

وهي تلك الكتب التي تعالج موضوعاً جزئياً داخل تاريخ الأحساء مثل تاريخ بعض المدن والقرى مثل كتاب الجبيل قرية سعودية للمهندس عبد الله الشايب وكتاب مدينة الهفوف للدكتور محمد جواد الخرس وكتابي جواثى تاريخ الصمود وهجر وقصباتها الثلاث لعبد الخالق الجنبي وكتاب ماضي القارة وحاضرها لأحمد العيثان.

أو تلك الكتب التي تناولت أعلاماً وشخصيات مثل كتاب ملوك وحكام وأمراء الأحساء عبر التاريخ « 4000 ق. م - 1426هـ» تأليف إبراهيم حسين البراهيم وعبد الله حسين البراهيم، وكتاب أحسائيون مهاجرون للشيخ محمد الحرز، وكتاب آل عصفور أسرة حكمت الخليج مائة وخمسين عاماً للباحث التاريخي خالد النزر، وكتاب تاجر الأحساء إبراهيم بن صالح المهنا «1316 - 1397هـ» تأليف يوسف بن عبد العزيز المهنا.

وهناك كتب توثق الذاكرة الشفهية مثل كتاب أمالي الرمضان بقلم سلمان وهو محاولة جادة من الباحث سلمان الحجي في استفراغ ما في جعبة المؤرخ الحاج جواد الرمضان وتدوين ما يعلق بذاكرته وتوثيقه والاستفادة مما يحمله من معلومات خلال بحثه وقراءته وتجربته، وكذلك كتاب من الذاكرة الأحسائية للباحث أحمد بن حسن البقشي، وكتاب قاموس الأمثال والكلمات السائرة في الأحساء للمهندس عبد الله بن عبد المحسن الشايب.

5 - الأحساء في كتابات الرحالة والمستشرقين

لقد تناول مجموعة من الرحالة والمستشرقين في القديم والحديث الأحساء في كتاباتهم، وتمتاز هذه الكتابات بأنها تمثل رؤية الآخر الأجنبي للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة وما تحمله هذه الرؤية من دلالات، ففي القديم كتب ناصر عن الأحساء في كتابه سفرنامة كما كتب عنها ابن حوقل في كتبه صورة الأرض وكذلك المقدسي في أحسن التقاسيم.

وأما في العصر الحديث فقد كانت الأحساء محطة من محطات الكتابة عند أغلب المستشرقين الذين زاروا المنطقة، ومن هؤلاء المستشرقين ف.ش. فيدال الذي كتب كتابه واحة الأحساء، كما ذكرها كل من «بلغريف» و«فيلبي» وتناولها «تشيزمان» في كتابه في شبه الجزيرة العربية المجهولة، و«هارفرد بريدجر» في كتابه موجز لتاريخ الوهابي، والطبيب الالماني «هيربرت بريتزكه» في كتابه طبيب البدو، وغيرهم من الرحالة والمستشرقين.

وقد حملت هذه الكتابات رؤية مختلفة فيها من الصواب والخطأ الكثير نتيجة اختلاف الرؤية وعدم الاطلاع الكافي ولكنها أظهرت جوانب ربما لا يراها أهل المنطقة لأنهم اعتادوا عليها ولم تشكل فارقاً نوعياً مبايناً، وهي ورغم تحاملها أحياناً إلا أنها تشكل نوعاً من تكامل الصورة ومعرفة ما حملته هذه الصورة من معان.

هذه نماذج متعددة تتمظهر فيها القراءة التاريخية لمنطقة الأحساء بصيغ وأساليب مختلفة وهي رغم وفرتها إلا أن هناك مناطق فراغ تحتاج أن تملأ لتكتمل الحلقة وتنتظم الأمور ونستخلص منها تاريخ الحضارة التي صاحبت الاستيطان البشري المبكر وظلت صامدة تعطي الدروس والعبر بثرائها وتعدديتها وسعيها الحثيث نحو إعمار الأرض بالخير والصلاح.



المؤسسات الثقافية بالأحساء

أحمد الهلال: الأحساء

رصد الدكتور أحمد اللويم الأستاذ في جامعة الملك فيصل بالأحساء أهم ملامح الحراك الثقافي بالأحساء في ستة عناوين:

1 - تصاعد في أعداد الكتاب اللامعين في معالجة قضايا المجتمع المصيرية بظهور في هذا المجال.

2 - تصاعد في أعداد القاصين من الشباب وزيادة ملحوظة في أعداد القصص المطبوعة.

3 - شهدت المجالس الأدبية والأندية الثقافية المختلفة في الأحساء مواكبة للقضايا العالمية والوطنية.

4 - حضور قوي ومتصاعد لفن التصوير وما يصحبه من ثقافة الصورة.

5 - الاهتمام المبكر للأحساء بالفن المسرحي.

6 - تزايد في الاهتمام بالتراث والتاريخ القديم والمعاصر للأحساء.

هذه الملامح الذي رصدها الدكتور اللويم للحراك الثقافي لمجتمع الأحساء وغيرها الكثير، كان لها حضور حقيقي في المؤسسات الثقافية الأحسائية كان منها:

جمعية الثقافة والفنون
رائدة العمل الثقافي المؤسسي بالأحساء

في العام 1395هـ الموافق 1975م انطلقت جمعية الثقافة والفنون بالأحساء أولى المؤسسات الثقافية التي كانت ترعاها حين ذاك الرئاسة العامة لرعاية الشباب، قبل أن تنضوي تحت مظلة وزارة الثقافة والإعلام بعد ذلك بسنوات، شكلت جمعية الثقافة والفنون حاضنة للحراك الثقافي والفني لواحة الأحساء، لتكون مرآة عاكسة لذلك الحراك على أكثر من فن، فنجد حضوراً لحركة الفنون المسرحية والأفلام القصيرة، والفنون التشكيلية والخط العربي، وفن التصوير الضوئي، والتراث والفنون الشعبية والموسيقى، والمنتدى الثقافي الذي يعد منبراً لجماعات السرد والشعر بالأحساء، إضافة لعدد من الدورات التعليمية في المسرح والموسيقى والتصوير، والخط العربي، ومهرجان المسرح والأفلام القصيرة. لتكون جمعية الثقافة والفنون بمثابة الانطلاقة الأولى للكثير من المواهب الفنية والأدبية في المجتمع الأحسائي.

نادي الأحساء الأدبي
ولادة حديثة وسباق مع الزمن

شكلت الموافقة الملكية الكريمة على إنشاء النادي الأدبي في الأحساء عام 1428هـ 2007م إبان زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (رحمه الله) للأحساء استجابة حقيقية للحراك الثقافي الذي تشهده المحافظة ممثلاً بأدبائها ومثقفيها، ليكون النادي الأدبي

منبراً للأدب والثقافة، حيث يسعى النادي لأن تكون رسالته خدمة لمجتمع الأحساء الأدبي والثقافي من خلال برامج متنوعة وإصدارات متميزة، وتنمية المواهب الأدبية والثقافية، وبناء شراكات مجتمعية فاعلة وأن ينفتح على شرائح المجتمع على تنوع اتجاهاتهم ومشاربهم الأدبية والفكرية، وأن يقف على مسافة واحدة من الأطياف كلها أدبية وثقافية وفكرية بعيداً عن التهميش والإقصاء، وأن يولي الشباب والمرأة والطفل اهتماماً كاملاً في برامجه وفعالياته.

يتشكل النادي الأدبي من سبع لجان ثقافية تعمل على خدمة الحراك الثقافي والأدبي بالأحساء:

1 - لجنة المطبوعات والنشر

2 - لجنة النشاط المنبري

3 - اللجنة الإعلامية

4 - لجنة العلاقات والمناسبات

5 - اللجنة النسائية

7 - لجنة إعداد معجم السرد لكتاب وكاتبات السرد في الأحساء

8 - لجنة المسامرات الثقافية في خيمة ابن المقرب العيوني

إضافة للنشاط المنبري الأسبوعي ومهرجان جواثي الثقافية الذي ينظمه النادي كل سنتين.

الصالونات الأدبية

شاهد على الحراك الثقافي لواحة الأحساء

أحدية المبارك

يعد صالون الشيخ أحمد المبارك الأدبي واحداً من أهم المجالس الثقافية في محافظة الأحساء أسسه السفير الشيخ أحمد بن علي المبارك، حيث جرت العادة أن ينظم هذا الصالون ندوات أدبية وأمسيات شعرية لأدباء ومثقفي المحافظة، مساء كل أحد في منزل الشيخ المبارك بمدينة بالهفوف، وقد لاقى الصالون إقبالاً ملحوظاً من مثقفي الأحساء، وعرف الصالون بأحدية المبارك.

منتدى بوخمسين الثقافي

تأسس منتدى بوخمسين الثقافي سنة 2004م على يد الشيخ عادل بوخمسين وبرعاية رجل الأعمال محمد بن موسى بوخمسين، كمنبر ثقافي أدبي اجتماعي، يستضيف كل ليلة خميس في منزل رجل الأعمال محمد بوخمسين بمدينة المبرز، شخصية اجتماعية ثقافية، تطرح موضوعاً ثقافياً، إضافة للمواضيع الطبية، ورعاية المواهب الأدبية والفنية التي يقدمها المنتدى وتلاقي التفاعل الواضح من المجتمع الأحسائي.

المنتدى قدم خلال مشواره الذي تجاوز العشر سنوات أكثر من 300 ندوة وأمسية استضيف فيها المسؤول الحكومي، والأديب، والفنان والناشط الاجتماعي، من داخل واحة الأحساء وخارجها، على امتداد الوطن.

الأحساء..
طبقٌ من نخيل

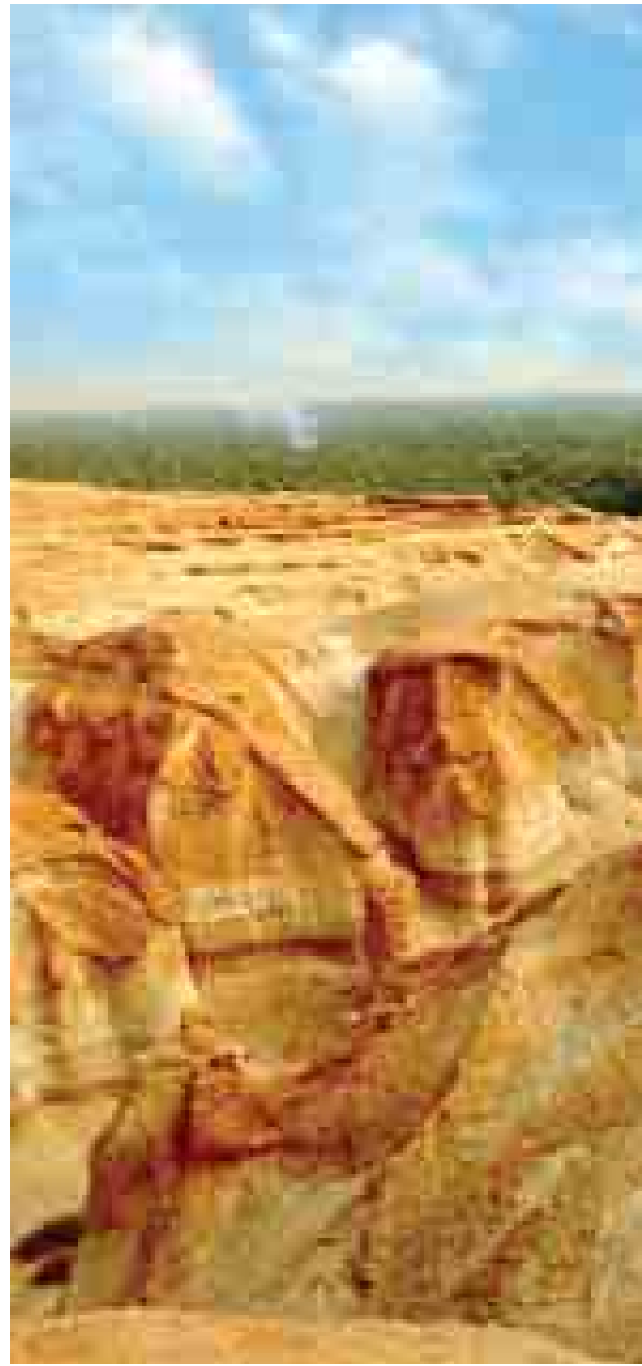
جاسم الصحيح: الأحساء

بوصفي أحسائياً، أرى أنَّ للأحساء سرَّها الذي لا يتجلَّى إلاَّ في مرآةِ إنسانها المتمسِّك بالأرض تمسكاً وجودياً مشدوداً من شرايينه إلى كلِّ حبَّةِ رمل، حيث إنّ الأحساء تتجاوز خارطتها الجغرافية الضيقة إلى خارطتها الأوسع في قلب ذلك الإنسان الذي يراهن أكثر ما يراهن على بقاء الذاكرة الهجريّة قويّة لأنَّ أخطرَ موتٍ في الحياة هو موت الذاكرة الوطنيّة عند الشعوب.

(أحساءُ).. كم مَرَّةً أنجبتني؟ فأنا
نسيتُ من كثرةِ الميلادِ: كم عَددي!

لم تنعقدْ فيكِ أمشاجٌ بمكرمة
إلا وناديتُ أمشاجي: بها انعقدي!
كأنَّني منذُ فجرِ الطلق في (هَجَر)
أُدعَى لأُولَدَ إذْ تُدعَينَ كي تَلِدي!
أنا روايةُ هذي الأرض..ما سلمتْ
في روعة النصِّ من سكِّين مُنتَقِد!

بَقِيَت الأحساء تستيقظُ على وقع أقدام الفجر فترى الطبيعة بانتظارها في كلّ مكان.. تسمع نداءَ الليمون وصراخ عرائش الكروم وصيحات أزهار الرمّان.. تسمعها جميعاً تتضرّع حالمةً بالرضاع، فتدير على صدرها ساقيتين



من خصْب وحبّ حتّى تتدفّق المواسم بأنهار الألق وترفرف مـن عباءة الـورد حمائم العبـق. فجأةً .. ينرسـمُ على لوحة المشـهد ذلك التنّينُ الحضـاريُّ المسـمَّى مجازاً بالنفط.. والمدجّـج بأذرعـة خُرافيَّـة أَخـذَتْ تزرع الأشـجار بالمقلوب حتّـى اختنقـت هسهسـاتُ الأفنان في حضـن المـروج وفَرَّت العصـافيرُ من مواطنها حينما داهمتها المداخنُ بسحاباتٍ من الأوهام العصريَّة.

(الحسا) طَبَقٌ من نخيلْ

(الحسا) معولُ خَطْبَ الأرضَ

من يدِ أسلافنا الأوَّلينَ

وما زال يُولدُها النبعَ والزرعَ جيلاً فجيلْ!

(الحسا) ملفعٌ من ملافع أمّي

يتوهّج فيه الحنانُ الأصيلْ

(الحسا) امرأةٌ ملؤُ عرش العفاف..

بتولُ المضاجع.. مثقلةٌ بالضفائرِ..

دافئةٌ كالهديلْ

(الحسا)

فتنةُ (الدَّيْرَم) الغضِّ

يضحك فوق شفاه النساءِ

و(علكُ اللبان)

يغازلُ أسنانَهُنَّ بعطر البياضِ

و(ريحةُ مشمومهنّ)

تعيد الرجالَ من الحقل قبل أوان الأصيلْ

(الحسا) كلُّ هذا الخليط الجميلْ!

دائمـاً مـا تبدو لي الأحسـاءُ في حالة من الخشـوع واقفةً فـي حَرَم الجذور تمارسُ طقوسَ الحُلْم بالعودة إلى الحقل، وتنتظـرُ عـودة الفلاّحيـن الذيـن ترتفـع قاماتُهـم بطـول الأشـجار.. وتمتـدُّ أذرعتهـم بطـول أذرعة الينابيـع.. وتعبق أنفاسـهم برائحة العشب والندى والمطر. أمَّا أنا فلا بدُّ أن أعترف أنَّني حينما أكتب عن الأحسـاء، لا أستطيع الانفلات من أحاسيسـي القرويَّة، فالأحسـاء بالنسبة لي ليست سوى سـربٍ من القُرى مسـافرٍ باتجاه المدنيَّة وآمَلُ له ألاَّ يَصِـلَ أبداً.

أُسَمِّيكِ أُمّي كي أُوَفِّي لَكِ الاسْمَا

فبينَكُما في نطفتي وحدةٌ عُظْمَى

أُسَمِّيكِ أُمّي.. والأمومةُ موطنٌ..

بمقدارِ ما (ننمو) عليه لهُ (نُنْمَى)!

أُحبُّكِ يا (أحساءُ) في كلِّ كسْرَة

من الطينِ شعَّتْ في يدي قَمَراً تَمَّا

أُحبُّكِ يا (أحساءُ) في كلِّ نظرة

إلى الحقلِ صَلَّتْ بي إماماً ومُؤْتَمَّا

وصدري الذي لو ضَمَّ كلَّ جميلة

تَظَلُّ جذوعُ النخلِ أجملَ ما ضَمَّا

أحبُّكِ حَدَّ الشِّعْرِ.. والشِّعْرُ قاتلي..

أُحبُّكِ.. رمياً بالقصائدِ أو رَجْمَا!

سـأُودِعُ فـي كـفِّ الليالـي وصيَّةً

وأنقشُها في وجه هذا المدَى وَشْمَا:

إذا مُتُّ.. و(الأحساءُ) في عِزِّ بَرْدِها..

فدُسُّوا رفاتي في مواقدِها فَحْمَا

د. ريسا توكو ناجا:

تعمقت في مجال الآثار بنصائح الدكتور الأنصاري

المجلة العربية: الرياض

اختارت اسم بلقيس ليخاطبها العرب به، ولم تختر هذا الاسم جزافاً بل من وقع شغفها بالحضارة العربية والإسلامية.. الدكتورة ريسا توكوناجا، قدمت من اليابان بلدها الأصلي لترتحل إلى أزمنة قديمة حين اختارت علم الآثار والنقوش العربية القديمة، حيث حصلت على الدكتوراه في التاريخ (علم الآثار القديمة) من جامعة كيوز طوكيو.

ارتبط اسمها بالدكتور عبد الرحمن الأنصاري الذي كان المشرف الخارجي على رسالتها، وحصلت على دبلوم اللغة العربية من المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وقد تدرجت في عدة مناصب أكاديمية لتصبح مساعد مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو حتى 2014م.

قرأت رحلة ابن بطوطة في المرحلة الثانوية وأعجبت بوصفه عن رحلته في اليمن فحفزني ذلك للبحث

حصلت على عدة جوائز تقديراً لبحوثها المختلفة، ولإنجازاتها العلمية، ومشاركاتها في بعثات الآثار في كل من المملكة العربية السعودية، وسيناء، والأردن، واليمن، ولتقديم بعض الضوء عن حياة بلقيس أو الدكتورة ريسا، كان لـ«المجلة العربية» هذا الحوار معها:

تساؤل يرد في أذهان كثير من القراء وهو ما الدافع للتوجه إلى التاريخ العربي القديم من خلال دراسة علم الآثار والنقوش العربية القديمة؟

- اهتمامي بالشرق الأوسط بدأ مبكراً جداً حينما كنت في روضة الأطفال، والداي أدخلاني إلى روضة كاثوليكية مع أنهما ليسا مسيحيين وهذا ليس بالغريب ففي اليابان كثير من الناس يُدخلون أبناءهم مدارس مسيحية خاصة فقط لأجل تربية وتعليم جيدين رغم اختلاف أديانهم. وأعجبتني الروضة كثيراً بسبب حبي تجاه أستاذتي التي كانت راهبة صغيرة وحنونة، وأيضاً قصص التوراة والإنجيل التي كانت تقصها علينا مديرة الروضة في كل يوم سبت. هذه القصص أثرت على قلبي كثيراً، وبخاصة قصة النبي موسى عن سفر الخروج في سيناء، ولكن حينها لم أعرف قط أني بعد تقريباً 20 سنة



د. عبدالرحمن الأنصاري



إلقاء محاضرة في احتفال اليوم العالمي للغة العربية في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو



المتحف المصري بالقاهرة حيث كنت أدرس تقريباً كل يوم حين كنت طالبة في جامعة القاهرة

استنتجت أن العرب بشكل عام شجعان جداً في التعبير عن أنفسهم سواء كان بالكتابة أم بالمخاطبة على عكس اليابانيين

سأعمل في الأودية بجانب جبل سيناء باحثة عن النقوش..

وعندما كنت في المرحلة الثانوية قرأت رحلة ابن بطوطة وجذبني وصفه لرحلته في اليمن وبحثت عن معلومات أكثر عن هذه المنطقة في كتاب مادة التاريخ ولم أجد شيئاً فازداد اهتمامي بالبحث عنها، ثم في الجامعة اخترت علم آثار الشرق الأوسط كتخصص وسألت أستاذي أ. د. هيديؤو أوغاوا عن آثار اليمن القديمة بعد محاضرته، وفي المحاضرة التالية أحضر لي بعض الكتب عن آثار جنوب شبه الجزيرة العربية بما فيها كتاب عن تنقيبات قرية الفاو للأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري وعرفت أن هناك حضارة مهمة في جنوب الجزيرة العربية، مع أنها غير معروفة في اليابان، هذه كانت أول مرة لي أرى فيها خط المسند وعرفت أنه كان مستعملاً في جنوب الجزيرة العربية قبل انتشار الحروف العربية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت بحوث الآثار في الجزيرة العربية أمنيتي.

ارتباطك بالأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري مشرفاً خارجياً لدراسة الدكتوراه، هل كان محفزاً للتوجه إلى الآثار في السعودية إضافة إلى الأردن واليمن وسيناء؟

- نعم بسبب نصائحه المفيدة استطعت التعمق في مجال الآثار بالمملكة العربية السعودية الحمد لله.







إلقاء محاضرات في الجامعات اليابانية

موقع الآثار القديمة في نجران أصبح مرشحاً للتراث العالمي لليونيسكو وهو حقاً يستحق ذلك وأتمنى أن يدرك العالم أهميته وأهمية حمايته

هل هنالك توجه لدراسة تاريخ وآثار غرب آسيا وبالذات شبه الجزيرة العربية لدى اليابانيين؟

- نعم، فاهتمام الباحثين اليابانيين بآثار مصر وبين النهرين والأناضول كبير جداً. وهناك باحثون متخصصون بآثار منطقة الخليج وشمال الجزيرة العربية ولكن مازلوا قليلين. والآن بعثة جامعة كانازاوا يرأسها أ. د. سوميؤو فوجي تقوم بتنقيبات آثار العصر الحجري الحديث في منطقة بين تبوك والجوف.

المسوح التي شاركت ضمن فرقها في المملكة والوطن العربي عموماً، ما الذي كشفت عنه ولم يُقل بعد؟

- عملت في المواقع الأثرية في مصر والأردن والسعودية ومشيت في الصحراء والأودية باحثة عن النقوش وتعجبت من كمية النقوش الصخرية. في الصحارى في بعض المناطق في جنوب سيناء والأردن والجزيرة العربية،فقد ملأ قدماء العرب صخور الجبال والأودية بالنقوش القصيرة المكتوبة بالحروف النبطية والحسمائية والثمودية والمسندية. مثل هذه الظاهرة لا توجد في اليابان عبر التاريخ. حتى في عصرنا الحالي أتعجب برؤية الكثير من الكتابات على الجدران في الشوارع في الدول العربية. أجد كتابات بسيطة مثل أسماء الأشخاص حتى على السيارات المغطاة بالتراب! مثل هذا لا يحدث في اليابان. وألاحظ أن العرب بشكل عام شجعان جداً في التعبير عن أنفسهم سواء كان بالكتابة أم بالمخاطبة على عكس اليابانيين الذين يفضلون أن يقرؤوا ويستمعوا أكثر من التعبير عن أنفسهم بالكلام أو بالكتابة. بالإضافة إلى القيم التاريخية، النقوش تعكس طبيعة الشعوب وهذه أيضاً نقطة ممتعة.

ما الذي يكشف عنه حقل النقوش والموروثات في الجزيرة العربية من حيث الحضارات؟

- بفضل النقوش والآثار عرفنا أن هناك ممالك في اليمن مثل سبأ ومعين وحضرموت وحمير التي ازدهرت بتجارة البخور، وكذلك قد تطورت مدن القوافل مثل العلا ومدائن صالح وقرية الفاو على طرق التجارة. بالنسبة لتاريخ الجزيرة العربية من القرن الثامن قبل الميلاد إلى الفترة قبيل الإسلام نحن نعتمد على علم النقوش لمعرفة هذه الحقبة. ولكن هناك (فراغات) بين آراء المؤرخين في فترة صدر الإسلام والتاريخ من قبل النقوش. على سبيل المثال وجود ملكة غير معروفة في النقوش من مملكة سبأ والممالك الأخرى في اليمن. وأيضاً وفقاً لنقش المسند الصخري من مريغان بالقرب من تثليث، مات أبرهة بعيد غارته على الحجاز في عام 553م، وليس في عام 570م الذي يقال فيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. في البحوث التاريخية سواء كان بحث عن الفترة قبل الإسلام أم الفترة بعده يجب علينا أن نستخدم جميع المواد كالكتابات من قبل المؤرخين والنقوش والأدلة المادية بشكل عادل.



شاهد قبر مع كلمة (نفس) التي يتبعها اسم الميت بالحروف الآرامية (متحف تيماء)



تابوت أحد التجار المعينين الذي كان يحضر إلى مصر البخور من اليمن



صورة من جنوب سيناء

ما مدى فعالية المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وهل ثمة انتشار للغة العربية والثقافة الإسلامية في اليابان؟

- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو يقوم بتعليم اللغة العربية وتقديم الثقافة العربية الإسلامية لليابانيين، بالإضافة إلى الدورات العربية الصباحية والمسائية، كما أن له دورات في الخط العربي والترجمة والثقافة العربية ويعقد ندوات في مجالات ومواضيع مختلفة ومسابقات اللغة العربية، وأيضاً المعهد يقدم محاضرات تعليم اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الجامعات اليابانية بما فيها جامعة طوكيو.

هل توجد كتب أو أبحاث منشورة ومتاحة لك باللغة العربية، وهل ترجمت أبحاثك ليستفيد منها الدارسون في مجال الآثار والنقوش؟

- عندي منشورات ومقالات باليابانية وبالإنجليزية، وإحداها مترجمة إلى العربية في مجلة دار الآثار الإسلامية في الكويت.

ما الملفت في دراسة (البخور والمباخر في شبه الجزيرة العربية) وهل للبخور واستخدام المباخر أصول عربية؟

- أقدم أثر لاستخدام البخور والمباخر في الجزيرة العربية يعود إلى عصر البرونز جنوب الجزيرة العربية، وباعتبار أن هذه المنطقة موطن أشجار البخور المهمة مثل اللبان والمر هناك إمكانية أن استخدام البخور بدأ في الجزيرة العربية، ولكن إلى الآن لا توجد أدلة. ولكن توجد المباخر بالأشكال المختلفة من الألف الأول قبل الميلاد ونظراً لعددها الكبير فإن أدوات البخور مستعملة في الحياة اليومية بالإضافة إلى الاستخدام للأغراض الدينية. بعض المباخر اليمنية تحمل أسماء البخور المنقوشة عليها أيضاً.

الحروف الأبجدية من خلال دراساتك، هل بدأت نقوشاً صخرية ثم تطورت في شبه الجزيرة العربية، وهل هي مشابهة للأبجدية الحالية؟

- نوع الحروف الأبجدية الأولى التي انتشرت في الجزيرة العربية يختلف عن نوع الحروف العربية المستعملة الآن. بعد اختراع الأبجدية من قبل الكنعانيين والساميين في مصر وشبه جزيرة سيناء بين 1900 و1700 قبل الميلاد انتشرت هذه الحروف الجديدة إلى شبه الجزيرة العربية رويداً، وأول أثر يشير إلى استخدام الحروف الأبجدية في جنوب الجزيرة العربية يعود إلى القرن 13 قبل الميلاد. يبدو أن الحروف الأبجدية انتشرت وتغلغلت إلى جميع المناطق في الجزيرة العربية عبر طرق القوافل التي تطورت في نفس الوقت بفضل استخدام الجمال

> الحروف العربية المستعملة الآن أصلها نبطي وهي من أشكال الحروف الآرامية التي تنتمي إلى الحروف السامية الشمالية



أنواع المباخر القديمة من اليمن (المتحف البريطاني)



الصور من جنوب سيناء حيث قمت بالبحث مع البعثة اليابانية لمدة 7 سنوات

اليابانيون بشكل عام لا يعرفون عن حياة النساء في الجزيرة العربية وللأسف بعضهم يظنون أنهن مظلومات بسبب تأثير الأخبار المتحيزة

كوسيلة نقل للبضائع، ثم تطورت الحروف إلى حروف متنوعة خاصة بكل منطقة في الجزيرة العربية منها: الحروف العربية الجنوبية القديمة، الحروف الديدانية، الحروف الثمودية، الحروف التيمانية، الحروف الحسائية، الحروف الحسمائية، وهذه المجموعة يطلق عليها الحروف السامية الجنوبية. وأما بالنسبة للحروف العربية التي هي مستعملة الآن فأصلها من الحروف النبطية، وهي نوع من أشكال الحروف الآرامية التي تنتمي إلى الحروف السامية الشمالية. والحروف الآرامية دخلت إلى شمال الجزيرة العربية في منتصف القرن السادس قبل الميلاد مع إقامة آخر ملك الإمبراطورية البابلية الحديثة (نبو نيد) في تيماء. ولكن الحروف السامية الجنوبية كانت منتشرة بين شعوب الجزيرة العربية القدماء أكثر من الحروف السامية الشمالية التي لم تنتشر إلى جميع مناطق الجزيرة العربية إلا بشكل الحروف العربية بعد الإسلام.

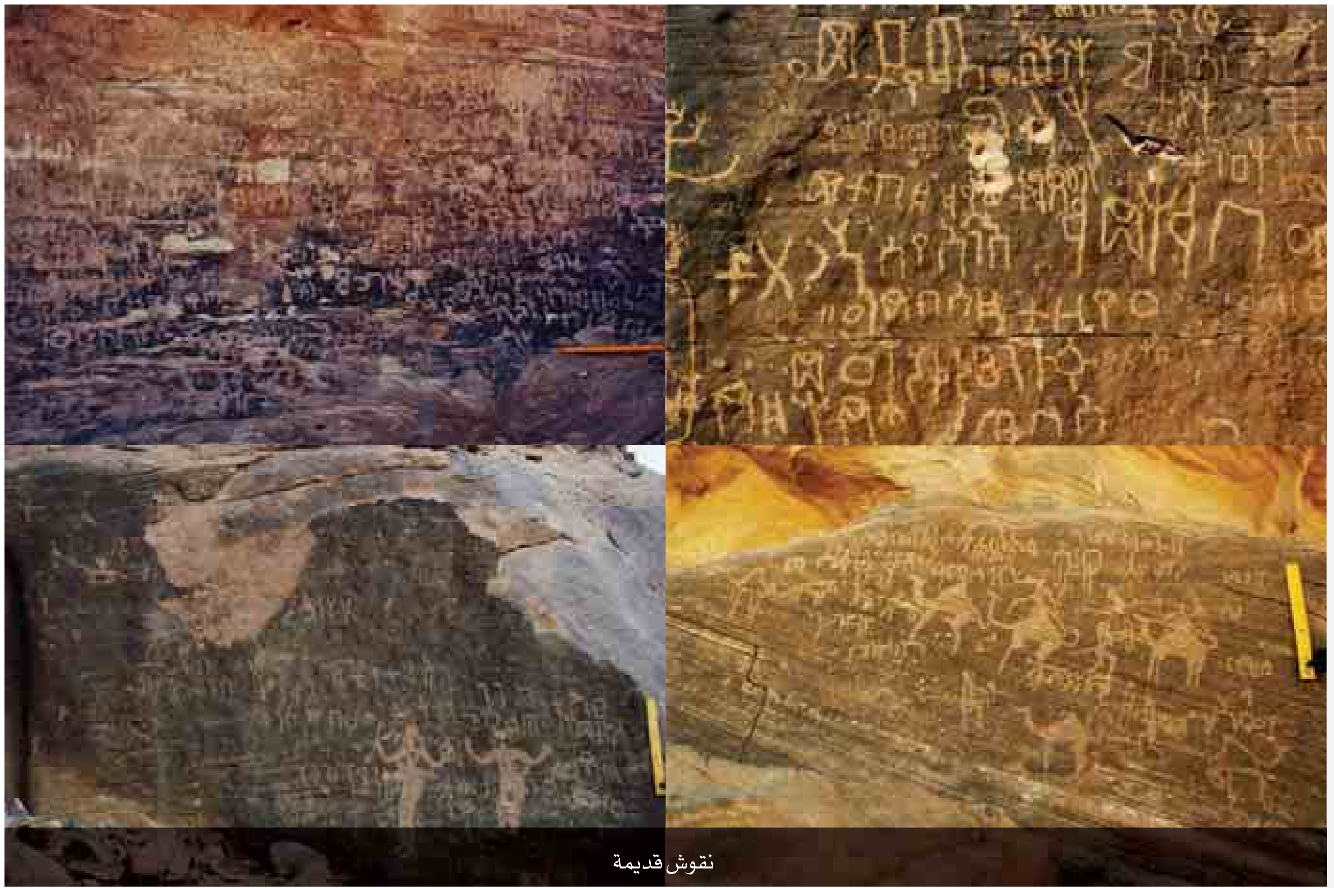
تطور حروف الأبجدية القديمة في الجزيرة العربية حدث عموماً على سطح الصخور التي كانت متاحة في أغلب مناطقها، ولكن الفخار والمعدن وساق النخل وعظام الحيوانات أيضاً كانت مستعملة للكتابة. والرق والبرديات أيضاً كانت موجودة ولكنها غالية ونادرة. وبعض الأحيان نوع الخط يتعلق بالمادة التي تكتب عليها. مثلاً في اليمن القديم كان هناك خط متصل خاص بالكتابة على ساق النخل بالإضافة إلى الحروف المسندية.

هل وجدت علاقة بين ما هو منقوش في المسلات، واللغة العربية الجنوبية القديمة؟

– مع أن الحروف المنقوشة على المسلات وشواهد القبور مختلفة تماماً عن الحروف العربية الحديثة، فلغات النقوش القديمة واللغة العربية متشابهة وقريبة. على سبيل المثال على المسلات وشواهد القبور قبل الإسلام في مناطق مختلفة في الجزيرة العربية حتى بين الأنباط، نجد أحياناً كلمة (نفس) و(قبر) مع اسم صاحبها. وهناك بعض الفروق بين اللغات القديمة واللغة العربية في بعض النقاط في القواعد مثل استخدام وعدم استخدام أداة التعريف وشكلها، وهناك أيضاً المصطلحات الخاصة في كل اللغات واللهجات، ولكن أغرب الكلمات في لغات النقش موجودة في قاموس اللغة العربية أيضاً. ولذلك فناطقو اللغة العربية إذا تعلموا الحروف القديمة سيستطيعون قراءة النقوش القديمة بسهولة بعد ممارسات بسيطة.

هناك دراسات وأبحاث قدمتها أو شاركت بها حول نقوش منطقة نجران، هل تلك النقوش ثرية وهل تحتاج مزيداً من الأبحاث؟

– نعم، بكل تأكيد. ولكن تحتاج إلى وقت ومجهود كبيرين لأن عدد النقوش في هذه المنطقة فعلاً فلكي؛ فالنقوش موجودة ومتشتتة على نطاق واسع في أماكن مختلفة. البعثة الفرنسية-السعودية بدأت مشروعاً أثرياً في هذه المنطقة ولكن للأسف توقفت بسبب الحرب في اليمن. هذه النقوش



نقوش قديمة

بما فيها النقوش المسندية والثمودية قبل الإسلام والنقوش العربية في فترة صدر الإسلام ،لها قيم تاريخية ولغوية عظيمة، وكذلك الرسومات الصخرية القديمة بعضها تعود إلى ما قبل التاريخ. عندما زرت هذه المنطقة لأول مرة تفاجأت بروعتها وعددها وسألت نفسي لماذا هذا الموقع العظيم غير معروف عالمياً إلا بين المتخصصين. الآن هذا الموقع أصبح مرشحاً للتراث العالمي لليونيسكو ، وهو حقاً يستحق ذلك ، وأتمنى أن العالم يدرك أهميته وأهمية حمايته.

ما الذي لفت نظرك في محاضرتك عن الحياة والحضارة في شبه الجزيرة العربية وبالذات فيما يتعلق بالنساء؟

- اليابانيون بشكل عام لا يعرفون عن حياة النساء في الجزيرة العربية، وللأسف بعضهم يظنون أنهن مظلومات بسبب تأثير الأخبار المتحيزة. هذا غير مستغرب لأن الذين استطاعوا أن يسافروا إلى السعودية وشاهدوا حقيقة حياة النساء فيها محدودون للغاية، وحتى ولو سافر إليها الرجال فهم لا يستطيعون الدخول إلى عالم النساء. لذلك عندما ألقي محاضرات في اليابان أحاول أن أستخدم الصور الكثيرة التي صورتها بنفسي في السعودية. طبعاً من الصعب أن أصور النساء ولكن مع مساعدة زميلاتي وأسرة زوجي صورت أشياء تتعلق بالحياة اليومية بحيث يستطيع اليابانيون تصور حياة النساء في الجزيرة العربية بشكل ملموس، ودائماً المستمعون للمحاضرة يتعجبون من مشاهدة المناظر الحقيقية. وكذلك أحاول أن أشرح لليابانيين عن وجود الثقافات المتنوعة في الجزيرة العربية، خصوصاً في منطقة الحجاز التي تستقبل عدداً كبيراً من الحجاج عبر التاريخ، مما أدخل بعض الثقافات الأجنبية في الثقافة العربية بالإضافة إلى ثقافات القبائل العربية.

نريد أن نتعرف على البحوث الحالية عن التراث الثقافي في تهامة عسير، وهو بحث متأخر عام 2015م، وما المقصود بالتراث الثقافي؟

- في هذا البحث تناولت تاريخ البحوث عن التراث الثقافي والتاريخي في تهامة عسير بـ5 أبعاد: تهامة في المصادر التاريخية، الدراسات الأثرية، دراسات العمارات التقليدية، دراسات إثنولوجيا، الدراسات اللغوية. تناولت هذا الموضوع لأنه على الرغم أن البحوث عن تهامة اليمن كثيرة، إلا إن وضع تهامة عسير لا يزال غير معروف في اليابان مع أنها منطقة ثرية ثقافياً، خصوصاً اكتشاف الخزف الصيني من مواقع الموانئ القديمة في هذه المنطقة مثل ميناء عثّر قد يلفت اهتمام الباحثين اليابانيين أيضاً.

هل ثمة تعاون بينك وبين هيئة السياحة والتراث الوطني في المملكة العربية السعودية، وما المشاريع المستقبلية؟

- حالياً لا، لأني أعمل في اليابان ومرتبطة بالكتابة والترجمة والأنشطة الأخرى في اليابان ، لكن دائماً أتمنى أن أسكن في الجزيرة العربية وأعمل في مجال الآثار وأكون قريبة من المواقع الأثرية.

ناطقو اللغة العربية إذا تعلموا الحروف القديمة سيقرؤون النقوش القديمة بسهولة بعد ممارسات بسيطة



حب أبدي

ترجمة/ مي عاشور: مصر

قصة: سو تونغ

سو تونغ: كاتب صيني معاصر، ولد عام 1963، بمدينة سوجو، جنوب شرق مقاطعة تجيانغ سو، درس في قسم اللغة الصينية بجامعة المعلمين ببكين. حصل على عدد من الجوائز من ضمنها جائزة يو دا فو للرواية، وجائزة لوشون للأدب. تعد أعماله من الأعمال الأكثر مبيعاً في الصين.

ربما تجعل قصة الحب التي سأرويها هنا بعض القراء يفقدون الرجاء، وكذلك أثق أيضاً أنها ستهز مشاعر بعض القراء، عندما أنتهي من سردها.

يحكى أنه في سبعينات القرن الماضي، كان في شارعنا، شارع أشجار التون الصيني*؛ زوجان عجوزان، وفي ذلك الوقت كان يبدو أنهما في الستين أو السبعين من عمرهما. كانت الزوجة ممشوقة القوام، بيضاء البشرة، واسعة العينين، يظهر بوضوح جلي أنها كانت جميلة في شبابها. رغم أن زوجها لم يكن قبيحاً، ولكنه كان قصير القامة. عندما كانا يسيران في الشارع، تشعر للوهلة الأولى أنهما غير ملائمين لبعضهما، ولكن عندما تدقق النظر، ترى أنهما متناغمان، وكأنه قد خُلق كل منهما للآخر. لماذا أقول هذا إذاً؟ لأن هذين الزوجين كان كل منهما مرآة للآخر، فيما عدا اختلاف جنس كل منهما، كانت نظرة عينيهما وملامحهما متماثلة، وحتى الحسنتان اللتان تعلوان وجهيهما، كانتا متطابقتين بشكل تام، ولكن واحدة كانت على خد أحدهما الأيسر، والأخرى على خد الآخر الأيمن. عندما كانا يذهبان لشراء الفحم من المتجر، كانا يحملان عصى معلقة بها سلة كبيرة من البامبو، يحملها الزوج من الأمام، أما الزوجة فتحملها من الخلف، وهذا الوضع يختلف عن وضع الأزواج الآخرين في حمل الفحم. ولكن لا يوجد حل آخر، فهما لا يفعلان ذلك من منطلق الإبداع، ولكن الزوجة تلعب دور زوجها، بسبب أنه قصير القامة وخائر القوى.

كان لديهمـا ابنـة متزوجـة. وكانت تتـرك طفلها معهمـا طـوال الوقـت، لا أدري إذا كان ذلك من أجل والديها أو طفلها أو من أجل نفسـها. كانت تعـود إلى بيـت أهلهـا تقريبـاً مرة واحـدة في الأسبوع.

في ظهـر يوم من أيام الأحـد، طرقت الابنة باب بيـت أهلهـا الخارجي (طـاخ طاخ طـاخ)، فانبعثت علـى الفور مـن الداخل أصـوات خطـوات أقدام غير منتظمة، خرج الزوجان المسنان في آن واحد عنـد البـاب، بوجهين بشوشـين ضاحكين ترتسـم عليهمـا علامـات الشـيخوخة، ولكن فجـأة مالت زاوية فميهما الضاحكين إلى اليمين.

لـم تعد الابنـة إلى البيت من أجل الابتسـام في وجـه والديهـا، وكأن مهمتهـا كانـت لومهمـا ووعظهمـا، فقـد قامت بذكـر كل مـا فعلاه من أشـياء خرقـاء بصوت مرتفـع، بما فـي ذلك بركة الميـاه المتجمعـة التـي تركاهـا علـى الأرض، وتدليلهمـا المفـرط لطفلهـا، وإعطـاؤه طعاماً كثيراً ليتناوله، وكذلك تدثيره بملابس كثيرة. كانت تارة تشـرب خُشاف البلح الأحمر، وتارة تقول: (آآه، مهما قلت، فلن يكون هناك فائدة من ذلك، أرى أن الخرف قد أصابكما).

بمجرد أن سـمع والداها هذا الـكلام، ذهبا على عجالـة ليجـردا حفيدهمـا مـن الملابـس الكثيرة التـي كان يرتديها، بـدا على وجهيهمـا علامات الندم، ولم يجرؤا على السـجال، وكأنهما يقران هـذه الحقيقـة: أن العمـر قد تقـدم بهما فعلاً، وأصابهما قدر من الخرف.

لم يمر وقت طويل حتى أمسـكت المرأة العجوز بصدرهـا فجـأة، وهـي تُعد أوانـي الحسـاء، ثم سـقطت صريعـة، قيـل إنهـا ماتـت بسـبب نوبة قلبيـة. كانـت للعجوز شـعبية كبيرة بيـن الناس، فعندما سمع الجيران بهذا الخبر، هرعوا للتعزية. لـم يسـتغربوا لرؤية الابنـة التي لا تبـر والديها فـي المعتـاد، تنتحـب وتبكـي بحرقـة، فالغريب هـو ألا تبكي على رحيل مثل هـذه الأم الرائعة!، ولكـن مـا اسـتدعى اسـتغرابهم، هـو رد فعـل الرجل العجوز، كان جالساً بهدوء متناهٍ إلى جانب جسـد زوجته المتوفـاة، بوجه خالٍ مـن التعابير، لدرجـة أن حفيـده الـذي لا يفهـم شـيئاً سـأله: (لمـاذا لا تبكي يـا جدي؟) فرد العجـوز: (لا يمكن أن يبكي جدك، سـيرحل جـدك مثلما رحلت جدتك، فسـيموت جدك اليوم أيضاً). قـال الصغير: (أنت تخدعنـي، أنت لسـت مصاب بأي مـرض، لن ترحل). هز العجوز رأسـه نافياً: (جدك لا يخدعك، سـأرحل اليـوم أيضاً. لم ترغب جدتك في الرحيل، فهي لا تطيق فراقـي، وأنا أيضاً لا أقـوى على فراقها. أود مرافقتها).

عندمـا سـمع الجميـع كلام العجـوز، لعبت بهم الظنون، وأخذوا ينظـرون إليه بتوجس. ولكن لم تبـد عليـه أي دلالات لوجود نية انتحـار لديه، كان يجلس بهدوء على الكرسي ويراقب جسد زوجته المتوفاة باسـتمرار. أسـدل الليل سـتاره، سـمع النـاس السـهارى صـوت سـعال الرجـل العجوز، مـا لبثـوا أن يبـدوا رد فعل حتـى كان العجوز قد انحنـى أسـفل نعش زوجتـه. في هـذه اللحظة دقت الساعة ذات البندول الموجودة في الصالة (دانغ دانغ دانغ) بشـكل متصل، عندما نظر الناس، كانت الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل!.

تحققـت أمنية العجـوز قصير القامـة، تماماً كما صـرح بها، ذهب بصحبة زوجته، مَن كان سـيصدق هذا الأمر، إن لـم يكن أبصره بعينيه؟. ولكن هذه القصـة حقيقيـة، فهـذان الزوجـان اللـذان ارتبط بقـاء ورحيل كل منهما بالآخـر موجودان بالفعل، وكانـا جيرانـي، رحلا في نفس الليلـة في نهاية السبعينات. توقفت عقارب الساعة القديمة ذات البندول عند منتصـف الليل، وكأنها صدأت، مهما حركها الناس، ظلت ثابتة لا تتحرك.

تبـدو هـذه القصـة بسـيطة جـداً عند سـردها، لا أدري كيـف تراهـا، ولكنني أعتقد باسـتمرار أنها أكثـر قصـة حب تلمـس القلـب ومؤثرة أسـتطيع قولها في حياتي.

---

* أشـجار التـون أو الشـيانغ تشـوين: نوع من الأشـجار تنمو في شـرق وشمال شرق آسيا، هذا النوع من الشجر طويل وكثيف الأغضان وأوراقه داكنة الخضرة أو أرجوانية، وتستخدم أوراقه كنوع من الخضروات.

في الذكرى المئوية لميلاده

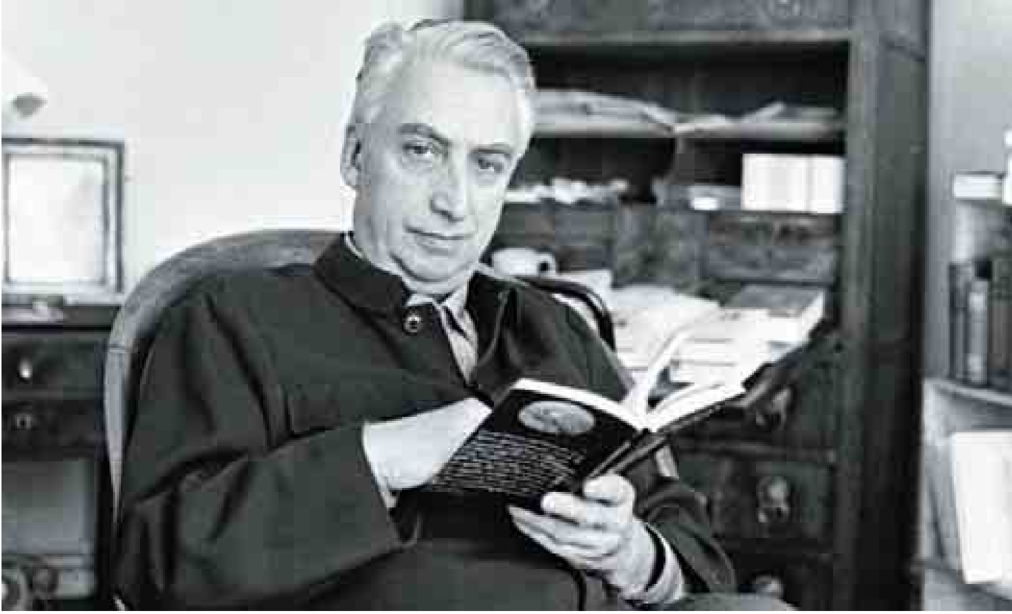
ما الذي تبقى من إرث رولان بارت؟





د.خاليد فؤاد طحطح: المغرب

تتحول الذكرى التي تصادف تاريخ وفاة أو ميلاد عدد من الشخصيات السياسية أو الفكرية إلى يوم للاحتفاء بذاكرتهم وإنجازاتهم، وتختلف طبيعة هذا التقليد حسب ثقافة المجتمعات والدول، وتتراوح ما بين التمجيد المطلق، والنقد المتزن، وقد تساهم بعض الوقائع الراهنة في ربط الماضي بالحاضر من خلال العودة إلى تناول شخصيات ما زالت تخلق أفكارها إلى اليوم تأثيرات وجذباً. وفي هذا الإطار يأتي الاهتمام بأطروحات المفكرين وسيرهم الثقافية.



(إني أرى العينين اللتين شاهدتا الإمبراطورية..) أطلق رولان عبارته الشهيرة هذه عندما شاهد صورة جيروم الأخ الأصغر للإمبراطور نابليون

إن الاحتفاء الذي لقيه رولان بارت مؤخراً، يلقاه عدد آخر من المفكرين والفلاسفة الذين لا زالوا يتمتعون بشهرة واسعة في العالم كله، فرغم مرور عشرات السنوات على وفاتهم إلا أنهم حاضرون باستمرار في المكتبات، والأمر نفسه بالنسبة لسيرهم الفكرية، التي تلقى شغفاً دائماً من لدن المهتمين، وذلك بخلاف السِّيَر التي تتناول رجال السياسة والأعمال، إذ يرتبط نجاحها المؤقت في الغالب بنبشها في الفضائح الأخلاقية وقضايا الفساد السياسي التي تطاردهم، ليخمد بعد ذلك ذكرهم إلى الأبد، وتتوارى فضائحهم مع مرور الوقت إلى خلفية الستار أمام بروز فضائح جديدة لشخصيات أخرى تتصدر واجهة الأحداث، لتخبو بدورها في أجل قصير من صدورها.

في الثاني عشر من نوفمبر كان موعد الفرنسيين، مع الذكرى المئوية لميلاد رولان بارت، إذ رأى النور في بلدة صغيرة تدعى ستيربورغ بشمال فرنسا سنة 1915، وهو يعد أحد أشهر الأدباء والنقاد في القرن الماضي، وبهذه المناسبة المئوية كان لافتاً حجم الاهتمام الكبير الذي لقيه، حيث نظمت العديد من المحافل الأكاديمية والثقافية قراءات لكتاباته وأفكاره، شارك فيها عدد من الباحثين من مختلف التخصصات، منهم من ليسوا بالضرورة مناصرين له. كما اكتسحت فجأة كتبه أروقة المتاجر، وخصوصاً مؤلفه الذائع الصيت «الدرجة الصفر من الكتابة»، الذي عاد بقوة إلى الواجهة. ونظمت بالمناسبة مكتبة فرنسا الوطنية معرضاً مفتوحاً عنه دام من مايو إلى غاية شهر يوليو من العام المنصرم، وعرضت خلاله مراسلاته التي نشرت لأول مرة، وتم التوقيع على عدد من الكتب التي اهتمت بسيرته، ومنها كتاب تيفين ساموبو، الذي اعتمد مراسلاته السرية ومخطوطاته غير المنشورة، ومقابلات همت أصدقاءه وعائلته، وقد سلط الضوء على عدد من القضايا الشائكة في حياته الشخصية، ومنها علاقته بأمه، وبميشيل فوكو، وجاك دريدا، وجوليا كريستيفا، وبالآخرين ممن تقاطعوا معه خلال مساره المعرفي. ومما فنده الكتاب صورة الاكتئاب التي ألصقت به نتيجة تأويل خاطئ لما جاء في كتابه يوميات حداد، والذي صدر بعد تسع عشرة سنة من وفاته، وهو عبارة عن يوميات غير مكتملة، بدأ تحريرها بشكل متقطع، بعيد وفاة والدته مباشرة، واستمر في تدوينها إلى ما قبل وفاته بسنة (أي ما بين 1977-1979).

ومن المعلوم أن علاقة عاطفية قوية جمعته بوالداته، فقد كتب عنها بعشق كبير، ولذا تأثر كثيراً حين افتقدها لدرجة أن حادث الموت ظل يسكنه باستمرار، وهو ما نلمسه في كتابه «الغرفة». كما سلطت سيرة ساموبو الضوء أيضاً على صعوبات الحياة التي واجهته، إذ فقد رولان بارت في سنته الأولى أباه عام 1916، وذلك خلال الحرب العالمية الأولى. كما عانى من المرض الذي ألم به خلال مراحل حاسمة من حياته، فقد زاره داء السل في لحظات حرجة من حياته. وإلى جانب الكتابة التي احترفها، أتقن بارت أيضاً العزف على البيانو، وكان من هواة الرسم بالألوان المائية، كما أقام لمدد قصيرة ببلدان مشرقية، ومنها المغرب، حيث ألقى دروساً في جامعة الرباط ما بين سنتي 1969 و1970، وقبلها باليابان في الفترة ما بين 1966 إلى 1968. وتعكس بعض

نصوصه سطوة السحر الذي مارسه عليه الشرق.

إن صور هذا المثقف، المتميز بلباسه الرسمي الأنيق، وبسيجارته التي لا تفارقه إلا نادراً، والذي صدمته سيارة أمام مقر الكوليج دو فرانس، سنة 1980، منهية بذلك مسيرة حياته الغنية بالعطاء المعرفي والعلمي؛ تصدرت أغلفة العديد من كبريات المجلات والصحف العالمية، وبالخصوص الفرنسية، التي عادت في السنوات الأخيرة إلى ترسيخ ثقافة الاحتفاء برموزها. فمن خلال عناوين بارزة من قبيل: «قرن رولان بارت»، و«كتابات رولان بارت بانوراما» و«رفقة رولان بارت»، استعيد من جديد مفكر لم يفقد راهنيته، ولذا ليس من الغريب أن يستحضر في فترات معينة الإرث الكبير لهذا الناقد الأدبي الكبير، الذي ساهمت أفكاره في صياغة العالم الأدبي للقرن العشرين، من خلال عطائه الكبير في مجال النشر، إذ خلف وراءه أكثر من 17 مؤلفاً، أشهرها: الدرجة الصفر من الكتابة (1953)، أسطوريات (1957)، الحياة الجديدة.. مبادئ السيمولوجيا (1962)، نظام الموضة (1967)، إمبراطورية العلامات (1970)، مبادئ السيميائيات (1974)، الغرفة المضاءة.. تأملات في الفوتوغرافيا (1980).

تعددت اهتمامات رولان بارت، إذ اكتسح عدداً من الأنساق الفكرية المختلفة، فقد ظل ينتقل من حقل لآخر، غير أن اسمه ارتبط أكثر بالسيميائيات، حيث كان من أوائل من كتبوا في هذا التخصص المغلق استناداً إلى اللسانيات البنيوية التي شكلت خلفيته النظرية. وقد نظر إلى هذا المجال، ليس كمادة تدريس وتخصص فقط؛ وإنما كمغامرة شخصية خاضها برغبة جامحة.

تعود بداية اهتمام رولان بارت الأولى بالسيميائيات إلى نهاية الخمسينات، حيث أصدر في هذا المجال كتاب أسطوريات سنة 1957، وهو الكتاب الذي جعله معروفاً أكثر لدى القراء والمهتمين والباحثين كناقد متمرس، إذ كشف عن طرائق مبتكرة في التفكير والنقد اللغوي، وقد تناول فيه بالتتبع قضايا من الحياة اليومية.

لن نقوم في هذا المقال بمناقشة القضايا والمفاهيم التي تضمنتها أطروحاته بتفصيل، كما لا يغني ما نقدمه عن قراءة كتبه، بل إننا نراهن على العودة إليها من جديد، وإنما الحاصل أن ما نشعر به من فضول هو ما يغرينا اليوم للاهتمام بقراءة حيوات الآخرين، وكثيراً ما يكون ذلك ناجماً أساساً عن حاجتنا إلى طمأنة أنفسنا، حيث تبعث قراءة سير الآخرين -وخصوصاً الشخصيات الفكرية المشهورة- الطمأنينة والرضا، فهي تعطي معنى لحياتنا، وتبعث فينا شعوراً مختلفاً، إذ تقربنا منهم بشكل أكبر. وفي هذا الصدد نستحضر تساؤل رولان بارت الشهير: «لماذا يجد بعض الناس -وأنا منهم- في المؤلفات التاريخية والروائية وكتب السيرة لذة ما يصوره الكاتب من الحياة اليومية التي يختص بها شخص أو عصر؟ ولِمَ هذا الفضول لمعرفة أدق التفاصيل، من قبيل العادات والأطعمة والملابس.. وهلم جرا؟». ويحيلنا بارت جواباً عن هذه الأسئلة إلى الحماس النابي لدى الأفراد، فالحاجة إلى تأمل الذات هي التي تحدو بالقارئ إلى الاطلاع على سيرة غيره.

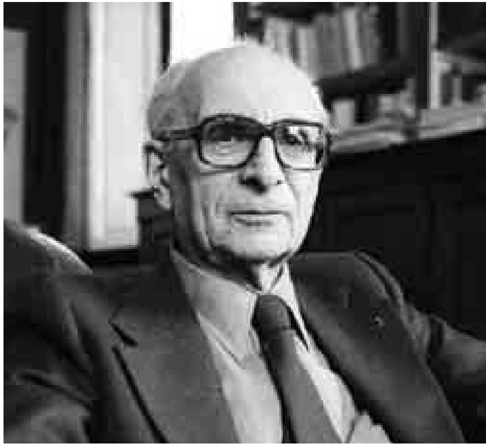
قد نسبح هنا ضد التيار، إذ نخالف هنا المواقف العدائية

رولان بارت: لماذا يجد بعض الناس -وأنا منهم- في المؤلفات التاريخية والروائية وكتب السيرة لذة ما يصوره الكاتب من الحياة اليومية التي يختص بها شخص أو عصر؟



ارتبط اسم رولان أكثر بالسيميائيات حيث كان من أوائل من كتبوا في هذا التخصص المغلق استناداً إلى اللسانيات البنيوية التي شكلت خلفيته النظرية





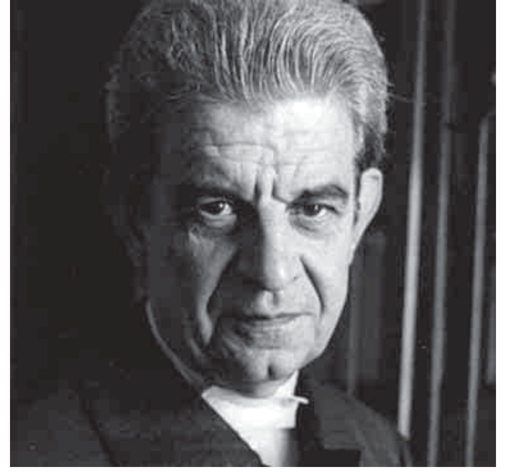
التي ترفض الغوص في الحياة الشخصية باعتبار الأمر غير ذي جدوى، فالفيلسوف بروغسون نصح من أراد كتابة سيرته عدم الاكتراث بحياته، وأن يركز فقط على أعماله، كان مصراً على وجهة النظر التي تقول إن حياة الفيلسوف لا تُسَلِّط أي ضوء على مذهبه وتوجهاته. ونجد الرأي نفسه عند أديبنا الناقد رولان بارت، فالظاهر أنه مستعد لأن يفعل المستحيل حتى لا يحتويه تعريف، إنه لا يحتمل أن تتشكل له صورة، ويتعذب لدى ذكر اسمه، هذا ما يقوله عن نفسه رغم ضمير الغائب الذي استعمله في سيرته الذاتية غير المألوفة التي نشرها تحت عنوان رولان بارت بقلم رولان بارت (1975)، فما يكافح بارت ضده هو أن يصبح شيئاً يُدَرَّس، لقد اعتبر السيرة نوعاً أدبياً كريهاً، وكان يسخر من تقاليد السيرة الأدبية، لأنها في نظره تمثل وحدة مزيفة لموضوعها، إنها نصب تذكاري مزيف، ولا تمثل الحياة تمثيلاً صادقاً.

كتب رولان بارت سيرته الذاتية السابقة الذكر، وهي نموذج لعمل خيالي متميز، وذلك بصيغة ضمير الغائب، ليتملص من نبرة الاعتراف والبوح. وقد عبر أنه ليس كتاباً عن أفكاره بقدر ما هو كتاب عن الأنا. ولذا فإننا لن نخذله في هذه الالتفاتة التي خصصناها له، حيث لن نتخذ من حياته المفتاح لأعماله الأدبية، وإنما بالعكس سنجعل أعماله مدخلاً لإضاءة أجزاء من فترات حياته.

نعود إلى بدايات الشهرة، وبالضبط إلى سنة 1966م، حيث نشرت مجلة أدبية فرنسية رسماً يصوِّر أربعة من المفكرين: كلود ليفي ستراوس **Claude Lévi-Strauss**، ورولان بارت **Roland Barthes**، وميشيل فوكو **Michel Foucault**، وجاك لاكان **Jacques Lacan**، يفترشون الأرض تحت بعض الأشجار المدارية، وهم يرتدون التنانير والخلاخل التي اعتدنا رؤيتها في الصور الكاريكاتورية التي تُصوِّر المتوحشين، ولم يكن هذا الرسم بحاجة إلى تعليق، ولكنه عُرِفَ بعد نشره بعنوان: حفلة غداء البنيويين، ولم يقصد الرَّسَّام أن يسخر من شخصياته، بل كان يعترف بوصول هؤلاء إلى الحياة الفكرية الفرنسية بوصفهم قوة جديدة ذات شأن كبير.

كانت البنيوية طريقة لمقاربة النصوص والممارسات التي تُستمدُّ من الأعمال النظرية لعالم اللغة دي سوسير. وأنصارها الرئيسيون هم فرنسيون: لويس التوسير في النظرية الماركسية، ورولان بارت في الدراسات الأدبية الثقافية، وميشال فوكو في الفلسفة والتاريخ، وجان لاكان في التحليل النفسي، وكلود ليفي ستراوس في الأنتربولوجيا، وبيار ماشيري في النظرية الأدبية. وكان العدو لهؤلاء الوجودية وزعيمها بول سارتر، إذ لم يتورع رولان بارت من توجيه سهام نقده له سنة 1953م في مؤلَّفه درجة الصفر في الكتابة، ويعتبر هذا الكتاب تأسيسياً، يتناول فيه بارت القضايا الرئيسة في مفهوم الكتابة والنص، ويعد جواباً عن سؤال طرحه سارتر قبله في كتابه «ما هو الأدب؟»، وقد اتخذ مكانته بين كلاسيكيات النقد الحديث، بحيث أصبحت عبارة «الكتابة في درجة الصفر» من المفاهيم المعيارية التي فرضت حضورها في المصطلحات النقدية.

وجب التذكير بأن رولان بارت ابتعد، شأنه شأن غالبية الفلاسفة والكتاب، عن البنيوية. وقد بدأ ذلك بشكل ملحوظ مباشرة بعد حدث 1968، ولا يقتصر الأمر على ألتوسير وفوكو اللذين حرصا على نفي صلتهما ببنيوية ليفي ستراوس، ، بل يتجاوزهما إلى رولان بارت الذي أعلن عام 1970 أنه هجر الطريقة التي كان يتبعها عام 1966 عندما كتب مدخله الشهير إلى «التحليل البنيوي للقص». ومنذ ذاك الوقت وهو يشق طريقه بمقالات وإصدارات متنوعة خلقت الكثير من الجدل حولها، وقد كشفت محاضراته التي كان يلقيها على الطلاب في الكوليج دو فرانس مقدار انفتاحه على مشارب مختلفة من العلوم





عاش رولان علاقة عاطفية قوية جمعته بوالدته فكتب عنها بعشق كبير.. ولذا تأثر كثيراً حين افتقدها لدرجة أن حادث الموت ظل يسكنه باستمرار

الإنسانية والاجتماعية، ونخص بالذكر درسه الافتتاحي الشهير الذي ألقاه سنة 1977 بعنوان: «كيف نعيش سوية: الرواية في الحيز اليومي».

تَسَع أعمال رولان بارت حقولاً معرفية متعددة لدرجة يصعب معها تحديده في إطار معين، غير أن تأثيره الكبير مسَّ بالأساس علم الدلالة، فقد عكف على دراسة علاقة الدال بالمدلول والمعنى في الأدب، إنه مغامر في مواجهة النص، ذاك ما كتبه عنه فرانك إيفرار بالتعاون مع إريك تينيه، وما يحسب له نجاحه في هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر، إذ استطاع أن يخلق مفهوماً جديداً للكتابة مختلفاً تماماً عما كان سائداً من قبل، حيث أصبح واحداً من النقاد الكبار في مجاله، بل إنه حاز أعلى مرتبة أكاديمية بالكوليج دو فرانس من خلال تصدره كرسي السيمياء الأدبية من سنة 1977 إلى سنة 1980، وجاء ذلك باقتراح من زميله الفيلسوف ميشيل فوكو. وكان قد تولى قبل ذلك مسؤوليات في مؤسسات معتبرة منها مدير العمل بالقسم السادس من المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في عام 1960، ومدير الدراسات (قسم علم الاجتماع للعلامات والرموز) بها في عام 1962.

تعالج الدلالة عنده موضوعات مختلفة لها أبعاد متعددة، وكلها تمر عنده عبر اللغة، ولذا أعطى أهمية كبرى للعلامات والسيميائية، لأنها في نظره الأساس الذي تقوم عليه الدراسات اللسانية. وفي أوج عطاءاته دخل في صراعات مريرة مع منتقديه من الكلاسيكيين التقليديين الذين هاجموه من القلعة العتيدة السوربون، ولم يعترفوا بمكانته إلا حين أصدر نصه الأدبي الرفيع «شذرات من خطاب عاشق».

ومن بين اهتماماته الأخرى التي حقق فيها أعلى درجات الكمال تنقيبه في العلاقات والصلات الموجودة بين اللغة والصورة الفوتوغرافية، حيث شكلت الصورة جزءاً من تأملاته في ميدان السيمولوجيا، وهي عنده تتخذ شكلاً لفظياً لحظة إدراكها، وقد عزز فكرته بالعديد من الأمثلة لتبيان وظائفها وحمولتها، وقد كانت له مع الصورة قصة شهيرة، فحين وقعت عيناه على صورة جيروم الأخ الأصغر للإمبراطور نابليون بونابرت، عبر بالقول: «إني أرى العينين اللتين شاهدتا الإمبراطورية». إنه بهذا إنما يقوم بتوليد المعنى من خلال الصورة، عبر توضيح الآليات التي توظفها للتأثير على المشاهد، وفي المضمار نفسه سلط منظاره البحثي على الأشكال والمحتويات التي توظفها الفوتوغرافيا، سواء في المجال الفني أو الإشهاري. وما تزال إسهاماته في النقاش حول الصورة والفوتوغرافيا إلى الآن معتمدة في التعامل مع ما تثيره الصور حالياً في مجتمعاتنا، وبالخصوص مع النمو المضطرد لوسائل التواصل البصري، وبالخصوص السينما التي تعتبر الوسيلة الفضلى للتعبير اليوم، فهي القاطرة المثلى التي تنقل بعض الأعمال إلى النجاح والشهرة بسرعة كبيرة، لأنها متاحة أمام الملايين من الناس، وهي تضفي صفة تفاعل ومتابعة سير عمل معين. لكن ليس علينا أن نعتقد أن الأمر يتعلق بوسيط شفاف يعيد إحياء الأحداث، وإنما تأثيرات الواقع قد لا تنجح بسهولة في السينما كما عبر رولان بارت.

لم تفقد مؤلفات رولان بارت بريقها، فالنقاش مازال مستمراً بشأنها، ولعل استثمار الذكرى المئوية لولادته فرصة لمناقشة أعماله لها ما يبررها. وبالتأكيد لن يكون التكريم المخصص له من قبل المؤسسة العريقة الكوليج دو فرانس يوم السبت 16 فبراير 2016، بعنوان «مع رونالد بارت» هو الأخير في هذا المضمار؛ بل إن ذلك لن يكون إلا بداية جديدة لإعادة النظر في كتاباته، وإعادة تقييم أهميتها في تاريخ الأفكار.



سوق الخميس

خليل إبراهيم الفزيع: الأحساء

المكان: الهفوف

الزمان: ذات خميس من عام 1969م

أخذت أصوات الباعة ترتفع.. كل ينادي على بضاعته.. الكتل البشرية تتحرك في فوضى مستمرة.. فلا تكاد تنفصل عن بعضها، نساء.. رجال.. عربات نقل تجرها الحمير.. بقر وجمال.. حيوانات آدمية وغير آدمية.. الكل مشغول ببيع أو شراء ما في يده.. بينما حمل بعض الصبية سلالاً تغص بالفاكهة، وأدوات الطبخ، والملابس القديمة والجديدة، والكثير من الأشياء القابلة للبيع والشراء، حتى وإن كانت قديمة فستجد من يشتريها في هذه السوق التي تقام كل خميس، ويحضرها الكثير من سكان الضواحي والقرى المجاورة، والبدو الرحل الذين يأتون لبيع الحطب وغيره مما تجود به الصحراء، بعد رحلة تدوم طويلاً في البراري.

كانت سوق الخميس نموذجية رغم فوضويتها المتناهية، فأصحاب المحلات التجارية في جهة معينة، ومحل بيع التمور في جهة أخرى، وكذلك باعة الخضار الذين يفترشون الأرض، وباعة اللحوم الذين يستعينون بقطع كبيرة من الخيش لحماية اللحوم من التلوث بالتراب، وباعة الأدوات المنزلية وغيرها.. كل في جهة معينة، وقد اختفى كل واحد من هؤلاء الباعة بمظلة صنعت من الخيش وسعف النخيل تسمى (عمارية).. كانت كل فئة تكوِّن سوقاً صغيرة تندمج في السوق الكبيرة، وهي تتساوى في الازدحام، ابتداء من بوابة الخميس.. حتى (الحميدية)، التي كانت في السابق تحتلها المدرسة الوحيدة في المدينة، ثم احتلتها دائرة الشرطة، قرب سوق التمر والدهن، وتطل على كل ذلك (القيصرية) بشموخها ومبناها العتيق، ودكاكينها الضيقة التي تفيض منها البضائع لتستولي على جزء من طريق المارة.. أحياناً عندما تزدحم السوق وتزيد حركة البيع والشراء، تزحف الجموع المنتشرة لتحتل منطقة كبيرة من بداية شارع (السويق) الذي تمتد على جانبيه حوانيت (الخرازين) وفي نهايته يقع سوق الحطب بالقرب من بوابة (الجرن). ومن المساحة الممتدة من بوابة الخميس في الشمال إلى بداية شارع (السويق)، تتفرع شوارع صغيرة، وأزقة متعرجة.. تزدحم هي الأخرى بالكتل البشرية المتحركة، ومنها شارع الحدادين، وآخر يسمى شارع الخباز، ويقع في بدايته المستشفى مقابل بوابة (الكوت)، الحي الذي يفصله عن السوق وعن المدينة بكاملها سور كبير، يمنع من الوصول إليه خندق بدا عمقه يختفي مع مرور الزمن، وفي بداية شارع (السويق) تتفرع الطريق غرباً إلى (أم الخبيصي)، حيث يقل الازدحام لكبر مساحتها، وفي أجزاء نائية منها، ربطت حمير الوافدين إلى المدينة وعقلت جمالهم، وفي أجزاء متباعدة انتشرت شحنات (الجص) التي رصت قطعاً فوق بعضها بشكل هرمي،

استعداداً لحرقها قبل استعمالها لبناء وطلاء المنازل.

كان عليان ينتقل من مكان إلى آخر.. لشراء أشياء كثيرة، كلفته أمة وبعض الجيران في القرية بشرائها، بعد أن يبيع ما بحوزته من البطيخ الذي أحضره على حماره إلى المدينة، ولم تنس أمه وهي تطوقه بنظراتها قبل أن يتحرك موكبه.. أن تقول بابتسامتها الحانية:

لا تتأخر يا عليان.. ولا تنسى أشياء الجيران.. و(المرة والزعفران والهيل والشب و..) وراحت تتلو قائمة طويلة من الأشياء التي سمعها أكثر من مرة.. إلى أن قالت:

- الله يحفظك.. تعود بالسلامة.

أمه طيبة كغيرها من أمهات القرية الطيبات.. ليته لا ينسى شيئاً مما أوصته، حتى لا يعكر مزاجها.. إن ذاكرته ضعيفة، هذه مصيبته التي لا يستطيع التخلص منها، وها هو لم يشتر حتى الآن إلا حقيبة لابن عمه الصغير الذي سيبدأ هذا العام دراسته كأول فرد في الأسرة يقدر له أن يتعلم، ومع أن عمره لم يبلغ العاشرة إلا أن فرحة الأسرة به لا توصف، وكانت فرحة الأم والأب أكبر.. فالمستقبل الزاهر سيفتح لابنهم أبوابه، ولهم بعد أن يتعلم.

وماذا غير الحقيبة؟ قلم رصاص ودفتر لابن عمه أيضاً، وجرة صغيرة لأم صديقه جاسم التي تنوي الحج هذا العام، وسراج لجاره العجوز يوسف.. لقد انتهى من مرحلة البيع، وبدأت مرحلة الشراء وهي أشد وأقسى.

اصطدمت عجلة عربة يجرها حمار.. برجل يحمل الفقر، فصرخ قائلاً:

ألا ترى؟ عمى في عينك.

عاد صاحب العربة إليه بعد أن ترك حماره.. وقال كلاماً مقذعاً لا يذكر، فتبادلا الشتائم، وأمسك كل منهما بالآخر.. رأى عليان أحد رجال الأمن يتدخل، ويقود المتنازعين إلى (الحميدية) استاء بعض المتفرجين، لكن هذا التصرف لاقى استحساناً من آخرين.

الجموع الزاحفة تجرفه معها إلى أماكن لا يريد الوصول إليها، فكان عليه أن يجاهد كثيراً قبل أن يصل إلى أحد الذين تعود أن يشتري منهم أشياءه، وأشياء غيره كلما أتى إلى المدينة.

وجد نفسه فجأة أمام منظر لم يتعوده.. رجال الشرطة يشكلون حلقة دائرية.. المتفرجون يتزاحمون لرؤية المنظر الفظيع.. تحقق من المنظر بعد أن خامره الشك.. فغر فاه.. كانت يد قد قطعت، وصاحبها يتلوى كأنما ألقي به في نار يحاول الفرار منها.. بركة من الدم القاني بجانبه، وقد تجمعت في هذه البركة وفي نفس عليان كل معاني الذعر.. طوقه الخوف من كل الجهات، وحاول أن يترك هذا المنظر بعد أن التقطت أذناه كلاماً لا يعرف قائليه:

هذا جزاؤه.

سرق فقطعت يده.

وكيف اعترف بجريمته؟

الحق لا يضيع يا أحمد.. والمجرم لابد أن يأخذ جزاءه.

زنبيلاه اللذان أحضر فيهما البطيخ لا يزالان على كتفه، بعد أن وضع أحدهما في الآخر، ومعه الحقيبة والقلم الرصاص والدفتر والجرة الصغيرة والسراج الجديد، أما حماره فقد ربطه في (أم الخبيصي) مع غيره من الحمير.. إذا عاد إلى القرية سيحدثهم عما رأى، ولن ينسى أن يزيد على الحادث ما يسمح به خياله من تهويل، لا مانع من أن يخبرهم أنه شهد الحادث من بدايته، ولم تهتز في جسمه شعره.. لم يهتم لأن المنظر عادي.. وهو يعلم أنه لو شهد الحادث من بدايته لأغمي عليه.. وشعر بالخجل يتكاثف في نفسه بعد أن عرف أنه سيكذب، والكذب عادة قبيحة، ولكن هذا الحادث سيكون مادة طيبة للحديث فترة طويلة في القرية.

غاثت نفسه بعد أن استعاد المنظر الفظيع، وهو يبتعد عنه.

ترك عليان المكان بصعوبة.. لا تزال لدى الجميع رغبة للاستمرار في رؤية المنظر الفظيع، حتى الذين يطلون من شرفة (الحميدية)، لم يغادروا أماكنهم بعد.

صاح بائع الملابس القديمة بصبي المحل:

هات الثوب الصوف الأزرق.

حاضر يا عمي.

والتفت بائع الملابس القديمة إلى الزبون الواقف أمامه، وقال بعد أن انتهى مع زبون آخر:

هذا الثوب غالي الثمن.. أنت حكيم لأنك تشتري ثياب الشتاء في الصيف، وثياب الصيف في الشتاء، قبل أن تطالها يد الغلاء الموسمي.. وسوف أبيعه لك بسعر أقل من غيرك.. أنت عميل تستحق كل خير.

عندما أحضر صبي المحل الثوب.. قلبه الزبون قليلاً، ثم دفع قيمته بعد مساومة لم تدم طويلاً.. الباعة في المدينة محتالون.. عليك أن تنتبه يا عليان. هكذا تقول له أمه كلما أراد الحضور إلى المدينة.

الربح هذا اليوم وفير، لم يكن يتوقعه، رغم أنه تمنى الحصول عليه وهو في طريقه من القرية.. يردد أغنية ريفية جديدة حفظ بعض كلماتها، ولكن بلحن جديد بعد أن فشل في تذكر لحنها الأصلي.. بإمكانه الآن أن يشتري الكثير من الأشياء التي تحتاجها الأسرة، وسيعود بمبلغ لا بأس به، سيضيفه إلى المبلغ المدخر لشراء قطعة الأرض المجاورة لحقله، فصاحبها الطاعن في السن يرغب في بيعها، ، وهو أحق من غيره بشرائها، وبها سيكبر حقله، ويزيد إنتاجه، وسيدخر في سنوات الخصب للسنوات العجاف، فلن يمر بالأزمات التي يمر بها سكان القرية في سنوات القحط.. أو حين يحصد الجراد الإنتاج بدلاً عنهم، أو تفتك الآفات بالمزروعات، وتتجمع عوامل الطبيعة ليأتي الإنتاج هزيلاً إن لم يُقضَ عليه قضاء مبرماً، فيحل الخراب والدمار ببيوت القرية، وتختفي البسمات من الوجوه، وتغور البهجة إلى أبعاد سحيقة من الألم والعذاب، فلا يملك الجميع غير تحمل المصيبة بصبر وجلد من تعود عليها.. يشقى الجميع سوى مجموعة قليلة ممن يملكون مالاً يستعينون به وقت الحاجة.. سينضم إلى هذه المجموعة بعد أن يشتري قطعة الأرض ويزيد إنتاجه.

كانت حواسه تلتقط المتناقضات.. روائح كريهة وطيبة.. مناظر مؤذية وجميلة.. أجساماً خشنة وناعمة.. أصوات سب وشتم ورجاء واستعطاف.. ما هذا الازدحام؟ إن زنبيليه قد يقعان من على كتفه رغم تمسكه الشديد بهما، بيديه الاثنتين.

شغل ذهنه.. يتذكر.. ماذا عليه أن يشتري الآن؟ عليه أولاً أن يذهب إلى غير هذا المكان، وبإمكانه العودة لشراء ما يحتاجه منه وهو في طريق عودته ليأخذ حماره.. أمامه الآن عمل عليه أن يؤديه.. تذكر الآن صوت أمه وبسمتها الحانية وهي تقول:

لا تتأخر يا عليان.

كانت الشمس قد بدأت ترسل سهاماً نارية من حرارتها اللاهبة، وقد احتمت الرؤوس بالمظلات الثابتة أو المتنقلة، أو الزنابيل التي حشرت فيها الأصناف المختلفة كيفما اتفق، وانحشرت جموع في (القيصرية) والأماكن المظللة الأخرى، وتصبب العرق من الجباه، ووجدت طبقات من الغبار فرصتها لتلتصق بالأجسام والثياب المبللة، ونشط الصبية في بيع المياه غير النظيفة على الجموع التي بدأت تهرب شيئاً فشيئاً من حرارة الشمس، وشتم خباز صبيه لأنه لم يملأ الجرة بالماء، ونظر إليه أحدهم بعين واحدة، وتبول آخر بعد أن أعطى وجهه للجدار، وبدأت الأجسام تتحاشى الالتصاق بعد أن تسرب منها الكثير من العرق، وثارت ثائرة الذباب فقرص الخدود في عناد، وتكتل على التمور والحلويات المكشوفة، ومسح عليان العرق الذي نضحه وجهه، بظهر يده التي أعادها لتساعد الأخرى في حمل الزنبيلين وما فيهما.

العرق يتصبب منك يا عليان.. عليك أن تنهي المهمة وتعود.. الطريق إلى القرية ليست قصيرة، وقبل حلول الظلام لا بد أن تكون هناك.. حتى لا تقلق عليك أمك.. أنت لا تريد أن تثير قلقها.. فلماذا تبطئ في شراء ما تريد؟

اتجه عليان إلى صاحب دكان.. اشترى منه أشياء، ولما هم بأن يعطيه ثمنها.. وأدخل يده في جيبه ليخرج النقود.. لم يجد شيئاً.. لم يصدق.. فتش جميع جيوبه ولكن دون جدوى. في لحظة.. تبخرت أحلامه، اجتاحته موجة من الخيبة لم يتمكن معها من نسيان من ينتظره في القرية بفارغ الصبر.

هل انتهى عصر الفلسفة الكبرى؟ (2)

تباريح



أبو عبدالرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: في الحلقة السابقة كنت مع نصوص من كتيب "صوت من الجانب الآخر" لفتحي سلامة؛ ولي إن شاء الله تعالى عودة مع هذا الكتيب في إحدى الجولات القادمة.. والمراد بعصر الفلسفة الكبرى: اتخاذ العلم المادي مصدراً للمعرفة والعلم!!.. والواقع أن "العلم المادي" مسبوق بحصول المعرفة والعلم في العقل البشري؛ فإنتاج هذا العلم ثمرة من ثمار "نظرية المعرفة والعلم"؛ وليس ذلك منافياً توسع المعرفة والعلم بمصادر حسية من العلم المادي نفسه؛ ولكن لا بد من الحذر من كيد المفسدين في الأرض، وأعظمهم خطراً "يهود" الذين أحلتهم محادتهم إرادة شرع ربهم الذي استيقنوا أنه صلاح البلاد والعباد بما نصبه الله لعباده في الأنفس والآفاق من البراهين التي لا محيص للعقل البشري عن الإيمان بها على العدل والحكمة والرحمة؛ فجحدوها واستيقنتها أنفسهم اتباعاً لأهواء أهمها عندهم كسب المال بالربا، وبصنع وإعداد وتسويق كل ما هو من "غسيل المال" كالمخدرات، والبغاء.. وفي أسفار "العهد القديم" الذي حرفوه من بعد مواضعه، أو أضافوه إليه افتراءً على الله.. إضافة إلى افترآت "الحاخامات" في علومهم الكلامية "اللاهوت الطبيعي الوضعي".. وإليكم هذا النموذج من نماذج كثيرة؛ وهو الخطاب الذي وجهته الأغلبية الصامتة من يهود أمريكا "أي المتدينون منهم" إلى "جورج دبليو بوش": (فخامة الرئيس العزيز "جورج دبليو بوش": نكتب إليكم بسبب اهتمامكم بمعاناة شعوب الشرق الأوسط، ورغبتكم في القيام بشكل نهائي بإنهاء نزيف الدم والعنف هناك.. نحن نصلي من أجل السلام والأخوة، ونود على أي حال أن نستلفت "الصواب: نلفت" بكل احترام انتباهكم إلى أنه بالرغم أن "الصواب: على الرغم من أن" إدراككم بأن هناك العديد من اليهود يدعمون ويؤيدون دولة إسرائيل؛ فإن الذي يحتمل ألا تكونوا قد سمعتم عنه: هو وجود أغلبية صامتة من اليهود معارضة للصهيونية تظل وسائل الإعلام متجاهلة لها؛ وهي أغلبية باقية على صمودها في الولاء لتعاليم حاخاماتها التي تقول: "إن الفكر الصهيوني ينافي تماماً ديانتنا اليهودية"، وللحصول على معلومات أكثر فإن هناك عدداً من المواقع على الإنترنيت تناقش هذا الموضوع مثل "**www.jewsagainstzinism.com**"؛ وهي المواقع التي نعلم أنكم سوف تجدونها ذات فائدة ومثيرة "الصواب: بدون واو" "من" حيث إنها تضم وثائق تاريخية، وصوراً فوتوغرافية تتعلق بمعارضة ضاربة في أعماق الزمن يعلنها حاخاماتنا الموقرون.. منذ تدمير المعبد المقدس في القدس، ونفي الشعب اليهودي قبل حوالي ألفي عام مضت: فرض علينا أن نكون على ولاء صحيح للدول التي أقمنا فيها، ولم نسع على الإطلاق للقيام بإنشاء دولة مستقلة ذات سيادة في الأرض المقدسة، أو في أي مكان آخر في العالم.. لقد أعلن أحد أعظم أنبياء الكتاب المقدس "جيرميه" في الفصل **29** من كتاب "رسالة الرب لكل المنفيين" حيث تقول الآية التاسعة "اسعوا إلى تحقيق الرفاه في المدينة التي نفيتكم إليها، وصلوا من أجلها لله تعالى؛ لأنه من خلال رفاهها سوف يتحقق رفاهكم"؛ وقد كانت تلك الآية حجر الزاوية في الأخلاق اليهودية طوال تاريخنا وحتى "الصواب: بدون واو" يومنا هذا.. إن الحركة الصهيونية ترفض كافة المبادئ الأساسية للتوراة والحاخامات.. إن اليهود ليسوا في حاجة إلى دولة تكون لهم وحدهم؛ لأن إقامة دولة يهودية يعد انتهاكاً خطيراً

لتقاليد اليهود وقوانينهم؛ لذلك فإن الصهاينة لا يمثلون الشعب اليهودي بأي طريقة كانت.. كما أن "الصواب: أنه" ليس لهم الحق في أن يتحدثوا باسم الشعب اليهودي؛ ولذلك فإن أقوالهم وإعلاناتهم وأفعالهم لا تمثل الشعب اليهودي بأي حال من الأحوال.. إننا نشعر بالأسى والأسف؛ بسبب الأفعال والسياسات التي ينفذها هؤلاء الذين يسيئون استخدام اسم إسرائيل، والذين "الصواب: بدون واو" جعلوا فكرة القومية المثالية بديلاً لتعاليم "الأفصح: من تعاليم" التوراة المقدسة؛ لذلك سيدي الرئيس فإن الأمر الأكثر إلحاحاً هو أنه ينبغي ألا يشار إلى دولة إسرائيل على أنها دولة يهودية؛ لكن يجب أن يشار إليها على أنها دولة صهيونية.. إن أساس وجودها ليس "هو" الديانة اليهودية؛ لكنه الفكر الصهيوني.. إننا نشعر بقلق شديد من أن الإشارة إليها على أنها دولة يهودية: يعرض رفاه اليهود في العالم كله للخطر من خلال ربط اليهود واليهودية بأفعال الدولة الصهيونية.. إن الدولة الصهيونية، ومن يدعمها ويؤيدها في العالم كله: تسعى إلى اتخاذ كافة الإجراءات الممكنة بما في ذلك إثارة الكراهية لليهود من خلال سياسات إسرائيل؛ وذلك لإقناع اليهود بالانتقال من مواطنهم في الدول المختلفة إلى دولة إسرائيل.. وفي الواقع فإن تعميق الكراهية لليهود يمثل شريان الحياة والهواء الذي تتنفسه وتعيش عليه الحركة الصهيونية ودولتها اللتان تتعارضان كلية مع اليهودية.. عبر التاريخ عندما نجم عن الاضطهاد حملات طرد جماعي ونفي: كانت هناك أمم تفتح أبوابها لليهود، وقد باركها الله لما فعلت.. نحن نوقن بأن بلادنا "الولايات المتحدة" سوف ترحب بهؤلاء اليهود الذين يرغبون في مغادرة دولة إسرائيل، ويكونوا "الصواب: ويكونون" سبباً في جلب نعم وبركات عظيمة على الولايات المتحدة.. نحن نقدر لكم ونثمن مقاصدكم ونواياكم الطيبة وشعوركم الكريم تجاه اليهود؛ لكننا نؤمن بقوة بأن بركات الرب ونعمه على الولايات المتحدة سوف تزداد لو توافر تفهم أعظم وسياسات مختلفة فيما يتعلق بقضية الفارق والاختلاف بين اليهودية والصهيونية.. نحن في انتظار الأيام التي يعترف فيها العالم بسيادة الخالق، وأن تتحقق كلمات النبي أشعيا: "وسوف يحيلون سيوفهم إلى محاريث للزرع، ورماحهم إلى مناجل للحصاد، ولن ترفع أي أمة سيفها ضد أمة أخرى، ولن تتعلم أعمال الحرب بعد ذلك".. سوف نظل مخلصين حقاً لكم).

قال أبو عبدالرحمن: الصهيونية قسمان: الأولى الصهيونية العالمية المضللة "بصيغة اسم المفعول"؛ وهي شاملة كل من اعتزى باسم الإسلام، وتخليص الإسلام والمسلمين وأرواحهم وديارهم من الظلم العالمي منذ إعلان أمم الأرض "ولا سيما الدول القوية المتنفذة التي تصنع الصواريخ والمدافع ذات المدى البعيد والدبابات كأمريكا وروسيا؛ وأما الصين فدورها الجهنمي يكون آخر الزمان قبيل قيام الساعة إن كانوا هم "يأجوج ومأجوج"؛ وأما الآن فهم على الحياد، ويستعملون "حق الفيتو"؛ لرفع الظلم أحياناً؛ وفي ذلك تسويق لأسلحتهم الفتاكة، ويتعاملون مع الأمم المتوسطة ببيعهم الصواريخ الحاملة الرؤوس النووية، وهذه الصهيونية المضللة "بصيغة اسم المفعول" ليس لها هدف غير هدف القتل، والتعذيب، والإحراق بالنار، والذبح بالسكين كما تذبح الخرفان، وإحراق الحرث والزرع، وتسوية البيوت والمنشآت بالأرض، والانتحار وتفجير الأحزمة الناسفة؛ ليموت بالمنتحر

عشــرات أو مئات!!.. وهؤلاء يبايعون طاغوتاً يبيح لهم كل هذا الفساد في الأرض، وينســبون إلى شرائع الله ظلماً لدين الله، وافتــراءً علــى الله كل مــا حرمه مــن الظلم والفســاد بدعوى الثــأر للإســلام والمســلمين مــن جــراء تكالب الأمــم عليهم منــذ "إعــادة البنــاء" لــ "غورباتشــوف"، وابتــلاع العراق؛ ولقد هــددوا كل أرجاء المعمــورة بما فيهــا دول أوربا النووية القوية، وضموا إلى ذوي الأحزمة الناسفة كثيراً من النصارى والعلمانيين من فرنسا وبلجيكا وبريطانيا وإسبانيا.. إلخ؛ ولـم يقتلـوا يهودياً واحداً؛ لأن اليهود لا يأســفون على نصــراني أو علماني أو مســلم، وعداؤهم للنصــارى أشد وأعنف.. وهادنوا "أمريكا"؛ لتحولهم إلى "سبتيين" وإن بقوا نصارى بالاسم ســوى ترويعهــم بحادثــة 11 ســبتمبر /2001م، وكنت يومها موجوداً في "بوسطن".. وكلما رأوا منهم عزيمة على محاربة الإرهــاب ســواء أكان مصــدره داعش أو النصــرة أو حــزب الشيطان أو طهران أو الحوثيين، أو علي عبد الله صالح: فإنهم يهددونهم بأعنف من حادثة 11ســبتمبر.. والعجيب أن نســاء وعجايز وأطفال فلسطين يعدمون يومياً بأشنع صور التعذيب، وإســرائيل أقرب وأســهل عليهم من فرنســا مثلاً؛ فلم نر لهم تفجيراً في إسرائيل، ولم نر من الظلم العالمي قلباً ينبض في منع الظلم اليهودي.

قــال أبــو عبدالرحمــن: ولأجــل هــذه الظاهــرة القبيحة الظالمــة: أذكــر بالأخــلاق الفلســفية المعاصــرة؛ وكان من الجــاري علــى ألســنة المثقفين: "السياســة لا أخــلاق لها"؛ وقــد كتب فيها ما لا يحصــى مــن المقــالات والكتب "عربية وخواجية"، وأكتفي بســطور من كتيب "الأخلاق السياسية" لـ "ريمون بولان" بترجمة "عادل العوا".. ولا أعني بالسياســة ههنا ما جرى على ألســنة المعاصــرين من إطلاق السياســة على التاريخ المعاصــر؛ بل المراد اشتقاق قواعد السياسة من "نظرية المعرفة والعلم"، ومن شــرائع الله.. إن السياســة المعاصرة الرائجة المطبقة في الدساتير والقوانين الوضعية نظــام جبري بلا دين رباني ولا أخــلاق.. قال "ريمون بولان" ص 260-259 /ط دار طلاس بدمشــق/الطبعة الأولى عام 1988م: (إن تناقض السياســة والأخلاق يبدو تناقضاً ممتنعاً علــى الحل ما دمنــا ننظر من داخل إلــى العلاقات التي يمكن أن تربط إحداهما بالأخرى، ولم يكن في وســع أية "الصواب: أي" فرضية من الفرضيات الممكنة التي تصورناها أن تتقلب ببداهة على غيرها، وقد اتضح لنا أن كل فرضية منها هي إما غيــر مقنعة، أو جزئية، أو ناقصــة أو غير ناجعة، وقد لاحظنا أكثــر من مرة أن بعض الفلاســفة كانوا يحاولون، على العكس "عبارة "على العكس" ههنا قلقة؛ ولعله يريد: على العكس من مذهب ذوي الفرضــيات" حل تناقض السياسة والأخلاق من خارج، ولا سيما بتسويغ الروابط التي يؤكدون على وجودها بينهمــا، وهــذا التســويغ لا يعمد إلى ســيطرة السياســة على الأخلاق، أو الأخلاق على السياسة سيطرةً مباشرة؛ بل بانتماء كلتيهما، أو بإخضاعهما لنظام مشترك يشملهما ويتجاوزهما.. ولعل الحل لن يوجد داخل دارة "السياســة والأخلاق"؛ بل في واقع، أو لدى كائن قادر على احتوائهما وتجاوزهما).

قال أبو عبدالرحمن: وأعجب العجب أيضــاً أن روسيا وهي محتلــة ســوريا: رمــت بثقلها فــي المنطقة لتحــارب الإرهاب الــذي هو داعش وأخواتهــا؛ فإذا بهــا على اتفــاق وتعاون مع "إسرائيل"؛ من أجل حماية بشار الجحش الذي يصلي اليهود من أجــل بقائه بعد أن عريت العراق شــرقاً من أي خطر على إسرائيل كما عري الغرب من كل جهاته؛ ومن ثم لابد من تعرية الشمال الغربي، والشمال الشرقي الذي تقع فيها "الجولان"؛ وهي التي تنازل عنها حافظ الجحش لإســرائيل كما هي عادة النصــيرية فــي التكاتف مــع كل عدو للإســلام والمســلمين،

وتجـدون في كتب ابـن تيمية رحمـه الله تعالـى بعض حالات ضـعف العرب والـمسلمين؛ فهبوا لمناصرة كل عدو من اليهود وغيرهم.. وكانت داعش وأخواتها في عافية من روسـيا، ومن بشـار الجحش، ومن حزب الشيطان، ومن مجوس إيران؛ فكل هـؤلاء حلفاء اليهـود؛ وكان طيران هؤلاء كلهم، وصـواريخهم ودبابتهـم والبراميـل المتفجرة لـدك السـوريين الذين ظلوا خلال أقل من خمس سـنوات -بغض النظر عن دك "حماة" في عهد أبيه حافظ الجحش- ضحية الإعدام والتعذيب والغرق والجنون والأمراض النفسـية وفقد القدرات الجسـدية بشتى الأمراض التي خلفتها آثار الظلم من الكيماويات والإشعاعات النووية وتلوث مياه البحر ومياه الشـرب من الآبار والسـدود.. ووجد أطفـال فقدوا عائليهـم، وجهلوا أنسـابهم؛ فلم يعرفوا آباءهم ولا أمهاتهم.. ودول العالم في صـمت مريب لا تتحرك منهم شعرة من رحمة؛ وإنما هناك تصريحات رخيصة لا أثر لهـا على وجه الأرض؛ لأن العالـم اليوم عبيد اليهود إما طوعاً أو كرهـاً، وهـذا ما أكده اجتهـادي في فهمي آيات من سـورة الإسراء وغيرها، والله أعلم، وذلك أن الله توعد اليهود بسبب كفرهم ومحادتهم ربهم: بالذلة والصـغار والتشريد والشتات "الغيتو"، وجعل لهم الرجاء إن اهتدوا بقوله تعالى: (عسـى ربكـم أن يرحمكـم وإن عدتـم عدنا وجعلنا جهنـم للكافرين حصـيراً) "سـورة الإسـراء/ 8"، ثـم أخبرنا ربنـا في آيات أخـرى أنهم عائدون بحبلين: حبل من الله، وحبل من الناس.. والـحبل من الله هو ما أفضـى إليه كفرهم، ومحاربتهم شرائع الله، وقتلهـم الأنبيـاء "علـى الرسـل والأنبيـاء صـلوات الله وسـلامه وبركاته، وعلى كفرة اليهود لعائن الله"؛ فكانوا أقدر على ما أسلفته من احتجان المال بكل الطرق الشديدة الحرمة كالربا وتسويق البغايا والمخدرات؛ ولا يقع في ملكوت الله من الفسـاد إلا ما أذن الله بوقوعـه عقوبة معجلة، ويجعل الرجس علـى الذين لا يعقلون كما قال تعالى: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بـإذن الله ويجعل الرجـس على الذين لا يعقلون) "سـورة يونـس/ 100".. والـحبـل من النـاس انصـياع من لا دين له من علماني ومرتزق وملمع، وطامع في السـلطة؛ وهكذا أغبياء "الضالين"؛ وهم معروفون، وقد حذرهم الله من كيد اليهود؛ فنسـوا عهـد الله إليهـم؛ فكانوا تربيـة اليهود منـذ "محاكم التفتيـش"؛ فبدلوا من رقة القلوب بقسـوتها إلا من شـاء الله مـن خيارهم.. وكانت يهود مهدت لذلـك منذ مجازر المجر، وبطش "تيتو"، وهيضـة "نابليون" لإقامة القانون الوضـعي، وفرضـه، والتقنين بأن مخالفة القانون جريمة، وكانوا سدنته وحماته والمحامين عنه؛ فكانوا يشرعون لـ "الجوييم" في كل آونـة انتهاك ما حرمه الله أشـد تحريم؛ وهذا بشـار الجحش يغير الدستور من أجله.. أي من أجل احتلاله مقعد أبيه حافظ الجحشـ، ولـم تنبس بنت شـفة مـن الخـارج أو الداخل على التلاعب بالدسـتور.. والـمؤلم جداً أن الجيش السـوري، وهو الجيشـ المنتفض على ظلم النصـيرية وآل الجحش: لا يزال يسمي جيش بشار والبراميل المتفجرة بـ "الجيش النظامي".. واحسـرتاه!!.. إذا كان حكم الجحش ونظامه حكماً نظامياً، أو جيشـاً نظاميـاً: فبأي حـق خرجتم عليـه؟!!.. كلا؛ بل الحكم النظامـي والجيش النظامي هم الشـعب السـوري الثائر على الظلم ابتداء، وعلى تأهيل بشار الجحش للحكم بالجناية على الدستور.. وأما الاحتلال الروسـي؛ وهم إما "أرثوذكسيين"؛ وأولئك أعداء "الكاثولوكية"؛ وإما علمانيون: فلهم شـأن آخر مع يهود ..والله المستعان.





إبراهيم الحسين: الأحساء

نهربُ في اللوبياء والعدس، نستريح قليلاً في الأرز الحساوي، ثم نبكي في البهار. من يخلعُ عنّا حنانَ القرفة. من يربّتُ على سنا الفولِ الرابض في الأواني ضحى. تأتي الشمسُ ثم تذهب، لنقف في الأروقة شاردين صاعدين في العطر، نرتفع قليلاً عن الأرض، نردّ على تحيّات البخور والعود والعنبر، نتحاشى دون فائدةٍ، انشغالَ الأكتاف، وسهو المرافق. نبجّلُ اعتراضات الباعة وإلحاحَ خصومهم. نقدّسُ لوعةَ العصي على المواراة تحت سواد العباءة، والتفرّد الأكيد لرنين البهجة رغم اللغط.

كلُّ هذا ذهب في دخانٍ ذاهب، لا نعلمُ إلى أين.

نهربُ في الالتفات الممهور باللهفة، إلى مكانٍ منسيٍّ، نخبّئُ فيه تعبَ العربات، كيْ تظلَّ محروسةً بموسيقى طين الأروقة. نهرب إلى العتمة التي لا تغيب، رغم الأضواء، رغم عتاقة الوقت، رغم رائحة المكان التي لم تقطَعْ أبداً ابتهالاتها.

ندخلُ في صدى الأحذية الخافت، قد لا نلتفت إليها، لكنّا مجروحون بهدوئها على المصاطب، مجروحون بهبوطها إلى الأرض، لتلجها الأرجل.

كلُّ هذا أخذه عقاب دخانٍ وحلّقَ به، لا نعلم إلى أين.

نهرب في الغُتَر والأثواب، السراويل، الطواقي، مضاجع القطن والإسفنج. نهرب في عذاب الإسكافيين، والحدّادين، وأدوية الطب الشعبي، في الألحفة، في انتظار العِجائز أمام الأروقة، يبعدن بأهدابهن دَأْبَ الوقت على إرهاقهن بالتذكارات، يعرِضن الطواقي لتنصرف إليها العيون بدلاً من ندمهن المغطّى.

يطاردنا فجورُ عربات الإطفاء، وإثمُ الكمّامات، بلاهة صهاريج الماء.

يطاردنا هويُّ الأسقف الجذعية، دخولُ نور الشمس إلى أماكن ظلّت مستورةً لقرون لتنكشفَ الآن مثل عورة.

يطاردنا ذهولُ الواقفين عن كزِّ أسنان التاريخ، عن تضوّره خلفهم.

كلُّ هذا استسلم لدخانٍ يركض بغنيمته عالياً، لا نعلمُ إلى أين.

نهرب في الأحاديثِ العابرة عن خسارتنا، والعبور عنوةً قريباً منها، نكفّر عن أرجلنا الصغيرة والكبيرة هناك.

السفير محمد الحمد الشبيلي (أبو سليمان)

بعد ربع قرن من رحيله



مع أحد سلاطين الولايات في ماليزيا وحرمه

د. عبدالرحمن الشبيلي: الرياض

على الرغم من مرور سنوات على رحيله، إلا أن اسمه مازال حديث الذكريات، وضيفاً يتصدّر المجالس بعفويّة، والسؤال عن كتاب سيرته لا يتوقف، ورسمه يلمع عند الناس كلما خطر في بالهم، يتعدّى حدود عشيرته ومسقط رأسه «عنيزة» وديوان الوزارة التي ينتمي إليها، إلى أفق أرحب على مستوى المملكة العربية السعودية والدول الخمس التي عمل فيها سفيراً: «العراق وباكستان والهند وأفغانستان وماليزيا».

إنها ثمرة «دبلوماسية الأخلاق» المدرسة التي أسسها، وتُذكر حيثما يُذكر، فهو لم يتخرج من أكاديمية العلوم السياسية حيث تخرج معظم الساسة والسفراء والدبلوماسيين في العالم، ولم يحصل على الشهادات العليا من الجامعات المرموقة، ولم يُعهد في تنشئته كعادة العرب إلى حكيم في السياسة كما كانت تفعل الأسر الأرستقراطية والأميرية عبر التاريخ.

فمن أين جاء «أبو سليمان» كما كان يعرف مجتمعياً، «كنية» تكفي للدلالة على اسمه وعنوانه، منذ أن تسيّد مكانه بين السفراء السعوديين في الخارج، بعيداً عن الألقاب التبجيلية الأخرى؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال البسيط، لا بد من القول إن تعبير «دبلوماسية الأخلاق» ليس من ابتكار كاتب هذه السطور، بل كان من قول د. عبدالوهاب أبو سليمان أستاذ الشريعة في جامعة أم القرى، وعضو هيئة كبار العلماء، الذي وقف هو ود. عبدالستار سيرت وزير العدل في أفغانستان «إبان حكم ظاهر شاه» على منبر النادي الأدبي بمكة المكرمة وهما يحلّلان مفاتيح شخصيته إثر صدور الكتاب، ويذكران مناقبه الدبلوماسية والأخلاقية، التي جعلته -بفضل الله- يحتل كل هذه المكانة الأثيرة التلقائية في مجتمعه، وفي المجتمعات الخمسة التي عمل فيها.

ومنذ أن تشرفت بالعناية بتدوين ملامح من سيرته بعد وفاته، بدأت محاولة العثور على إجابة لهذا التساؤل: من أين جاء أبو سليمان؟ تساؤل كثيراً ما قاد إلى تساؤلات أخرى، من أين اكتسب مؤهلاته؟ ومن أي مدرسة من مدارس الأخلاق تخرّج؟ وهي تساؤلات كثيراً ما تلقّاها أقاربه، ولا يكفي أن يكون الردّ عليها بعدم المعرفة، فكثير من السائلين يريدون جواباً عليها، حاضراً وشافياً وكافياً.

في تصوّري الذي لا يعدو كونه اجتهاداً شخصيّاً، أن الجواب على هذا السؤال يكمن في ثلاثة عوامل، الأول أن جده لوالدته «سليمان الناصر الشبيلي» قد عُرف في زمنه «بداية القرن الماضي» بخصال قريبة مما عرف عند حفيده



في حفل استقبال أقامه تكريماً لصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز وزير الأشغال العامة والإسكان عند زيارته لماليزيا (1398 هـ)

وعند عدد آخر من أحفاده، فقد توارثوا صفات متقاربة من مكارم الأخلاق، وكان جده هذا -بالمناسبة- على صلة مع الإمام عبدالرحمن الفيصل، ومع نجله الملك عبدالعزيز، ومع الشيخ مبارك الصباح، وتوجد وثائق تنبئ عن تلك



سعادة الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي -حفظه الله- سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بارك الله فيكم على جهدكم في إخراج كتاب عن سيرة الأخ محمد الحمد الشبيلي رحمه الله -فقد كان -غفر الله له- إنساناً تمثلت فيه مكارم الأخلاق، فقضى حياته ملازماً على هذه الشكل، لم يتبدل ولم يتغير في اليسر والعسر، هو الآن عند ربه بأعماله يجازيه عليها إن شاء الله خير الجزاء بالرحمة والغفران. وهو عند من عرفوه في هذه الحياة حسن السمعة، كريم الخصال. لا أقول ذلك عنه إلا عن تجربة ومعرفة طيلة عمله في خدمة دينه ووطنه وأمته -غفر الله له-.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

الخصال في سيرته ومكاتباته.

العامل الثاني: أن أبا سليمان كان قد أمضى في بداية عمله ما يقرب من خمسة عشر عاماً فيما يمكن تسميته «أجواء ديوان الملك عبدالعزيز» بما فيها من ممارسات «المراجل» والكرم والضيافات و«الأُعطيات» فلا غرابة أن يتطبّع شخص لديه الاستعداد الوراثي ورضع الكرم من جذوره الأسرية بطباع يراها قريبة إلى ميوله.

والعامل الثالث: أنه عاش في جميع السفارات التي تولاها أعزب وحيداً، دونما أسرة أو أطفال أو أحفاد كان يمكن لو عاشوا حوله وملأوا عليه حياته أن يمتصوا بعضاً من عواطفه ويشاركوا غيرهم فائض مشاعره وحبه للآخرين، جدير بالذكر أن ابنه الوحيد قد توفي بعده بخمسة عشر عاماً «1425هـ/ 2005م» ولم يخلّف ذرية، وبالتالي فإن نسلهما قد انقطع إلا من هذا الرصيد الكبير من الذكر الحسن.

عُرف أبو سليمان نادراً في خصاله، وذا علاقات وصداقات واسعة كان لها تأثير كبير في سفاراته، وذا شخصية غاية في النبل والإيثار والتواضع ولين الجانب، بالغ الإكرام من غير ما يُسر، وعطوفاً للغريب والقريب والطفل والكبير، آسراً في حديثه، لبقاً في رواياته، يوظّف هذه الخصال -دونما تصنّع أو تكلّف- في دبلوماسيته مع الزعماء والقيادات،



في ماليزيا، يستقبل الدكتور عبدالله عمر نصيف (عندما كان أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي)

ويستثمرها تلقائيًا في علاقاته مع المناوئين تماماً كما كان يطبِّقها مع الأصدقاء، يحتوي أصحاب المواقف المتشدِّدة دونما تلقي توجيه بذلك.

كان أغلب من تحدثوا عنه، يميلون إلى ذكر مناقبه في البذل والكرم مع من يعرف ومن لا يعرف، ويكثرون من رواية المواقف والحالات التي عاشوها معه أو سمعوها عنه في ولائمه وضيافاته، وفي تغطية نفقات الفنادق والمواصلات لكل سعودي يقدم، يطلب من الفنادق إبلاغه عن القادمين، يخرج لاستقبالهم ولتوديعهم، ممارسات لا يصدِّقها إلا من حدثت له، لكنه في الواقع كان يقوم بما هو أبلغ من ذلك، فخصلة الكرم لم تكن سوى خصلة من خصاله، كفتحه باب التواصل مع سفراء لا يوجد اعتراف سياسي بدولهم، وعدم غلقه باب الاتصال مع سفراء انقطعت العلاقات الدبلوماسية مع دولهم، واستضافة زعامات سياسية للحج على نفقته حتى لا يكلف ضيافات الحكومة أعباء ذلك، وسعيه للحصول على عضوية لإحدى الدول العربية في منظمة دولية، ومساعدته مئات النجديين المقيمين في جنوب العراق على استعادة جنسيتهم الأصلية، إلى أن صدر تنظيم من الحكومة السعودية بذلك في عهد الملك فيصل، وقد قام بتلك الجهود دون ذكر أو إعلان أو أضواء، حيث لم تذكر له مقابلة صحفية أو تلفزيونية أو إذاعية واحدة.

وبعد صدور كتاب سيرته عام 1414هـ/ 1994م تسابقت الصالونات الثقافية للاحتفاء بالرجل وبسيرته، ومازلت أذكر الدمعات التي انحدرت على عيني الملك عبدالله وهو يتسلم نسخة من الكتاب عند صدوره، ثم يسرد بعضاً من ذكرياته معه، ويحتفي بتخصيص مجلسه ذلك اليوم لاستذكار عاطر سيرته، ويخصّ مؤلِّفه برسالة معبرة، تليق بمكانة المُرسل وبشخصية الكتاب «أبو سليمان».

أما الملك سلمان، فلقد كانت مشاعره نحوه لا تتوقف وبخاصة عندما كان «أبو سليمان» يتلقى العناية في مستشفيات الرياض، فكانت كلمته ترن في الأذهان عندما قال ما معناه: (إذا أردتموه ينهض من سريره أخبروه بوجود ضيوف في انتظاره) في تعبير عن ناموس أمضى عليه عمره.

ولد أبو سليمان في عنيزة في حدود عام 1330هـ/ 1910م ودرس في كتاتيبها، ثم رحل إلى البصرة ليدرس في مدرسة الرجاء العالي، ثم عاد إلى المملكة فالتحق بالديوان الملكي في حدود عام 1347هـ/ 1928م معاصراً لعدد من المسؤولين العاملين فيه أمثال إبراهيم بن معمر، وعبدالله بن عثمان، ومحمد بن دغيثر، وقريبيه عبدالعزيز الناصر الشبيلي، ومحمد عبدالرحمن الشبيلي، وعلي النفيسي، وعبدالله التويجري، وعبدالله السليمان، وشلهوب، وغيرهم،



يصافح الشيخ محمد الحركان وزير العدل ثم أمين عام رابطة العالم الإسلامي الأسبق (ماليزيا 1400 هـ 1980 م)

تلك الفترة الذهبية التي ظهر فيها كثير من المستشارين السياسيين السعوديين والعرب، ممن سبق أن تناولت أسماءهم وسيرهم في عدد من المقالات والمحاضرات، وبرز فيها دور الشعبة السياسية، وكان أبو سليمان يراقب حركة الأمور الإدارية والسياسية تتم بتناغم عجيب بتصريف الملك المؤسس عبدالعزيز، ويدور هو -أي أبو سليمان- في فلكها مستفيداً من الخبرة الفريدة المتاحة له ولغيره.

في مطلع الستينات الهجرية «الأربعينات الميلادية» انتقل من الديوان الملكي ليبدأ أبو سليمان مسيرة حياته الدبلوماسية بالقنصلية السعودية بالبصرة نائباً لفخري شيخ الأرض، ثم استقل بها، وفي منتصف السبعينات الهجرية عيّن سفيراً في باكستان، ثم في الهند، فالعراق، وأفغانستان، وانتهاءً بماليزيا التي أقام فيها سفيراً مدة تربو على خمسة عشر عاماً حتى أعياه المرض وانتقل إلى الرياض وتوفي فيها بعد فترة استشفاء في الرياض وفي ألمانيا دامت نحو عامين، ومن المعروف أنه كان قد عُيّن في بداية الثمانينات الهجرية وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، لكنه أبدى رغبة في الاعتذار عن قبول التعيين تعفّفاً عن المنصب.

عندما اتصل بي رئيس تحرير هذه المجلة، يستكتب مقالاً بإلحاح عن موجز سيرته كما تضمّنها الكتاب، كنت أثق بأن حيّز المقال المطلوب لن يوجز سيرته، بل لن يستوعب الروايات التي وردت بعد صدورها، وسينظر عارفوه إلى المقال نظرة تقليل من مستواه مقارنة بمكانته الرفيعة في الأذهان، إلا أنه ما كان بالوسع الاعتذار مع التأكيد على مسألتين:

الأولى: أن المدرسة النموذجية الفريدة لهذه الشخصية وغيره من الشخصيّات النادرة التي سبقته أو أتت من بعده، جديرة بأن تُضمّن في صلب المناهج في أقسام العلوم السياسية والدراسات الدبلوماسية، وهو ما يطالب به من كتب عنه بعد رحيله.

الثانية: أن سمعة المآثر الاجتماعية الفاضلة التي خلّفها أبو سليمان في مجتمعه، قد ألقت مسؤولية كبيرة على ذويه، وعلى نظرائه من الدبلوماسيين السعوديين، على أمل أن يحتذوا ما يستطيعون من ملامح سيرته ومن خصال من يشابهه من جيله أو من جاء قبله أو بعده، وقد درج الكثيرون على التشبيه والمقارنة بينهم والتذكير بمواقفهم مع المواطنين في الخارج، وإن كانت بعض الطباع يصعب تقليدها أو التطبّع بها، أو نيلها إلا أن يشاء الله، فأبو سليمان دام عليها منذ أن ترعرع في حضن أبويه وفي محيط أسرته، ثم داوم عليها -دونما تكلّف كما سبق- طيلة عمره الإداري والدبلوماسي الذي استمر ستين عاماً «توفي عام 1409هـ/ 1988م» ما يدل دلالة واضحة على أنها كانت جزءاً من جيناته، التي وهبها الله له وخُلق معها.



ولد عام 1330 هـ (1910م) في عنيزة
منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.

سافر إلى البصرة وعمره عشر سنوات تقريباً،
ودرس الابتدائية والمتوسطة وجزءاً من المرحلة الثانوية.

عاد إلى المملكة في بداية الخمسينات الهجرية،
والتحق في العمل بالديوان الملكي.

عمل نائباً للقنصل السعودي في البصرة
في 1362/6/1هـ، ثم قنصلاً عاماً.

قام بمهام وكيل وزارة الخارجية
في عام 1377هـ الموافق 1957/11/14م.

عمل سفيراً لدى باكستان
في 1377/4/21هـ - 1957/11/14م.

انتقل إلى الهند سفيراً فيها
في 1384/1/12هـ الموافق 1964/5/29م.

عين في العراق سفيراً
في عام 1387هـ - 1967م.

ثم سفيراً في أفغانستان
عام 1392هـ - 1972م، لمدة ست سنوات.

أحيل إلى التقاعد
عام 1393هـ، ثم واصل العمل بالتعاقد.

عين سفيراً في ماليزيا
عام 1398هـ - 1978م حتى وفاته.

توفي رحمه الله في مدينة الرياض
يوم الخميس 1409/3/17 هـ الموافق 1988/10/27م.

له ابن واحد، وبنت واحدة توفيت في سن مبكرة،
وله ثلاثة إخوة وأختان.

اشتهر بالداخل والخارج
بكرم الأخلاق والوطنية والأصالة والدبلوماسية الرصينة.

مكتبة الثقافة في مكة المكرمة
منارة تنوير بشهادة الأدباء والمفكرين





فائز صالح جمال: مكة المكرمة

حينما فكرت أن أكتب عن مكتبة الثقافة ودورها التنويري رجعت بي الذاكرة إلى رباع الطفولة، فتذكرت زياراتي الأولى لها عندما كان يصطحبني الوالد -رحمه الله- إلى المسجد الحرام كل يوم جمعة لأداء الصلاة، وكان برنامج هذه الصحبة يبدأ بالذهاب إلى مجلس العم جميل سجيني -رحمه الله- في زقاق خلف مقر مكتبة الثقافة الأخير في القشاشية، ثم النزول للحرم لأداء الصلاة ثم العودة للمكتبة.. ولا أنسى فرحتي بالمرور من الجودرية لشراء حلوى (بيض الكوكو) وهي حلوى مصنوعة من بياض البيض والسكر..





وكون تأسيس مكتبة الثقافة سبق ولادتي بسبعة عشر عاماً فوجدت أن الأنسب والأكثر مصداقية للتعريف بدورها التنويري وما قدمته في خدمة العلم والثقافة والأدب هو نقل ما كتبه من أسسوها وعاصروا انطلاقتها الأولى وخبروا دورها أكثر مني وذلك نقلاً من مقالاتهم التي شاركوا بها في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس المكتبة والتي جمعها كتاب (مكتبة الثقافة.. تاريخ ورسالة).

فيقول الوالد الشيخ صالح محمد جمال -رحمه الله- حول تأسيس مكتبة الثقافة:

(في جلسة عابرة في أوائل عام 1364هـ كان الصديق محمد حسين أصفهاني في زيارتي بالمنزل الذي يطل على المسعى ومر من أمامنا الصديق عبد الرزاق بليلة ثم الصديق أحمد ملائكة وصعدا إلينا وجلسنا نتحدث عن حاجة مكة المكرمة إلى مكتبة توزع الكتب والصحف فقد كنا نتهافت على مجلتي الرسالة والثقافة اللتين تصلان بكميات قليلة وأحياناً تنفد قبل أن نحصل عليها. فتطور الحديث إلى سؤال لماذا لا نقوم بإنشاء مكتبة أدبية ثقافية لتحقيق طموحات الشباب بمكة المكرمة؟ ودار الحديث سجالاً وتعهد الصديق أحمد ملائكة بأن يمدنا من مصر -حيث كان يقيم بها يومذاك- بالكتب والصحف والمجلات وقال الصديق عبد الرزاق بليلة بأنه مستعد لإدارة المكتبة وكان لم يتوظف بعد واستعد الصديق محمد حسين أصفهاني بأن يتولى استلام الطرود من جدة وإرسالها إلينا وأن يمدنا هو بما عنده من صحف ومجلات حين كان ذلك عمله بسوق الندى بجدة).

وأما الأستاذ عبد الرزاق بليلة الشريك المؤسس فيقول:

وأطلقنا بعض الشعارات للمكتبة مثل (اربح قليلاً تكسب كثيراً) و(نحن ننشر علماً ولا نريد ربحاً) وظنها الناس بأنها لا تعني شيئاً سوى الدعاية والإعلان وسخر منا البعض.. وفي واقع الأمر كنا جادين بتطبيق هذه الشعارات وحريصين على تنفيذها بقدر المستطاع وفعلاً حددنا للكتب والصحف أسعاراً متدنية ومحدودة بحيث يسّرت لطلاب العلم ومريدي الأدب سبل المطالعة والقراءة واقتناء الكتب بأسعار معقولة مع التيسير في الدفع.

وينقل الأستاذ عبد الرزاق بليلة إجابة الدبلوماسي والشاعر المعروف الأستاذ مقبل عبد العزيز العيسى على سؤال الأستاذ محمد الوعيل عن مدى تأثير مكتبة الثقافة على الحركة الأدبية إذ يقول العيسى: إن مكتبة صالح جمال وعبد الرزاق بليلة أثرت الرعيل الأول وساهمت في خلق جيل مثقف.. وأنها خدمت الأدب والثقافة في المملكة.

وعند سؤاله عن كيفية التعامل مع المكتبة أجاب: في الحقيقة أن الأستاذين صالح جمال وعبد الرزاق بليلة كانا متعاطفين إلى حد كبير مع الشباب وكانا يشجعان على القراءة والاطلاع وفي أحيان كثيرة كانا يسمحان لنا بأخذ الصحف وقراءتها وإعادتها إليهما دون أن ندفع شيئاً.




صالح محمد جمال


عبد الرزاق بليلة


عبد العزيز الرفاعي


عبد الله عمر خياط

وأما الأستاذ عبد الرزاق كمال الشريك المؤسس في فرع مكتبة الثقافة بالطائف يرحمه الله فيقول:

لم يكن في المملكة ككل وبالمنطقة الغربية خاصة أي مكتبة بمعنى المكتبة الحديثة، هناك مكتبات قديمة تعتني بالكتب والمراجع العلمية القديمة، ولكن المكتبات الحديثة ما برزت إلا بعد الحرب العالمية الثانية وأول مكتبة أنشئت على هذا الطراز مكتبة الثقافة في مكة المكرمة للأستاذ صالح جمال ومكتبة الثقافة بالطائف لي وللأستاذ صالح جمال.

و أما الشيخ عبد العزيز الرفاعي رحمه الله فيقول:

حقاً لقد كانت هذه المكتبة ولا تزال مكتبة تجارية، وليست مكتبة عامة، وإن الاستفادة منها كانت للقادرين على الشراء، ولكنها مع هذا الاعتبار كانت مكتبة رائدة في فتح الأفق واسعاً للفكر الجديد والأدب الحديث. ذلك أنها كانت مكتبة رائدة بحق فتحت الطريق إلى آفاق من المعرفة، كان الناس في أمس الحاجة إليها لمتابعة الحركة الثقافية المتطورة، وليس في بلدان العالم العربي المتقدمة كمصر والشام والعراق. وإنما في العالم المتحضر، حيث كانت حركة الترجمة نشطة في مصر.. فوجد القراء في هذه الحركة مطلات على الثقافة في الغرب.

وأما الأستاذ أحمد محمد الصائغ فيقول:

كما كان اختيار اسم المكتبة وهو مكتبة الثقافة موفقاً ويرمز إلى معنى له دلالته الشاملة، ويدل على مدى بعد نظر وسمو هدف مؤسسي المكتبة.

وأما الأستاذ عبد الله عمر خياط فكتب يقول:

لست أذكر بالتحديد متى اشتريت أول كتاب في حياتي، ولكن الذي أذكره تماماً وأنا على يقين منه.. أن أول كتاب كان من مكتبة الثقافة بمكة المكرمة.. ومن باب السلام الصغير.. حيث كان موقعها الأول عند إنشائها.

كانت تحرص على توفير كل جديد من إنتاج الأدباء والشعراء والمفكرين في مشارق الأرض ومغاربها لكي يتيسر للقارئ في البلد الحرام الحصول عليه دونما مشقة ولا كلفة. فحتى الأسعار لم يحدث أن غالى فيها المشرفون على المكتبة.. وإنما كانوا يحرصون على طرح الكتب بالسعر المقدور عليه.. إضافة إلى تسهيلات في الدفع بالنسبة للشبيبة من أمثالنا الذين كنا ندفع ما في جيوبنا لشراء الكتب، وعرف عنا ذلك المشرفون على المكتبة وعلى رأسهم مؤسس المكتبة الأستاذ صالح محمد جمال ومساعده السيد محسن العطاس رحمهما الله.. فحرصاً على تزويدنا بالجديد ودفع المتيسر ومن ثم تسديد الباقي لاحقاً. فقد ذهبت إلى مكتبة ذات يوم لشراء ما وصل إليها من المجلات المصرية بما لدي من نقد قليل ووجدت أربعة دواوين جديدة من الشعر هي أول ما أصدر الشاعر الكبير أحمد قنديل رحمه الله.. وأخذت أقلبها وأقرأ بعض



قصائدها.. ثم طال الوقت. فسألني السيد العطاس إن كنت أرغب في شرائها، ولما قلت له: بودي ذلك ولكن ليس معي ثمنها!! لم يزد على أن وضع المجموعة مع مجموعة المجلات والجرائد التي اشتريتها وقال: إن تيسرت لك القيمة هاتها.. وإلا فلك أن تعيد الدواوين بعد قراءتها!

أما معالي الدكتور محمد عبده يماني فيقول:

أخذتْ المكتبة على عاتقها منذ البداية أن تعمل على تسهيل اطلاع الشباب على ما فيها من كتب وتيسير التعامل معها، فكانت الكتب تباع فيها بأسعار معقولة لا مبالغة فيه، وكان صاحبها الأستاذ صالح جمال -رحمه الله- من الرجال ذوي الفراسة، فعندما يلاحظ أن شاباً يرغب في الاطلاع على بعض الكتب تنقصه المادة.. كان يبادر من تلقاء نفسه لمساعدته بتخفيض الثمن له أو يعرض عليه تقسيط الثمن بما يتلاءم مع مقدرته المالية، وإذا تعذرت كل هذه الوسائل كان الأمر في أحيان كثيرة ينتهي بالمساهمة الكاملة.

والأستاذ عبد الله القرعاوي يقول:

مكتبة الثقافة كانت مدرسة أخرى لنا، بل كانت (جامعة) فهي تمدنا بأحدث ما كانت تنتجه المطابع وتنشره دور النشر العربية في مصر وسوريا ولبنان والعراق من كتب ودواوين شعر ومجلات أدبية وثقافية..

فالطالب الذي لا يتيسر معه ثمن الكتاب، أو المجلة يمكنه أن يرجئ دفع المبلغ إلى الأسبوع القادم والشهر القادم فهو يتمتع بالميزة التي يتمتع بها زملاؤه القادرون دون أن يضيع الفرصة للحصول على كتاب ثمين أو دورية نادرة أو مجلة أدبية رائعة.

مكتبة الثقافة كانت فريدة في (باب السلام) كانت (جوهرة) في وسط عقد الثقافة حينما كان باب السلام مليئاً بالمكتبات الثقافية التي كان أغلبها، بل كلها تهتم بالثقافة العربية وأمهات المراجع في كثير من العلوم العربية والتاريخية ولكن مكتبة الثقافة أصبحت لنا شيئاً جديداً، إذ فتحت أعيننا على عالم حديث.

وأما الأستاذ عبد المقصود محمد سعيد خوجة فيقول:

مكتبة الثقافة شكلت الجزء المكمل لاطلاعي واطلاع كثير من أبناء الوطن، إذ كانت تستورد الكتب من مصر في أوج عطائها الفكري والأدبي وظلت منذ ذلك الحين نبراساً في عالم الكتاب والثقافة والمعرفة. وقد كان للأستاذ صالح جمال -رحمه الله- فضل كبير عليّ وعلى كثير من الحريصين على الكتب، حيث اهتم باستيراد كتب المازني والعقاد وطه حسين، والحكيم وغيرهم من العمالقة.. ولفقيدنا عليّ شخصياً فضل كبير ولقلة اليد كان -رحمه الله- يعيرني بعض الكتب الثمينة.. وقد تعلمت عن طريقه الكثير من المعارف الإنسانية المعاصرة، ونهلنا من الثقافة العصرية مما كان يتفضل به علينا من إعارتنا بعض الكتب التي لم نتمكن من شرائها.. ويدرك الكثيرون الآن ما أفاضه علينا من فضل رحمه الله.. بالإضافة إلى دوره البارز في إثراء الحركة الثقافية لجيل كامل من أبناء مكة المكرمة.

وأما اللواء علي زين العابدين رحمه الله فيقول:

وانتشرت الثقافة بين شباب ذلك الجيل وذلك تحقق




محمد عبده يماني


محمد سعيد طيب


عبد الله القرعاوي


مقبل العيسى

شعار المكتبة (المكتبة التي أنشئت لنشر الثقافة والعلم)

حقاً ودون شك كان لمكتبة الثقافة اليد الطولى في نشر الثقافة والعمل في ذلك العهد الذي يمكن أن نسميه عهد الإخصاب الفكري بعد القحط الذي امتد زمناً طويلاً انتهى بازدهار مكتبة الثقافة التي بدأت شمعة خافته ثم تحولت إلى مشعل وضّاء يغمر العقول الناشئة الناضجة أيضاً بنوره الباهر.

وأما الأستاذ محسن باروم رحمه الله فقد قال:

مكتبة الثقافة منذ إنشائها في عام 1364هـ رائدة في استجلاب كتب الثقافة العربية من مصادرها الأصلية في مصر وبلدان المشرق العربي الأخرى لكي تقدم لزبائنها ومرتاديها الإنتاج الفكري الأدبي لجيل الرواد من كبار أدباء العالم العربي.

وهكذا استقطبت مكتبة الثقافة أجيال الشباب المثقف الطامح إلى متابعة التيارات الأدبية الفكرية الحديثة في بلدان عالمنا العربي، فكانت هذه المكتبة همزة الوصل بينهم وبين ما يطمحون إليه من الإنتاج الأدبي والثقافي الرفيع الذي تصدره دور النشر المصرية أو العربية المتعددة.

و الأستاذ عبد الله بغدادي رحمه الله فيقول:

مكتبة الثقافة قامت لتنشيط الحركة الثقافية وبيع أشهر الكتب الأدبية لمشاهير الأدباء من مؤلفات العقاد وطه حسين وسلامة والرافعي والزيات والمازني مع بيع أمهات الصحف المجلات التي كانت تصدر في الوطن العربي وعلى الأخص المجلات المصرية كمجلة المصور ومجلة الهلال الشهيرة والتي مضى على صدورها قرابة المئة عام..

ويقول الأستاذ مصطفى عطار:

لقد تتلمذت الحشود من شباب هذه البلاد على مكتبة الثقافة حيث كانت المكتبة العصرية الوحيدة في البلاد التي استطاعت أن تذلل كل الصعاب، وتضع بين يدي عشاق الفكر، وشداة الأدب الإصدارات الجديدة من الكتب والمجلات بل الصحف المصرية واللبنانية وأصبح شبابنا وشيوخنا يقفون كأبناء مصر في المعارك النقدية التي كانت تنشب بين أنصار القديم والجديد -كما كانوا يسمون آنذاك- وكان يمثل القديم المفكر الكبير مصطفى صادق الرافعي ومن شايعه وقبله شوقي وأنصاره، ويمثل الجديد جماعة العقاد التي عرفت بمدرسة الديوان، العقاد والمازني وشكري رحمهم الله. الأمر الذي جعل الأدباء المصريين والأساتذة الوافدين للتدريس في المعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات وكليتي الشريعة والمعلمين. ومدرسة دار التوحيد الثانوية بالطائف كانوا يُدهشون من الحضور الثقافي الواعي الاطلاع الواسع والمتابعة لما يدور في بلادهم على الساحة الثقافية للشباب السعوديين وزملائهم المعلمين السعوديين.

وأما الأستاذ محمد سعيد طيب فيقول:

مكتبة الثقافة كانت أول مكتبة حديثة تعرّف عليها جيلي في مكة المكرمة فقد كانت مصدرنا الوحيد لكافة الكتب الجديدة في ذلك الوقت وشكلت نقطة مضيئة في تاريخ الحركة الثقافية في هذا الجزء العزيز من بلادنا.. ففي


علي محمد الرابغي


محمد عمر العامودي



الستينات من هذا القرن أتاحت مكتبة الثقافة الفرصة لجيل الكتاب والمثقفين من الشباب، ومنهم الأستاذ محمد عمر العامودي والأستاذ عبد الله جفري والأستاذ محمد صالح باخطمة والأستاذ أسامة السباعي والدكتور زهير السباعي، فنهلوا مما كانت تتيحه لهم.. أحدث الأفكار وأعمق الرؤى ما ساهم في تكوينهم الفكري، وساعدهم على أداء دور بارز في حياتنا الثقافية.

والأستاذ علي محمد الرابغي يقول:

مكتبة الثقافة رائدة الفكر والعلم والثقافة والأدب في بلادنا، ولا أكاد أذهب بعيداً عن الحقيقة، وإنما أنا أقرر واقعاً شهوده الآلاف بل الملايين من جيل بل أجيال التنوير.. الذين كان لهم السبق من جيل الأوليات إن جاز التعبير. أولئك الذين سمت بهم ملكاتهم فارتفعت بهم شأواً عالياً وبعيداً في دنيا الثقافة ما جعلهم نجوم المجتمع.

والأستاذ حماد السالمي قال عن فرع المكتبة بالطائف:

كانت ملتقى الأدباء والمفكرين، ومنطلق الكتاب والصحفيين ومنطلق انتشار المطبوعات التي تأتيها من كل مكان، وكان الشيخ صالح جمال -رحمه الله- حصيفاً في انتقاء الرجال والمعاونين الذين منهم السيد حسين علي مصطفى المحضار مدير مكتبة الثقافة بالطائف وهو الأب الروحي لمعظم الصحفيين والكتاب في صحافتنا، الذين انطلقوا من الطائف.

أما الأستاذ محمد علي قدس فيقول:

لقد كانت مكتبة الثقافة من أهم مصادر التثقيف والتنوير في بلادنا. وحين تُذكر الكتب وتُذكر الثقافة نذكر الشيخ صالح جمال -رحمه الله- ومكتبته الشهيرة (الثقافة) كما نذكر مكتبة الأصفهاني في جدة الشقيقة الكبرى للثقافة بل حين يُذكر الكتاب القيم والمجلة المنوعة لابد أن يتبادر إلى الذهن مكتبة الثقافة، كنور في ظلام الجهل يستضاء به.

ويقول الأستاذ محمد عمر العامودي:

مكتبة الثقافة باعتبارها مكاناً تنويرياً مركز استقطاب وجذب الكل من رواد الأدب وطالبي المعرفة وكنا نفرح برؤية أديب كفرح جيل اليوم حين يشاهدون لاعب كرة أو فناناً أو مهرجاً في سيرك وسبحان مغير الأحوال.

وأما بعد:

فهذه جملة من الشهادات -وليس كلها- في حق مكتب الثقافة ومؤسسيها ودورها التنويري المهم والمؤثر في بلادنا المملكة العربية السعودية، فجزى الله مؤسسيها والعاملين فيها خير الجزاء على ما قدموه في سبيل نشر الثقافة والعلم سواء من خلال جلب الكتب الثقافية والأدبية والعلمية أو من خلال تيسير حصول الناشئة عليها وقراءتها بخفض الأسعار أو تقسيطها أو بنظام الإعارة أو حتى مجاناً لغير القادرين.

كلمات



سعد البواردي

الدفء عند الشتاء اشتهاء.. يبدأ الدفء من القدمين.. صعوداً إلى الرأس..
والفكر انطلاقته من الرأس.. ونهايته عند حدوده. حذار أن تأتي بدايته من الأسفل، أي الأجهل، فتدوسه الأقدام المدركة بمواطئ قدميها، ومواطن معرفتها..
الأقدام –بفتح الهمزة- في مناسبتها.. والإقدام –بكسرها- في محاسبتها..
فيهما الحل الناجع..

•••

كندا الإنسانية استقبلت اللاجئين السوريين على أراضيها بنشيد أطفالها:
(طلع الفجر علينا)
ورئيس وزرائها استقبلهم بحفاوة على أرض المطار.. رائعة أنتِ يا كندا..

•••

شهية القتل عند الكيان الصهيوني لا تتوقف عند حده. عندما لا يجد سبباً للقتل يقتل بزعم أن قتله جاء رداً على محاولة قتل..

•••

إذا لم يكن لنا من ديننا واعظ لن تنفعنا المواعظ.

•••

ما لم يفعله هولاكو القديم فعلته داعش في العراق، وفي سوريا، وفي ليبيا، وفي اليمن.. عملية إعدام جماعية بأساليب وحشية أقدم عليها التنظيم في حق أربعة وعشرين من اليمنيين.. وبأساليب لا يقدم عليها بشر.. ولا حتى حيوان.
تسعة أفراد ذبحوا بالسكاكين في مشهد واحد.
ستة أشخاص أخذوهم إلى أحد الشعاب وتم قصفهم بصاروخ كاتيوشا.
خمسة أفراد جرى وضعهم في قارب جرى تفجيره عن بُعد.
وأخيراً خمسة آخرون عُلقت على رقابهم قذائف كاتيوشا.. ثم فُجّرت..
أي كفر.. وفجر هذا الذي يجري في القرن الواحد والعشرين؟!

ذكريات من الصُّفَّة

الكتابة والقلق.. وأطياف من الماضي البعيد (7)



د. عاصم حمدان

كان الفتى يقطع المسافة بين دارهم الواقعة على مدخل ما يعرف آنذاك بزقاق السيد أحمد، وبين دار المرأة الواقفة في نهاية أحد الأحواش الكبيرة، والذي كان يحمل اسم (حوش عميرة)، وكانت العائلة تُطلق على هذه المرأة اسم (الست آسية)، أي الجدة. وعرف الفتى فيما بعد أنها شقيقة لوالدة والده. وكانت كثيراً ما تتردد على دارهم. وكان مع إخوته يتطلّعون لمجيئها، خصوصاً أن ذاكرتها تختزن الكثير من الحكايات الشعبية، وكانت تبتدئ الحكاية بهذه اللازمة: (وحّدوا الله... واللي عليه ذنب وخطيّة يستغفر الله)، وتمضي في حكاياتها، حتى إذا ما داعب النوم أجفانهم تركتهم ووجّهت حديثها لوالدتهم، ساردة عليها أخبار الحي بأسلوب الحكي ذاته. وبعد انتقال هذه الجدة إلى الدار الآخرة؛ سردت الأم على مسامع الأبناء ما فحواه بأن هذه الجدة لم تُرزق الأطفال، مع أنها تزوجت أكثر من مرة. ثم بكلمات متقطعة، ملؤها الشجن تقول: (لقد قَدِمتُ في مقتبل العمر من ديار حرب في الفقرة وعرقوس وريمة، وسكنت في هذه الدار، بعيداً عن أهلي ومضاربهم، والمرأة الوحيدة التي كانت تتردد عليّ وتخفف عني آلام الغربة هي الجدة آسية).

وكانت هذه الجدة بلباسها التقليدي تتوجه في أشهر الحج إلى سوق الحبّابة والموصل إلى ما كان يُعرف باسم (باب المصري)، لتعرض بضاعتها المتواضعة من الكوافي المُطرّزة أو المشتغلة بالأيدي. وكان عدد كبير من النساء يَقدُمنَ أيضاً من أقاصي منطقة (قباء)، ومن ديار بني علي في العالية، ويعرضن هنّ الأخريات بضاعتهن من الدجاج، والبيض البلدي، والمكانس، والقفاف المصنوعة من الخُوص، ولا يجدن في ذلك حرجاً. وكان البعض منهنّ يقمن بالمهمة الأصعب وهي التعليم؛ حيث كانت توجد على نطاق ضيّق كتاتيب خاصة بتعليم البنات مبادئ القراءة والكتابة. وكان الفتى – تلبية لطلب والده واتّساقاً مع التقاليد السائدة– يصطحب شقيقته الكبرى –رحمها الله– إلى كُتّاب المعلمة (مغربلية) الواقع فيما يعرف آنذاك بـ(دكة الترجمان) وهو الموقع المقابل لمبنى الإمارة، وليس بعيداً عن المصلى. كما كان بعض النساء يقمن بدور طبّي؛ وذلك قبل وجود مستشفيات خاصة بالنساء. ومن أهم، أو في مقدمة تلك الأدوار هو الإشراف على ولادة المرأة الحامل. وكانت المرأة التي تقوم بهذه المهمة يُطلق عليها اسم (الدّاية)، أي القابلة. وكانت الداية تقطع المسافات الطويلة على قدميها، فلم تكن السيارات متوافرة بالشكل المطلوب. وكانت عربات (الكرو) التي تجرّها البغال أو الأحصنة، هي الوسيلة الأكثر انتشاراً آنذاك. وكان منها ما يُصنع خصيصاً لحمل النساء اللاتي يعرفن باسم (الدقاقات)، حيث يشاركن في الأفراح بالضرب على الدفوف، وهو تقليد قديم يرجع إلى عصور الإسلام الأولى. وتتمثل خصوصية هذه العربات بأنها كانت تُصمم بحيث توضع أعمدة من الخشب على طول العربية، وتُغطّى بالستائر. وإذا كانت المرأة الدقاقة تحيي أفراح النساء؛ فإن المناسبات الخاصة بأفراح الرجال كان يحييها المجيدون للعبة (الرديح)، أو ما يعرف باسم (زيد). وكان رجال من حارة النخليين والعنبرية والسيح وحوش السيد علي يجتمعون في تآلف ومودّة في حلقة خاصة لأداء هذه اللعبة، والتي قوامها كسرات محفوظة، أو أخرى وليدة اللحظة، مع ضرب خاص بعصا صغيرة على آلة مصنوعة من الجلد تسمى (الزير). ولا أجد اليوم هذا الملمح الجميل في الأفراح. فأنت إذا سمعت ضرباً على ما يعرف بـ(النقرزان)، أو الطبل، مصحوباً بصخب وضجيج هو أبعد ما يكون عمّا عرف بلعبة (المزمار) في نمطها التقليدي.

وما دام الحديث متصلاً بوضعية المرأة في المجتمع المدني قبل ما يقرب من ستين عاماً أو أكثر، فإنني أشير إلى أن المرأة كانت تعمل بحثاً عن لقمة العيش مثل الرجل، فلقد كنت وزملائي وأندادي نقطع الطريق من قباء والتاجوري وحوش الأشراف مشياً على الأقدام من دورنا كل صباح لنبلغ بعد ذلك مبنى مدرسة العلوم الشرعية، الواقع مبناها شرقي المسجد

النبـوي الشـريف، وكان ذلـك تحديـداً في نهاية السـبعينات وبدايـة الثمانينات الهجريـة، وفي طريقنا، وفي حي الشـونة تحديداً، كان يوجد مخبز يحمل اسـم امرأة تسمى (وحيدة). وكان دور بعض المخابز آنذاك هو تطييب أقراص الخبز الذي تصـنعه ربّات البيوت آنذاك، وكان يحمله رب الأسرة، أو أحد أبنائه لإنجاز المهمة عند صـاحب أو صاحبة المخبز. وكانت المخابز تنتشـر في جميع أحيـاء المدينة المنـورة، ومنها ما حمل اسم بعض الفئات النازحة للجوار؛ مثل المخبز المغربي. أما ما عرف باسـم (السُّـحيرة)، أو (الشـريك) بالسمسم؛ فـإن أشـهر المخابز التي تقوم بصـنعه هو مخبـز (الكعكي) فـي حي التاجـوري، ومخبز (البري) في زقـاق الطوال. وكان زقاق الطيار يحتضـن كثيـراً من المخابز التي حملت أسـماء أصـحابها؛ مثـل: العُمـري، والكمبش. ولن يغيـب عن الذهن مرأى ذلك الرجل الطويل القامة، المفتول العضلات الذي كان يقوم بنقل معظم ما تنتجه تلك المخابز من حي الطيّار، مروراً بالمناخة، حتى يبلغ سـوق العيّاشـة. وكان يسير بخفّة ورشاقة بحيث لا يمكن سقوط صحائف الخبز من بين يديه أو من فوق رأسـه. وكان يحلو لبعض صـغار السن مداعبته بلقب لا يحبّه؛ ولكنـه لا يـرد عليهم، بـل كان يكتفي بالتمتمة. لقـد كان هذا الإنسـان، الذي يلقب بـ(الكلي) يمثّل ملمحاً خاصاً من ملامح الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة في الحقبة الماضـية، وعندمـا أزيلت الأحيـاء القديمة، وحلّت المخابـز الكهربائية مـكان المخابـز القديمة، والتـي تعتمد على النـار في تطييب الخبز، فقد (الكلي) المهنة التي يحبها، وأضحى يمشي بعيداً عن أعين الناس.

وأختـم هذه الحلقـة بما قرأتـه في بعض كتب مسلسـلات علـم الحديث النبوي الشـريف من أن امـرأة تُدعى (أمة الله الدهلوية) (**1251 – 1357هـ**) كانت تسمى (مسندة المدينة المنورة)، أي متخصصـة في علم الحديث ورجاله، وأن عدداً من علماء الحرمين الشـريفين قد قامـوا بزيارتها؛ فحدثتهم وأجازتهـم، وتلقوا عنهـا بعض الأحاديث المسـلّم بصـحتها وشـروطها. إضـافة إلى بعض علماء المغرب في فن الحديث، مثـل: الشـيخ أحمد بن صـديق الغماري؛ قد توجهـوا للمدينة المنورة، بعد أن ذاع صيتها في أوساط العلم الشرعي، وكذلك فعل الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وأخذ عنها كذلك مسند العصـر ومحـدّث الحرمين الشـريفين الشـيخ عمـر حمدان المحرسـي، وتلميذه الشـيخ محمد ياسـين الفادني. وقد دوّن هذا الأخير أسـانيد شيخه في سِـفر مهم حمل اسم (إتحاف الإخـوان باختصـار مطمح الوجدان في أسـانيد الشـيخ عمر حمدان)، وصدر في طبعته الأولى سنة **1406هـ – 1985م**.

ولعـل هذه المعلومة الموثقة عـن تلقي عدد من العلماء علم الحديث والرواية على يد امرأة عالمة يوضـح بصورة واضحة الـدور العلمي الذي كانت تضـطلع به المرأة فـي تلك الحقبة المتقدمة من تاريخنا العلمي، وأن ما يروّجه بعض أعداء الدين الإسلامي من تهميش لدور المرأة في المجتمعات المسلمة هو محض افتـراء على الأمة التي عرفت قيمـة العلم منذ أن نزل الوحي على سـيدنا محمد، صـلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى (اقرأ باسـم ربك الذي خلق)، وأن الحضارة الإسلامية كانت على العكس مما تسـاهم من خلاله –للأسف الشديد- بعض تيارات الإسـلام السياسـي والتيارات الأخـرى المتطرفة في رسـم صـورة قاتمة عن المرأة ودورها الأساسي في المجتمع، وتعمم تلك الصـورة النمطية على جميع المجتمعات المسلمة وفي كل العصور والأزمنة.

وبما دوّنته في هذه الحلقة عن المرأة ودورها بكافة أشكاله: عالمـة، وعاملة، وزوجـة، وأمّـاً، ومربية؛ أكون قـد حاولت ما اسـتطعت رسـم صـورة تعريفية عن المجتمع المدني في تلك الحقبة الماضية.

والله ولي التوفيق.



تشرشل..
حينما يكون السياسي
أديباً ومفكراً وفناناً

| حاز على نوبل في الأدب وكتب روايات وقصصاً وأنجز مجلدات |

| السير "ونستون ليونارد سبنسر تشرشل" أول من أشار بعلامة النصر "V" بأصبعيه السبابة والوسطى |

د. ناصر أحمد سنة: مصر

أديب، وكاتب، وصحفي، ومؤرخ، وروائي، وخطيب مفوه، ورسام. حاز جائزة «نوبل» في الأدب عام 1953 لكتاباته التاريخية، وتحقيقاته الصحفية، وسيَره الذاتية. أول من تمنحه الولايات المتحدة «المواطنة الفخرية». كان «رجل دولة بارز، ومن أبرع السياسيين البريطانيين، وصناع التاريخ الكبار». جاء أداؤه السياسي متعانقاً مع الأدب، وأطّر مواقفه السياسية بالفكرة الأدبية، واللمحة الثقافية، فلديه «ولاء كبير للغة، فالكلمة هي الشيء الوحيد الذي يبقى للأبد».

السير «ونستون ليونارد سبنسر تشرشل»
Sir Winston Leonard Spencer-Churchill»

1965 - 1874» رئيس وزراء المملكة المتحدة ما بين 1940 - 1945 «إبان الحرب العالمية الثانية». كانت خطب وخطابات ذلك السياسي الداهية، وقائد الحرب إلهاماً لقوات الحلفاء. ولم يخضع لتهديدات الزعيم النازي «أدولف هتلر»: (لا نريد محاربتك، بل استسلامك). فلم ينصع وقاوم مع الحلفاء حتى النصر. فكان أول من أشار بعلامة النصر «V» بأصبعيه السبابة والوسطى. ثم تولى ثانية رئاسة الوزارة البريطانية ما بين 1951 - 1955.

ولد «ونستون» في قصر «بلنهايم» بمقاطعة أكسفوردشير في إنجلترا. وينحدر من سلالة عائلات الدوقات الأرستقراطية بمارلبورو، وهي أحد فروع عائلة سبنسر الأشهر ببريطانيا. كان والده أحد أبرز الساسة ذوي الشخصيات الكاريزمية، وقد تولى منصب وزير الخزانة آنذاك. أما والدته «جيني جيرودر» فكانت عضواً بارزاً في المجتمع الأمريكي في تلك الآونة. وبدأ «ونستون» مشواره التعليمي في دبلن، فبدأت مُربيته كان يدعوها «الرحم القديم» بتعليمه القراءة، والكتابة، والحساب. ثم تلقى تعليمه النظامي في ثلاث مدارس: مدرسة سانت جورج، باسكوت، ومدرسة برونزويك، ومدرسة هارو. ولم تمض أسابيع من التحاقه بالمدرسة الأخيرة حتى انضم لـ«سلاح بندقية هارو». وعمل ضابطاً في سلاح الفرسان. ثم نُقل إلى مصر عام 1898 ليلتحق بسرية عسكرية كانت تعمل في السودان، وشهد ثورة الدراويش، وحرب البوير، وأُسر وهرب.

نوبل في الأدب (1953)

كان هذا السياسي البريطاني المُحنك غزير الكتابة. و«مهووساً» بتأليف الكتب والروايات، بالإضافة لسيرتين ذاتيتين، ومذكراته، والعديد من كتب التأريخ، والمقالات الصحفية. وهو رئيس الوزراء الوحيد الذي يحصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1953. ففي خريف 1953 أنجز «تشرشل»، رئيس حكومة صاحبة الجلالة «اليزابيث الثانية»، كتابه الأشهر «مذكرات حول الحرب العالمية الثانية». ونشره في ستة مجلدات، يتألف كل مُجلد من جزأين، فبلغت صفحاته ستة آلاف صفحة. وكان قد بدأ كتابة تلك الصفحات منذ عام 1948 بين حقبتي توليه رئاسة الحكومة. واستكمل مشروعه «التاريخي»، بعد اختياره عام 1951، لتشكيل حكومة جديدة. وظهر الكتاب في مجموعه كيوميات ميدانية، ومذكرات، ووثائق، وإشارات، وبرقيات متنوعة تدعم النص: (ربما كنت الشخص الوحيد في موقع السلطة الذي عاش أكبر كارثتين بشريتين، خلال النصف الأول من القرن العشرين). أما

من أقوال تشرشل:

| العقبة ليست عائقاً |

| إمبراطوريات المستقبل هي إمبراطوريات العقل |

| إذا فتحنا خصاماً بين الماضي والحاضر فسوف نفقد المستقبل |

| المسؤولية ثمن العظمة |

العمل الآخر الذي نُشر بعد توليه رئاسة الوزراء للمرة الأولى هو «تاريخ الشعوب الناطقة بالإنجليزية» أربعة مجلدات عن فترة غزوات قيصر لبريطانيا (55 ق.م.)، وحتى بداية الحرب العالمية الأولى 1914.

ومن أوائل ما كتب: «حكاية قوات مالاكاند الميدانية» (1898)، و«حرب النهر» (1899)، و«من لندن إلى ليدي سميث عن طريق بريتوريا» (1900)، و«مسيرة إيان هاملتون» (1900)، و«لورد راندولف تشرشل» (1906 - 1907)، و«الليبرالية والمعضلة الاجتماعية» (1909)، و«أزمة العالم» (أربعة مجلدات، 1923 - 1929) الخ. ورغم حياة الشهرة التي نعم بها «تشرشل»، إلا أنه عانى كثيراً للحافظ على مستوى معيشته المُترفة. فقبل عام 1946.. كان نواب البرلمان يتقاضون راتباً شكلياً فقط. في حين لم يتقاضوا شيئاً على الإطلاق قبل قانون عام 1911. ومن ثم اضطر معظمهم للعمل في مهن أخرى. كان دخل «تشرشل» منذ كتابه الأول 1898 وحتى ولايته الثانية كرئيس للوزراء يعتمد كلياً على مؤلفاته، ومقالاته الصحفية. وأشهر مقالاته الصحفية تلك التي ظهرت في صحيفة «إفنينج ستاندرد» عام 1936، التي حذر فيها من صعود نجم هتلر، ومخاطر سياسة الاسترضاء. وذاع صيته كأشهر المراسلين الحربيين لدى العديد من الصحف اللندنية.

وكانت ثلاثينيات القرن العشرين (1929 - 1939) من أكثر العقود التي عكف فيها على الكتابة. وأعانته كتبه التي حققت مبيعات كبيرة في التغلب على مشاكله المالية، وتغطية نفقاته العالية. غير أن نهاية هذا العقد شهد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتصاعد الخطر النازي الألماني ما أرغمه على التوقف نسبياً عن ممارسة عشقه للكلمة المكتوبة. وبات هذا التوقف الاضطراري عن الكتابة سبباً مهماً من أسباب كراهيته لهتلر. وكثيراً ما ردد: (إنني أهوى ببساطة كل ما هو متقن، وذوقي يتجه نحو الأفضل.. والأفضل يكلف كثيراً).

خطيب مفوه.. «صائغ في مملكة الكلمة»

كان أسلوب خطابته مُذهلاً في «الدفاع عن القيم الإنسانية السامية». وكانت موهبة علاقته بالكلمات التي يكتبها ويُلقيها بالغة الخصوصية «صائغ في مملكة الكلمة». واعتبرها الضمانة التي تكفل خلوده. بينما شكّل اهتمامه غير العادي باللغة الإنجليزية ودورها في العالم جانباً مهماً من تفكيره وتوجهاته الثقافية العامة.

ومن أهم عباراته التي ألهبت مشاعر الإنجليز لمواجهة النازية ما قاله أمام مجلس العموم يوم 13 مايو 1940: (ليس لدي ما أقدمه سوى الدم والدموع والعرق.. أمامنا محنة من أخطر المحن وأمامنا أشهر طويلة من الكفاح والمعاناة.. هل تسألوني ما هي سياستنا؟ أستطيع أن أقول: إنها خوض الحرب، في البحر، في البر، في الجو، بكل قدرتنا وبكل قوة سيبعث بها الله لنا: سنخوض حرباً ضد طاغية متوحش، لم يسبق له مثيل في ظلاميته، قام بأبشع جرائم الإنسانية. هذه هي سياستنا. أنتم تسألوني ما هو هدفنا؟ أستطيع أن أجيب بكلمة واحدة: إنه النصر، النصر بأي ثمن، النصر في مواجهة الخوف، النصر، على الرغم من أن الطريق قد يكون وعراً طويلاً، ولكن دون النصر، لا وجود لنا).



في خريف 1953 أنجز "تشرشل" كتابه الأشهر "مذكرات حول الحرب العالمية الثانية" ونشره في ستة مجلدات يتألف كل مُجلد من جزءين وبلغت صفحاته 6 آلاف صفحة

ومـن الجديـر بالذكـر أن «تشرشـل» كان مصـابـاً «بلثغـة قاسـية» لزمته طوال حياته العملية. ووصف «تشرشل» تلك اللعثمـة بـ«عائق الحديث»، التي حـاول دوماً التخلص منها. وصُـمم طقم أسـنانه الاصطناعية خصيصـاً لمساعدته في الخطابة بشـكل سـليم. وبعد سـنوات من الخطابـات العامة التي أعدت بعناية لإلهام الجمهور، ولتجنب التلعثم، استطاع «تشرشل» القول: (العقبة ليست عائقاً).

من أقواله الشهيرة

(إمبراطوريـات المسـتقبل هـي إمبراطوريات العقـل)، (إذا فتحنـا خصـاماً بيـن الماضـي والحاضـر فسـوف نفقـد المسـتقبل)، (المسـؤولية ثمـن العظمـة)، (حيـن تصـمت النسـور، تبـدأ الببغـاوات بالثرثـرة)، (الشـخص المتواضـع هـو الذي يمتلك الكثير ليتواضـع به)، (مـن الجيد أن تكون صـادقاً، لكن من الضروري أيضاً أن تكون على حق)، (لديك أعـداء؟ عظيم...هذا يعني أنك في أحـد الأيام وقفت مدافعاً عن شيء ما)، (إذا كنت ترغب بحق في اكتشاف بحار جديدة، يجب عليك أن تتحلى بالشجاعة اللازمة لمغادرة الشاطيء)، (النجاح هو أن تمر بفشل وراء فشل دون أن تفقد حماستك)، (الذكي من لا يرتكب كل الأخطاء بنفسه، بل يترك الفرصة لغيره)، (المتشائم يرى محنة في كل منحة، والمتفائل يرى منحـة فـي كل محنة)، (المتعصـب من لا يسـتطيع أن يغيّر رأيـه، ولا يريـد أن يتغيـر موضـوع الحديـث)، (إن الحقيقة محسـومة. الرعب قد يسـتاء منها، والجهل قد يسخر منها، والحقـد قد يحرفها، ولكنها تبقى موجودة)، (سـر الحقيقة ليـس فعـل ما نحـب، بل أن نحـب ما نفعل)، (الوطن شـجرة طيبة لا تنمو إلا في تربة التضحيات وتسقى بالعرق والدم)، (فـي السياسـة ليـس هناك عـدو دائم أو صـديق دائـم هناك مصـالح دائمـة)، (إن السياسـي الجيد هـو ذاك الذي يمتلك



كان تشرشل غزير الكتابة ومهووساً بتأليف الكتب والروايات بالإضافة لسيرتين ذاتيتين.. ومذكراته والعديد من كتب التأريخ والمقالات الصحفية وهو رئيس الوزراء الوحيد الحاصل على نوبل في الأدب

القدرة على التنبؤ، والقدرة ذاتها على تبرير لماذا لم تتحقق نبوءته)، (أسير الحرب هو رجل يحاول قتلك ولا يستطيع، ومن ثم يسألك ألا تقتله)، (أهم إنجاز حققته في حياتي عندما أقنعت زوجتي بالموافقة على الزواج مني).

تشرشل.. رساماً

استهوى الرسم «تشرشل» منذ عام 1915 بعد تخليه عن منصب أميرال البحرية البريطانية. ولعب الفن دوراً مهماً في حياته، وساعده في تجديد قواه الداخلية، لمواجهة العواصف العاتية، وتخطي التقلبات القاسية في حياته السياسية. واعتبره وسيلة للتخلص من نوبات الاكتئاب التي صاحبته. تعلم تشرشل الرسم من صديقة «بول ميز» الذي قابله خلال الحرب العالمية الأولى، وأصبح منذ ذلك الحين رفيق مشواره الفني. غلبت على لوحات تشرشل طابع الطبيعة، بألوان زيتية، وكان كثيراً ما يرسمها خلال عطلاته في جنوب فرنسا، أو مصر، أو المغرب. واتخذ تشرشل من «تشارلز مورين» اسماً مستعاراً، ورسم المئات من اللوحات، بعضها يعرض في منزله «تشاتول». وفي عام 1925، اختيرت لوحته عن «شروق الشمس في فصل الشتاء» كأفضل لوحة في مسابقة للفنانين الهواة المجهولين. ونظراً لضيق الوقت، حاول تشرشل رسم لوحة فقط إبان الحرب العالمية الثانية. وأكمل رسم لوحة تضم برج فيلا تايلور في مراكش. ويمكن مشاهدة بعض لوحاته في موسوعة ويندي و إيمري رفيس في متحف دالاس للفنون.

وحصلت بريطانيا على 37 لوحة رسمها «تشرشل» في مقابل ضرائب مستحقة على ورثته، بلغت قيمتها 9 ملايين، و 404 آلاف، و 990 جنيهاً إسترلينياً، بعد وفاة ابنته. وكانت الليدي «ماري سوامس» «توفيت عن عمر ناهز 91 عاماً»، آخر الباقين على قيد الحياة. فيما اعتبر رقماً قياسياً للوحات «فنان مبتدئ» بيعت في صالة مزادات سوذبي في لندن لوحة لتشرشل بعنوان **View of Tinherir** بمبلغ 1.2 مليون دولار. وهو رقم قياسي لأعمال تشرشل الفنية. وكان «تشرشل» بناءً ماهراً، يهوى تشييد حوائط المباني والحدائق بمنزله الريفي في «تشارتويل». وانضم لاتحاد عمال مهنة البناء، لكنه سرعان ما طُرد بسبب عضويته في حزب المحافظين.

جوائز وشهادات

في عام 1945 رشحه «هالفدان كوت» من بين سبعة مرشحين لجائزة نوبل للسلام، لكن وقع الاختيار على «كورديل هال». وحصد جائزة «نوبل» في الأدب عام 1953. وفي استطلاع لمليون مُصوت أجرته البي بي سي عن «أعظم مئة بريطاني»، أعلنت أنه «أعظمهم جميعاً». وصنفته مجلة «التايم» كأكثر القادة المؤثرين في التاريخ. وتكريماً له.. أُنشئت كلية «تشرشل» بجامعة كامبريدج عام 1958. ومنحته الولايات المتحدة الأمريكية عام 1963 شرف «المواطنة الفخرية». وأمام مجلس العموم واللوردات، وخلال زيارته لبريطانيا.. أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق «بيل كلنتون» في 29 نوفمبر 1995: بأن المدمرة «**Arleigh Burke-class**» سيتم تسميتها باسم «**The USS Winston S. Churchil**». وهي المرة الأولى التي يطلق فيها اسم مواطن أجنبي على سفينة حربية منذ عام 1975.

أما الشهادات الفخرية فقد حصل «تشرشل» علي دكتوراه في القانون، جامعة روتشستر، 1941، ودكتوراه في القانون، جامعة هارفارد بمدينة كامبريدج، بولاية ماساتشوستس، 1943، ودكتوراه في القانون، جامعة مكغيل، مونتريال، كندا، 1944، ودكتوراه فخرية، جامعة ويستمنستر، فولتون، ميزوري، 5 مارس 1946، ودكتوراه فخرية، جامعة ليدن، هولندا، 1946، ودكتوراه فخرية، جامعة ميامي، فلوريدا، 1947، ودكتوراه فخرية، جامعة كوبنهاجن، الدنمارك، 1950.

«تشرشل» في السينما والتلفزيون

جُسدت شخصية «تشرشل» في العديد من الأعمال الفنية مثل: «أمريكي في باريس» (1951)، «الرجل الذي لم يكن» (1956)، «سنوات البسالة» (1961)، «ونستون الصغير» (1972)، «السيدة راندولف تشرشل» (1974)، «إدوارد والسيدة سمبسون» (1978)، «تشرشل والجنرالات» (1979)، «حياة ديفيد لويد وعصره» (1981)، «سنوات البرية» (1981)، «الحرب وذكراها» (1989)، «الحرب العالمية الثانية: عندما تزأر الأسود» (1994)، «هيروشيما» (1995)، «حصاد العاصفة» (2002)، «العد التنازلي ليوم النصر» (2004)، «أوغاد مجهولون» (2009)، «في العاصفة أو تشرشل في الحرب» (2009)، «دكتور هو»، «زفاف نهر سونج»، «باندوريكا تفتح»، «النصر لدالكس» في الأعوام (2010 - 2011).

صورته على عملة ورقية

أعلن البنك المركزي الإنجليزي أن صورة الزعيم البريطاني الراحل «ونستون تشرشل» ستطبع على عملات ورقية يبدأ تداولها بحلول عام 2016. وسيكون بذلك أول زعيم بريطاني حديث تطبع صورته «بورتريه التقط لها عام 1941 في أوتاوا بواسطة المصور يوسف كارش» على ظهر العملة الورقية «فئة 5 جنيهات». بالإضافة لمقولته الشهيرة أمام مجلس العموم عام 1940: (لا أعدكم إلا بالعرق، والدم، والدموع). وقد تم اختيار «تشرشل» ليس فقط بصفته «رمزاً» بريطانياً لكن بصفته أديباً رائعاً، ورجلاً كانت مهنته الكتابة، ووظيفته السياسة.



صوت الأذان

نادية أحمد محمد: مصر

لم يكــن صدرها الذي ارتميت عليه كما كان قبلاً، لكنني رغم هذا رأيتني أضع رأســي عليه وأنا أغمض عيني، ملقية خلــف أهدابي كل ما هدّ كياني منذ حين، رأيتني أتمالك أنفاســي رويداً، تهدأ ثورة النبضات في صدري، وتشــملني ســكينة وأنا أشــعر بيديها جناحين رغم وهنهما يمتدان علــى مدى الروح، وهي تضمهمــا كما طالما فعلت حول كتفي في هــدوء، ذراعاهــا الواهيان في تلــك اللحظة كان لهما حضور وقوة حصن يصد عن الروح والجســد ألوان الشرور.

رفعت عيني إلى وجهها، مــن خلف غلالة من دمع تعتنق قطراته ذوائــب الأهداب المنفرجة، تــواً رأيت وجهها في شــحوبه النبيل يفيض بحنان جــارف، حنان يملأ تغضنات ما حــول الجفنين، هابطــاً إلى زوايا الفم وانفراجة الشــفتين، بينما بــدت حدقتاها رغم ضعف وميضهمــا منارتان رأيت على ضوئهما منابع الحنان كما تعودت أن تكون:

- مالك يا ابنتي؟!.

مددت يدي أكثر لأحيط خصرها النحيل محاولة الغوص بين أحضانها أكثر، محاولة الإفلات من صور تترى على مخيلتي رغم نفوري منها.

(الحياة يا أماه صارت أقسى..)

أردت أن أقول هذا، أعيد عليها ما جرى، أشــكو ولدي أحمد ورغبته الأكيدة في الســفر، قلبه الــذي لم يعد رقيقاً حانياً

يتــوق إلى كلمة من أمه، إلى وجوده بقربها، إلى دعاء يتلوه القلب وتؤمن عليه الروح.
الولد الصغير الذي كانت جنائن روحي تسعد بقربه ورؤيــاه، وحنايا قلبي يشــفيها صوته وإحساسي بوجوده دوماً، الولد كبر ويريد الآن أن يسافر مبتعداً عني.
- الرزق يــا أماه ينادي صاحبــه، والتقاعس عن التلبية ذنب، دعينــي أجرب حظي في مكان آخر.
- وأنا يا بني!
- تعالي معي.
- وأترك بيتي!
يديــر عينيه عني وســماته تشــي بما يخفيه من قلق وربما ضيق لتشــبثي به، وهل هناك بعده من يشغلني به، هو ولدي الوحيد، دنياي ووجودي، مات أبوه مبكراً فصار هو الســلوى والأمان.. ماذا أقول أكثر له؟
- أماه سنظل على تواصل إلى حين عودتي.
- كيف وأنت بعيد؟
- وســائل الاتصــال الحديثــة والنــت قربــت المسافات.
- لكنها لم تقرب الأرواح، قد أســمع صوتك، أقــرأ كلماتــك، لكني ســأفتقد إحساســي بوجودك بجانبي، إحساســي بتردد أنفاسك بجــواري حتى فــي نومك، إحساســي بأنني مسؤولة عن رعايتك والاعتناء بك، ستتركني ياولدي وتترك لي فراغاً يأكل روحي.
وأذن مــؤذن بالرحيل، جاء الوقت الذي علا فيه صوت اللحظــات نابضاً بأنين الفقد، بدا لحظة ذاك حاملاً فوق سني عمره سنيناً، تشبثت به راجية أن أحتويه فلا أفقده بعد.
الآن، تحرك مبتعداً، وابتلعه الغياب.
رفعــت عيني إلى وجــه أمي، تلاقــت عينانا، تذكرت ألم أحمد ولــدي وهو يتأهب للرحيل وعيناه وهمــا تقولان لي كل مــا لديه، قلت ببطء بصوت شــعرت به ينســل من ســويداء قلبي إلى شــفتي وأنا أقتعد بساط نظراتها الفسيح:
- ولدي.
قالــت وهي تجــوس فــي دهاليــز نظراتي المعتمة وقلبها يحدق متألماً في وجهي:
- ابنتي.
ارتفع صوت الأذان في المسجد المجاور للبيت:
- الله أكبر، الله أكبر.
رددت كل منــا خلفه.. الله أكبــر، الله أكبر... في خشوع!.

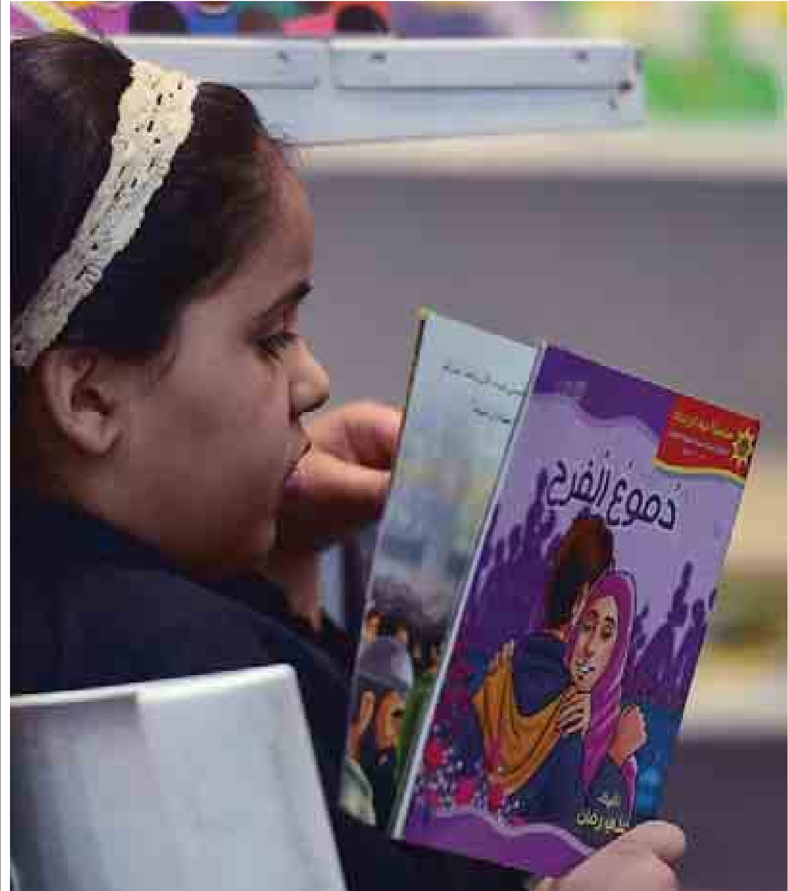
المؤلف السعودي
ونشر كتابه خارج وطنه









خالد أحمد اليوسف: الرياض

تصاعدت حركة طباعة ونشر الكتاب السعودي بشكل واضح خلال العقدين الماضيين (1416 - 1436هـ/ 1996 - 2016م)، حيث ما من تقرير أو دراسة أو بحث متخصص في حركة الطباعة والنشر للكتاب إلا ويتحدث عن هذه النقلة الواضحة.



وهـذه الحركة نتيجة طبيعيـة للحياة العامة في المملكة العربيـة السـعودية، لتوافـر الاسـتقرار السياسـي، وهـو من أهـم الأسـباب التي تمنـح الحياة نعمـة أمان عظيمـة، وهذه طبيعـة بلادنـا التي تأسسـت على كتاب الله وسـنة نبيه عليه أفضـل الصلاة والسـلام، فأصبحت -حفظها الله- مستقرة، ومتصاعدة تنموياً، واقتصادياً، وتعليمياً، واجتماعياً، وأمنياً، مما انعكس على التأليف والكتابة، ويسـر الطباعة وسـهولة النشـر، فدخل الكتاب الأدبي ضـمن هذه المنظومة بصـورة أدق وواقـع ملموس، وهـو الكتـاب المعبر عن الهـم والوجع والمشـاعر الإنسـانية، ثـم دراسـة منتجهـا ونشـر الكتـب المتخصصة في فنونها.

وبمـا أن الطباعـة عمـل متطور متقـدم، وتمر بـه تقنيات متعددة، فقد فرضت هذه الصناعة على العاملين بها البحث عن الجديد، والسـعي للمراكز الأكثر تقدماً وتطوراً. ونحن في المملكة العربية السعودية نعتبر ضمن هذه الدائرة التي تسعى لتقدم صناعتها الطباعية، وقد انعكس هذا على الكتاب نفسـه، الذي مر خلال العقدين المذكورين بمراحل كثيرة، إلا أنه لم يتطور بالصـورة المطلوبة، ولهذا سعى المؤلفون إلـى البحث عن مواقع أفضـل وأجمل وأرقـى، فكانت بيروت هي بوابة النشر العربي.

وبعـد اتسـاع دائـرة التأليـف والنشـر الأدبـي اتسـعت دائـرة الطباعـة، للبحـث عن الطباعة الأجـود والأجمل والأقل سـعراً والأكثـر انتشـاراً ووصـولاً إلـى القـراء والمسـتفيدين، فكانـت خطـوة الخروج إلى الخارج هي الوسـيلة الوحيدة أمام المؤلف السعودي، وأسباب الطباعة الخارجية كثيرة لعلي أذكر بعضها:

أولاً: انتشار الكتاب على أكبر مساحة ممكنة، إذ إن الطباعة الداخلية محصـورة في المدينة التي يطبع فيها الكتاب، إلا إذا اسـتطاع المؤلف توزيعه بنفسـه على المكتبات الرئيسـة في المملكة، التي بدورها توزعه على فروعها المنتشـرة في معظم المدن السـعودية، إلا إن حضـوره وتوزيعه عربياً شبه نـادر، ومـن هنا لجـأ المؤلف السـعودي للـدور العربية التي ستوزعه داخلياً وخارجياً.

ثانيـاً: وجـد المؤلـف السـعودي فـي نشـر كتابـه خارجياً سـعراً أقـل، خصوصـاً فـي الكتـب الأدبيـة التـي لا تتجـاوز عدد صـفحاتها مئتي صـفحة، بينما هي فـي الداخل مكلفة ومرهقة على الأديب الذي يقتصد من ماله الخاص لطباعة ونشر أدبه وإبداعه، ويريد أن تخرج كتاباته إلى العالم أجمع.

ثالثـاً: صـدم المؤلـف السـعودي بتقدم الطباعة لـدى كثير من دور النشـر العربية، وخصوصـاً في بيروت، ومن المعلوم أن الطباعـة فـي بيـروت هي صـناعة واحتراف متقدم متجدد، ولا يتـم طباعـة الكتـاب إلا بعد دراسـته مـن جميع النواحـي الفنية والتسـويقية، ولهـذا تواصـل عـدد كبيـر مـن المؤلفيـن الأدباء بدور النشر العربية المعروفة بتقدمها فنياً وجمالياً وتسويقياً، وطبعت عشرات الكتب في بيروت وغيرها من المدن العربية.

رابعـاً: دور النشـر العربيـة لا تكتفـي بطباعـة الكتـاب ومشاركتها في المعارض العربية والعالمية، وتسويق الكتاب في كل مكان، بل سـعت للحضـور عبر البوابات الإلكترونية، مـن أجل تسـويق منتجهـا، فكان حاضـراً في كثيـر من هذه المواقع، بل يتم طرحه للبيع والتصدير إلكترونياً.

خامسـاً: سـاهمت دور النشـر العربيـة في وصـول الكتاب الأدبـي السـعودي إلـى كثيـر مـن الجوائـز والاحتفـالات والمهرجانـات، بل الترجمات إلـى اللغات الأخرى، والخطوة



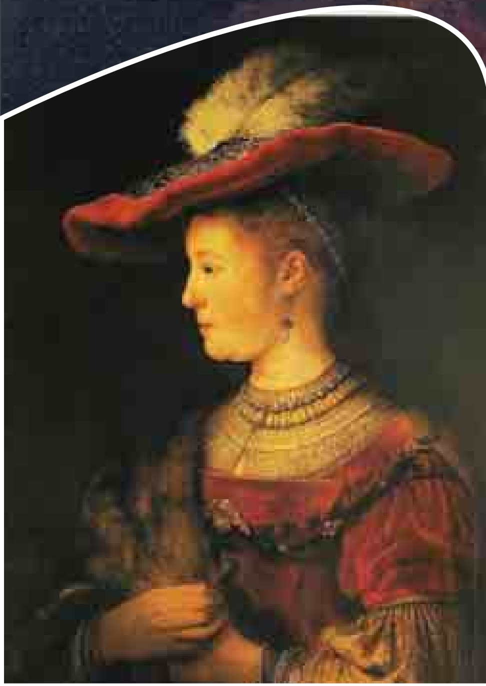
الأكبر والفائدة الأعظم هي انتشار اسم المبدع السعودي في معظم الدول العربية، وكذلك المؤلف بصورة عامة.

هذه الأسباب وغيرها أوجدت لحركة التأليف والطباعة والنشر الأدبي السعودي موقعاً عربياً متميزاً، وقد بدأتُ بتتبعها منذ عام 1420هـ/ 2001م، وهذا الجدول يوضح ذلك:

العام	الكمية
2001	35
2002	60
2003	70
2004	61
2005	71
2006	60
2007	102
2008	101
2009	90
2010	116
2011	134
2012	109
2013	201
2014	213
2015	238

ولعل القارئ يرى البون الشاسع بين بداية الرصد لحركة النشر الخارجي الذي لم يتجاوز خمسة وثلاثين كتاباً أدبياً، وبين العام المنصرم الذي وصل إلى مئتين وثمانية وثلاثين كتاباً أدبياً، وهذه المسافة الواسعة بين عام 2001م وعام 2015م جاءت لنا بتحول في مفهوم النشر، إذ سعى عدد من رجال الأعمال والمهتمين بشأن الكتاب إلى تأسيس دور نشر خارج الوطن، والأسباب لهذه الخطوة كثيرة، لكن من إيجابياتها أنها أشعلت فتيل المنافسة بين الناشر العربي والناشر السعودي (بمفرده أو مشارك) المهاجر، وذلك في استقطاب المؤلف السعودي، ثم تلاه عدد من المؤسسات الثقافية، ومن المعلوم أن بعضاً من المؤسسات الثقافية كانت تقوم بالطباعة خارج الوطن، وذلك لبعض الأسباب السابق ذكرها، لأن تعاملها السابق مع المطابع فقط، وهي التي تقوم بالتوزيع كجهة ناشرة ومصدرة للكتاب.

إن هجرة الكتاب السعودي خارج الوطن أصبحت واقعاً متصالحاً، وإيجابياً للنجاحات التي حققها على مدى السنوات الماضية، ولن يبقى منه داخل الحدود إلا بعض الموضوعات التي تتطلب نشره داخلياً، لكن معظم الفنون والموضوعات الفكرية والثقافية أصبحت مطلباً لدى القراء والباحثين، وقد وجد هؤلاء في الكتاب السعودي ضالتهم، ومن الطبيعي أن ينشر في الخارج لأن الداخل سيطلبه مثل أي كتاب عربي.







رامبرانت فان راين
الفنان الذي رسم نفسه كثيراً



أشرف سعد: مصر

يحتفل الشعب الهولندي يوم 15 يوليو بالذكرى رقم «407» للفنان الهولندي «رامبرانت هرمنسزون فان راين» الذي ولد في «لابرن» بهولندا عام 1606م، واستقر في مدينة أمستردام منذ عام 1631م. تميزت أعماله بالقوة التعبيرية الكبيرة، ولوحاته الشخصية المتعددة؛ نظراً لمعرفته العلمية بنظريات الضوء والظلال. واحتوت لوحاته على القيم الإنسانية النبيلة، وعلى أفكاره وتأملاته الشخصية حول مصير الجنس البشري. كل ذلك جعله يُعد من ضمن كبار أساتذة فن الرسم الغربي. وهو من أكثر الفنانين شهرة في أوساط متذوقي الفن، وقد شهد جميع التشكيلين بعبقريته ونبوغه.





مأساة رامبرانت تكمن في حبه لساسكيا التي تزوجته وماتت بعد وفاة ثلاثة أطفال بعد الولادة ليعيش المولود الرابع وتموت أمه حيث انقلبت حياته حزناً وألماً

لماذا رسم رامبرانت نفسه كثيراً؟

عند البحث في لوحاته، وجد له أكثر من ثلاثة وأربعين صورة شخصية، رسمها رامبرانت لنفسه، وهذا العدد الهائل من البورتريهات التي نادراً ما يفعلها رسام آخر، وهو رسام يمتلك مفهوماً خاصاً عن الحياة، وله رؤيته الخاصة به، وكان متأثراً جداً بالرسام الإيطالي «كرافادجو»، ولكنه كون شخصيته المتفردة؛ يرجع البعض كثرتها إلى أن مفهوم شخصية الرسام تفرض ملامحها على أي عمل له، وكذلك كثيرون فعلوا الشيء نفسه مثل بيكاسو ورينوار وفان جوخ وغيرهم. إنهم جميعاً شخصيات طاغية ولابد أن تكون هذه الشخصيات هي اللوحة، مهما حاولت إخفاء ملامحها، لهذا بدأ رامبرانت في اللوحة، وكان أكثر نضجاً عندما رسم لوحته. درس التشريح، وبدأ يستخدم الأشخاص، لتجسيد الحدث بصورة صارخة، ولا يوجد أي استحياء كما في درس التشريح، وكان المهم بالنسبة له هو تصوير الفعل وإكسابه الحياة وتغليفه بفلسفة رامبرانت نفسه، واستخدامه للضوء والظل بأسلوب مذهل لصنع دراما حياتيه، فما يهمه هو الحياة نفسها وليس الأشخاص، فهو يعبر عن الحياة بغض النظر عن التصوير التسجيلي لشخص بعينه. وبعد إتمام اللوحة فوجئ من أرادوا تصوير أنفسهم بهذه اللوحة التي هي الآن مفخرة لهولندا لدرجة استخدامها في الدعاية السياحية «يضعونها وبجوارها لوحة مكتوب عليها زوروا هولندا لتشاهدوا حراس الليل». وعندما يرسم نفسه فهو لا يهمه مطلقاً أن يسجل ملامحه؛ لكن الأهم هو أنه يصور مفهومه من خلال هذا الذي يراه في المرآة.

وفسر البعض أن رسام البورتريه في فترة البداية يتمرن فيها على رسم صورته من خلال المرآة أكثر من مرة، وربما بعدها لا يرسم نفسه مرة أخرى إلا إذا وجد وجهه معبراً عن مفهوم جديد. وحياة رامبرانت تفاوتت بين الغنى والفقر المدقع، وحتى في لحظات ثرائه كان شديد التبذير، ومن وجهة نظر من حوله يقوم بشراء إكسسوارات وملابس تاريخية لترتديها موديلاته أثناء رسمه لهن، وأيضاً يقوم بشراء لوحات لرسامين آخرين، وسرعان ما يفقد ثروته التي تحصل عليها. والأحداث التي مرت بحياته من موت زوجته وموت أبنائه كانت قاسية، وهو بالإجمال شخصية حزينة، ولكن بها شيء من المرح، والكثير من الفلسفة. ولم يقبل عليه الناس كثيراً لرسمهم لأنه فيلسوف البورتريه، والناس تريد صورة ظريفة تعلقها في الصالون، لذلك كان على الدوام هو الموديل الأصدق والأكثر تعبيراً عن مفهومه، ودائماً الرسام عندما يواجه نقص الموديلات يشعر بكارثة، ويتجه في أغلب الأحيان لنفسه، بالذات لو كان رسام بورتريه، ومن هنا كان العدد الغزير من الصور الشخصية، وهي بالأسكتشات والمخططات المبدئية والليثوغراف؛ تبلغ نحو تسعين بورتريه.

أعمال رامبرانت

اشتهرت أعمال رامبرانت عندما بدأ بالرسم بماء الذهب، وقد رسم لوحاته (التجار الثلاثة، قطع المئة فلورات



النقدية، يسوع يبشر الناس)، وقد عالج موضوعاته بأسلوب مسرحي انفعالي. ومن بين أعماله المشهورة والمحفوظة في متحف ريكسموزيوم في أمستردام: والدة رامبرانت (1660)، جولة في الليل (1662)، القديس بطرس (1660)، وكلاء الجواخون (1662)، الخطية اليهودية (1665). وأعمال أخرى محفوظة في متحف اللوفر بباريس، منها: «على طريق عماوس»، و«هندريكية شتوفلس 1662»، و«بيت شيبع أو بيت صورني» و«فقع عين سامسون»، «عودة الابن الضال»، «عشاء عند أموس»، و«دورية الليل». ومن أبرز لوحاته التي رسمها: «التاجر نيقولاس روتس والشاعر جان كرول، وامرأة شابة ورجل جالس على معقد». ورسم برامبرانت ثماني لوحات لوالديه، واثنتي عشرة لوحة لشقيقته إليزابيث، وخمس لوحات لزوجة شقيقه دراين، ورسم الكثير من اللوحات والتخطيطات لزوجته ساسكيا، وبين العامين 1626 و1627 رسم رامبرانت لوحاته «حمار بالما، والقديس بول، والبخيل»، وتأثرت هذه اللوحات بالفن الإيطالي. وفي عام 1632 رسم رائعته «درس التشريح للدكتور تولت»، وفي عام 1644 بعد إكمال لوحته الشهيرة «الحراسة الليلية» توفيت زوجته ساسكيا، وبدأ يصنع محفورته «100 غالدر».

حياة رامبرانت الضاحك الباكي

ولد رامبرانت لأبوين فقيرين في 15 يوليو 1606 بمدينة ليون، وعاش مكافحاً طوال حياته، إلى أن جمع ثروة هائلة بسبب شهرته التي انتشرت في كل مكان، وفي بداية حياته التحق رامبرانت بكلية الفلسفة في جامعة ليون، ثم ما لبث أن ترك الكلية عام 1622م، ليدرس الرسم على يد أحد الرسامين الهولنديين، وبعد ثلاث سنوات أسس مرسماً صغيراً ليبدأ رحلته في عالم التشكيل.

وقد شهد تاريخ الفن لرامبرانت بالتميز والإبداع، حيث مثل أحد ركائز الفن التشكيلي الأوروبي في القرن السابع عشر، وتميز بغزارة أعماله، إذ نسب إليه أكثر من 600 لوحة.

ومأساة حبه التي جمعت بين الفرح والحزن، وبين الرومانسية والتراجيديا، أنه أحب الفتاة ساسكيا حباً جماً، وتزوج منها في 22 مايو 1634م، وكانت ساسكيا فتاة جميلة، وكان كلاهما يأمل في حياة سعيدة بهذا الزواج؛ إلا أن الرياح تأتي دائماً بما لا تشتهي السفن، فقد مات وليدها الأول والثاني والثالث، وكانت الضربة القاسمة لـ«رامبرانت» بالمولود الرابع فقد عاش المولود هذه المرة ولكن أمه ساسكيا هي التي ماتت في 24 يونيو عام 1642م، وكانت وفاة ساسكيا نقطة تحول في حياة رامبرانت، فقد انقلبت حياته حزناً وألماً على فراقها، فانطوى على نفسه ليعيش حزنه ومأساته، وتبددت ثروته التي جمعها طوال حياته. وتوفي رامبرانت قبل أن يكمل لوحته «سمعان والطفل يسوع في الهيكل». إنه بحق عملاق الفن التشكيلي والعاشق المعذب.

تميزت أعمال رامبرانت بالقوة التعبيرية لمعرفته العلمية بنظريات الضوء والظلال واحتوت لوحاته على القيم الإنسانية النبيلة

رواية على رواية في زمن عربي شديد الحساسية

سؤال الظل

د. واسيني الأعرج

باريس



لـم يكن بذهني يوم كتبت 2084 / حكاية العربي الأخير، اختصاراً: العربي الأخير. التي صدرت في ثلاث طبعات متواترة: الجزائر (في سبتمبر 2016)، بيروت (ديسمبر 2016)، وفلسطين (فبراير 2016)، أن أسهم في موجة الحزن التي تجتاح العالم العربي من بحره إلى بحره، ومن خيبته إلى خيبته، وأضيف لآلامه، آلاماً جديدة تتعلق بجرحه الحي. لكن الشيء الوحيد الذي تتفرد به الكتابة، هو أن قدرها أن تكون صادقة أو لا تكون. الكاتب يدخل في صلب المغامرة التي تشبه أدغالاً كثيفة، ويرمي بنفسه بلا حسابات شخصية، في داخلها. طبعاً سيصطدم بالخوف والأهوال والمزالق ولا شيء ينقذه إلا صدقه أو إخفاقه، وفي الحالة الثانية عليه أن يدفع الثمن مثل الساموراي الياباني بأن يرتد على نفسه، ويغرس السكين في خاصرته قبل أن تتسابق نحوه سكاكين من ينتظرونه في منتصف الطريق. لأن الخطأ الأعظم يستوجب عقوبة أعظم. أذكر في هذا السياق الشاعر الفرنسي الكبير برازياك الذي ناصر النازية لا حباً فيها، لكنه كان يرى فيها الوسيلة القومية الفعالة لإنقاذ أوروبا من مخاطر الانهيار الكلي والتمزق الخطير. التجربة في النهاية بينت مزالق تحليلاته الخطيرة إذ إنها أعمته عن رؤية حقيقة النازية التدميرية للعنصر البشري، التي ظهرت بالمظهر القومي والتحرري أيضاً للشعب الألماني الواقع تحت نير ظلم اتفاقية فرساي التي شرّعت تمزيق أوصالي ألمانيا. بعد الانتصار على النازية حوكم مثل بقية المتعاونين، وحكم عليه بالإعدام. قامت حركة ثقافية نضالية شاركت في الحرب ضد النازية، وكانت تختلف مع رؤية برازياك، ولكنها طالبت الجنرال دوغول أن يتدخل بوصفه رئيساً ليعفو عنه لأنه في النهاية لم يحمل سلاحاً ولم يقتل أحداً، لكنها تصورات بيّن التاريخ أنها كانت مخطئة. لكن جواب الجنرال كان حاسماً: لو كان إنساناً عادياً لهان الأمر، لأنه لا يمثل إلا نفسه. فقد تكلم برازياك بحرية، وجر وراء رأيه الآلاف وربما الملايين، وعليه الآن أن يتحمل ثمن حريته فقط. وأعدم.

الكتابة عن زمن غامض وملتبس هو عمق المسؤولية. لأن الكتابة بقدر متعتها، مخاطرها توازي ذلك. لهذا كلما سمعت بردود الفعل أو قرأت بعضها، تذكرت مآل برازياك، على اختلاف العدو والحقب التاريخية. المستقبل وحده يحدد جدوى وصدق ما ذهبت إليه رواية العربي الأخير، المؤكد أنه لم يكن في النية أبداً الدفع نحو حالة التيئيس. الرواية صرخة اليائس داخل دوامة عالم لم يعد معنياً بنا لأننا لسنا معنيين بأنفسنا. العالم يحترق من حولنا ونحاول أن لا نرى شيئاً، لا نرى الموت الذي يدخل إلى بيوتنا، المظالم التي تعاني منها شعوبنا، التفقير الذهني والمادي، العوالم التي تموت وتنشأ في محيطنا، خيراتنا التي تذهب نحو غيرنا، الحروب التي تشتعل على حدودنا، استيقاظ الأمراض الإثنية والعرقية والطائفية فنضطر إلى الاصطفاف مع هذا أو ذاك، سوق الأسلحة التي أصبحنا أهم زبائنها دون خوض أية حرب ضد عدو سرق منّا الحق في الحياة، مستقبل الماء حق التنفس.. وننتظر من السماء أن تغير بقدرة قادر كل شيء، والغفوة في عالم وهمي سائر إلى مسالك النار، والورد والوديان الناعمة. العربي الأخير كتبت لا لتعيد إنتاج اليأس كما يمكن أن يبدو ظاهرياً، ولكن فقط للتنبيه إلى أن عالما يرتسم الآن في الأفق، سنكون فيه هذه المرة يهود هذا الزمن في تيهنا وضياعنا ويأسنا إن لم نتحرك قبل فوات الأوان، وندرك خطر ما يحيط بنا ويحدث من حولنا. أن تكون مالكاً لرصيد حضاري سابق، لا يكفي ولا يحمي من النهايات الفجائعية. لن يمنعنا من التلاشي كما تقول الرواية، لسنا أفضل من شعوب سبقتنا إلى الحضارة، وانتفت، المايا والآنكا والآزتك التي بُنِيتْ على حضارة

أعـرق، الأولميـك **Olmèques**، التي تأسسـت فـي الجنوب الشـرقي من المكسـيك، قبل نحو **1200** سـنة قبـل الميلاد، وهي جزء مما يسمى بالحضارات ما قبل كريستوف كولمبس، **précolombiennes**، مكتشـف أمريـكا التي تطورت ونمت فـي أمريكا الوسـطى، بأمريـكا الجنوبية. حضـارات محاها الغـزاة الإسـبان أو الفاتحـون **conquistadores** كما كانوا يسـمون أنفسـهم، فـي القرن السـادس عشـر، باسـم التاج الإسـباني، فـي إطار العالـم الجديد. لم يبق اليوم من شـعب الهنـود الحمـر الشـيء الكثير إلا محتشـدات يتجمعـون فيها هنا وهناك، علـى طول غابات كاليفورنيا وغيرها. انقرضـت أو كادت هـذه الشـعوب التي ملأت الدنيا، على مدار عشـرات السـنين والقـرون. ما الـذي يمنع العـرب من هذا المصيـر وحضـارتهم في ظل الانهيارات المتتالية التي وصلت ربما إلى سقفها في السنوات الأخيرة دون أن يتحسّسوا الخطر القادم؟

أؤمـن أن الأمـر يتعلـق فـي النهايـة برواية وليـس بتحليل اجتماعـي، لا يدعـي الأحقيـة التاريخيـة إلا ضـمن متخيـل وسـيناريو قيامي **apocalyptique** (القيامـة) تبرره وقائع حاضـرنا التي تخترق الحرائق الصـغيرة قبـل أن تتعمم، في حدود ما يمكن أن نتخيله. اعتمدت العربي الأخير على مسـار روائي سـردي أخذ الكثير من السـردية البوليسـية لأني أراها اليوم من أقرب الوسـائل السـردية إلى القارئ، وهذه ظاهرة عالمية وليسـت محلية أبداً. يكفـي أن ننظر من حولنا لندرك أن هذا النوع من السرد وراء الكثير من الروايات العالمية التي فرضت نفسها بقوة متخيلها وسـلطانها السردي: اسم الوردة لإمبيرتو إيكو، شـيفرة دافنشـي لدان براون، ملينيوم لسـتيغ لارسـن، وغيرها من النصـوص العالمية، كلهـا اعتمدت هذه التقنية. العربـي الأخير التي اختارت عالمـاً نووياً عربياً، آدم غريب، اعتمدت هذا المسـلك. يختطف هذا الأخير في مطار رواسـي، شـارل دوغول بباريس بمجرد نزوله من الطائرة، لا نعـرف في البدايـة مـن كان وراء العملية، وكالـة المخابرات الأمريكيـة؟ التنظيـم؟ فرقة شـادو التي تخصصـت في قتل علمـاء النـووي العرب؟ من هـذه اللحظة البوليسـية المبهمة تنطلق الرواية، ثم تتوسـع لتشمل ما يحصل، وسيحصل، كما تفترضـه الرواية، في العالم العربي المهدد بمخاطر الانطفاء والزوال. وهذا يضـعها في خانات التخييل وليس التاريخ. لكن من قـال إن التخييـل وحي، خـارج المنجز اللغوي البشـري؟ طبيعي أيضاً أن يتقاطع هذا النص ضمن فاعلية التناص التي تبين حركية المنجز الإنساني، مع نص سابق له يصب في نفس الخانة، بيَّـن التاريخ أن الكاتب كان محقاً في كل ما تصـوره. الاسترشـاد به كان أكثر من ضـرورة، بل حاجة إبداعية أيضاً في لعبة التماهي في النصـوص والعصـور المتجـاورة. رواية جـورج أورويل **1984** كانت سـنداً يبرر دخـول العالم الروائي فـي صـلب عملية الاستشـراف التخييلـي. ناهيك عـن اللعبة التناصـية المقصـودة أدبياً، هناك عودة شخصية بيغ بروزر الذي يصـبح في روايتي ليتل بروزر ولكن بمواصفات مختلفة، فهو أسوأ من سابقه وأبأس منه. للقول إن الدكتاتوريات تتوالد ولا مـكان لها، فهي في كل مكان وفـي اللامكان حيث ترانا ولا نراها، وتكبر في ظل أنانياتنا وحماقاتنا وخسـاراتنا السرية. يمكنهـا أن تنشـأ فـي أكبر بلد، أو في أصـغر رقعـة على وجه الأرض. جورج أورويل تنبأ بدكتاتورية الإعلام وتصـنيع القتلة من داخل المؤسـسة المتحكمة فـي النفوس، لكن ما هو عندنا أكبـر. الأمر يتعلـق بانتفائنا وجودياً وحضـارياً، من على وجه الكرة الأرضـية كبشـر إن استمر الوضـع على حاله. الإرهاب عاصـفة ولكنه حلقة مؤقتة تبتذل الوجود العربي والإسـلامي أيضـاً، وتحوله إلى خطأ تاريخي يجب تصحيحه وإرجاعه إلى السـياق الحضـاري البشـري. هل هناك مكان للعربي العاقل



والمفكر؟ هل سيقاوم هذه العواصف القاتلة أم سيستسلم لها لأنها أقوى منه وهي المنتصر. كيف نخرج من الدوامة في ظل عولمة لا تؤمن إلا بالقوة وبمن يملكها؟ لا يمكننا اليوم أن نتطور دون مظلة قوة حامية لنا، وإلا سنظل تحت رحمة من يحكم العالم. من يستطيع اليوم أن يعتدي على روسيا التي انهارت في وقت من الأوقات، بعد أن استرجعت قوتها الداخلية وتماسكها؟ من يستطيع أن يملي شروطه على كوريا الشمالية بعد أن امتلكت النووي، أو إسرائيل؟ من يهز خيارات الهند وباكستان مهما كانت تحالفاتهما المرحلية؟ الذي أعطى هذه البلدان يقين القدرة على التطور والتنمية المستقلة هو امتلاكها لسبل الحماية التي لا تسمح بأي أن يعتدي عليها دون دفع الثمن غالياً. توازن الرعب. طبعاً لست مع النووي مطلقاً، فهو إبادة مؤجلة للجنس البشري، ولكني أؤمن أيضاً أن الزمن الذي نعيشه لا يسمح للعرب أن يعيشوا بسلام، دون امتلاكهم حق وأداة الدفاع عن أنفسهم، لأن العدو المتربص بهم في المقابل، مالك لهذه القوة التدميرية، وهو من يحدد ما يجب أن يكون، وما يجب أن لا يكون. مسؤولية الدول العظمى تكمن في هذه العين التي ترى ما تريد رؤيته، وترفض ما لا يناسبها. بالنسبة لهذه الأخيرة، العربي هو في أدنى اهتماماتها، لأنها لا تؤمن إلا بالقوة. ربما احتاج العالم اليوم إلى لغة أخرى غير تلك التي نعرفها، وإلى نظام آخر أكثر عدلاً. للعربي الحق في العيش الكريم والخروج من المهانة والظلم. بغير هذا، يتجه العرب نحو حتفهم الذاتي. سيتحولون في أحسن الأحوال، إلى محميات لغيرهم من الأقوياء. وهذا لا يحتاج إلى عبقرية كبيرة مطلقاً، لإدراكه. ماذا لو تعلم العرب من غيرهم، من جارتهم إسرائيل مثلاً؟ نستطيع طبعاً أن نقول ما نشاء من حيث جرائم الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، واحتلالها للأراضي العربية، لكن لا يمكن أن نضع رؤوسنا في الرمال كونها دولة عرفت في وقت متقدم، في الخمسينات، أن بقاءها مرهون بامتلاكها النووي بحيث لن تستطيع أية قوة تهديدها الآن. أكثر من هذا، لن تسمح لأية قوة في المنطقة، العرب على وجه الخصوص، بامتلاك النووي، لهذا قامت بتدمير أي مشروع نووي أو نواة مشروع، وقتلت علماء الذرة المختصين في الفيزياء النووية، من المصريين والعراقيين والسوريين والجزائريين وغيرهم، في ظل صمت عربي ودولي مجرم. اغتيلوا بطرق فظيعة في الفنادق أو في الشوارع أو مسمّمين، أوفي حوادث غريبة مفبركة. الأخطر بالنسبة لإسرائيل ليس النووي فقط، ولكن أيضاً امتلاك الخبرة العلمية للسيطرة عليه، إذ يصبح وقتها من المستحيل السيطرة على القرار العربي. ماذا كان سيحدث لو امتلك العرب النووي؟ مجرد سؤال افتراضي؟ هل كانت ستعربد إسرائيل كما تشاء في السماء العربية؟ هل كانت ستستعرض عضلاتها على غزة أمام العالم وتنتهك الأراضي العربية متى تشاء؟ وهل قالت رواية العربي الأخير غير هذه الحقيقة التي يهرب منها الجميع والتي يجب أن يتم تأملها عن قرب. على العالم إذا كان صادقاً في مشروعه المضاد للنووي، أن يوقفه في المنطقة كلها لحماية هذه الرقعة الإنسانية، وإلا سيظل الوضع ظالماً بشكل كبير. العرب اليوم في عنق الزجاجة بعد أن انسحبت منهم كل إمكانات المبادرة، إما أن ينطلقوا من ضعفهم لبناء زمن آخر سيده العقل والنور مهما كلف ذلك من أثمان باهظة وتحالفات دولية براغماتية جديدة، أو ينتهون في أحضان البؤس والاقتتال الطائفي والقبلي والتخلف، والتمزق كما كان في دويلات الطوائف إلى أن تذهب ريحهم نهائياً، وهو الاحتمال الأكبر للأسف، نظراً للأوضاع الحالية. ماذا فعل العرب لحل مشكلة حيوية وإستراتيجية تحديداً مثل الماء؟ لا شيء. الكثير من مدنهم ستندثر بعد سنوات قليلة قادمة كما تُجمع كل التقارير الدولية التي تسنّى لي قراءتها؟ بعد سنة سينتهي بناء سد النهضة الكبير في إثيوبيا بتمويل إسرائيلي؟ سيلتهم أكثر من نصف المياه التي تغذي النيل الأزرق؟ التفكير وحده في حالتي السودان ومصر، مفجع، لأن ما سيكون سينهي حياة أقوام وأمم ويمحوها من الوجود. بعد سنوات قليلة سيضطر العرب إلى البحث عن قطرة ماء، أو سيموتون عطشاً ببساطة. لا خيار أبداً إلا خيار القفز نحو حداثة مربكة لليقينيات القديمة، لا خيار غيرها، هذا إذا كان الإدراك موجوداً بجدوى ذلك، بل بحيويته أيضاً. عندي الكثير من الشكوك في ذلك وأتمنى أن أكون مخطئاً أو كما قلت في بداية الرواية: أتمنى أن لا يحدث هذا. هل العربي الأخير هي رواية يأس أم رواية السؤال قبل حدوث الفاجعة؟ للقارئ عينه وحقه.

لوعة الشوق

محمد بن ناصر الكيومي: عُمان

يا من ملكت على الدوام حشاشتي
حاشا لنفسك أن تريد الشر لي

باعدت مني كل طرف مشفقا
وحسبتني أنساك لكن كيف لي

لي مضغة بالصدر تطلب وصلكم
هي عندكم لكنها يا غصن لي

فإن اتخذت لك الصدود سجية
فالموت أرحم من عذاب الصد لي

فعلام تسمع للوشاة مقالة
الورد مني والمهند ليس لي

وعلام تقتلني إذا غرب الفضا
وتعيد روحي من وراء الشرق لي

حسبي من البين الملم غمامة
تهمي وصاعقة براها الشوق لي

حتى أكف عن الغرام نواظري
ولأن أنرت كمثل بدر الليل لي

لكن أراني ما قويت على النوى
لك نصف عمري والبقية دعه لي

أزمعت طعني في الفؤاد جناية
ولإن ألومك قلت إن اللوم لي

لو أن وصلك كان ألف ليلة
لجعلت أشكو قل هذا الوصل لي

أو قد أذل لك المطي سنامه
فاعلم بأنك يا نحيل القد لي

ما زلت أحسب كل ربع ضيقا
حتى برزت فخلت الكون لي





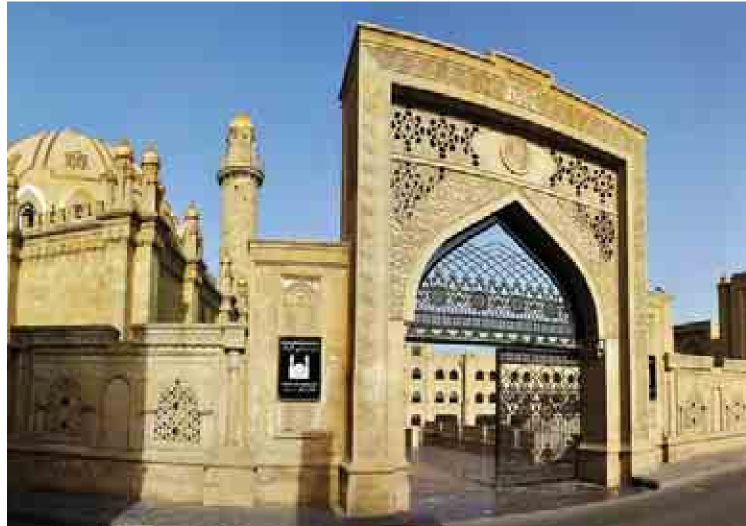
تازة مدينتان في واحدة



محمد القاضي: المغرب

قصة مدينتين.. مدينة حكم عليها القدر بالانشطار إلى قسمين: تازة العليا وتقع على هضبة مرتفعة على نحو 600 متر عن مستوى سطح البحر، تحيط بها الجنان والبساتين وغابات الزيتون، وتضم عدة مآثر تاريخية قديمة. وتازة السفلى المنبسطة على السهول، وهي حديثة العهد بمبانيها وشوارعها وأزقتها وأسواقها ومصالحها الإدارية والتجارية والصناعية. ويصل بين المدينتين منحدر طويل مدرج ومسور وباب في الأعلى أطلق عليه باب الريح. تقع المدينتان في منتصف الطريق بين مكناس ووجدة في موقع جميل وممتاز بين جبال الأطلس المتوسط وجبال الريف في ممر إستراتيجي مهم بين المغرب الشرقي وسهول فاس الخصبة. وقد أهلها هذا الموقع الرفيع لتلعب دوراً عسكرياً رائداً عبر تاريخ المغرب، لأنه يتحكم في طريق الغزو التي تعرف بمنفذ تازة، وتتعدد الحكايات والقصص والروايات حول اسم المدينة إلا أن الأقرب للواقع هو تيزي البربرية والتي تعني الفج.









حصن البستيون أي) الموقع الحصين (كانت وظيفته التصدي للمد العثماني الزاحف من الشرق ..ويعد اليوم من معالم تازة البارزة

أما عن تاريخ المدينة فهو غير معروف بالضبط إلا أنه من الواضح أنها بنيت قبل دخول الإسلام، وقد وجدت آثار الإنسان البدائي بهذه المنطقة، كما أنها عمرت من طرف عدة قبائل بربرية وعربية كالحياينة، وغياثة، ومكناسة، وبني هلال، وبني سليم، وبني وراين، وهوارة، وأولاد رحو التي كانت في البداية قبائل رحل إلا أنها مع اعتناقها الإسلام ديناً، استقرت على شكل دوارير (جماعات) قرب المدينة. إلا أن تاريخ المدينة المكتوب يرجع إلى عهد الأدارسة، وهي أول دولة إسلامية بالمغرب، فقد كان المولى إدريس الأول (الأكبر) أول من جاهد ونشر الإسلام بتازة، وصحبه أهلها حتى مشارف مدينة تلمسان بالجزائر، فاتحاً وبانياً ومشيداً، في القرن الثاني للهجرة.

خصوصية فريدة في المغرب

لقد أنعم الله على مدينة تازة بجمال طبيعي خلاب، ومناظر جذابة يحيط بها الخصب والماء وطيب الهواء من كل جانب، الشيء الذي جعل الكتاب والشعراء يتغنون بحسنها الفاتن، ويتفننون في وصفها ووصف حدائقها الغناء، ويشيدون بخيراتها. فهذا لسان الدين بن الخطيب يصفها قائلاً: (تازة بلد مشاع، وكشف قناع، ومحل ريع وإيناع، ووطن طاب هواؤه، وعذب ماؤه، وبان إشرافه واعتلاؤه، وجلت فيه مواهب الله وآلاؤه، عصيره ثمل، وأمر الخصب به ممتثل، وفواكهه لا تحصى، يمارى بها البلد الأقصى، وحبوبه تدوم على الخزن، وفخاره آية في لطافة الجرم وخفة الوزن، إلا أن ريحه عاصف، وبرده لا يصفه واصف، وأهله في وبال، من معرة أهل الجبال، وليوثه مفترسة وأخلاق أهله شرسة).

أما صاحب كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) محمد بن عبدالمنعم الحميري (القرن الثامن الهجري) فيذكرها كما يلي: (أول بلاد تازة حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول، وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلية وغيرهما، وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط أعني في جبال تازة، وهي كبيرة في سفح جبل عال مشرفة على بسائط تشقها جداول المياه العذبة عليها سور عظيم، وهي في فسحة من نحو ستة أميال ما بين جبال، تنصب إليها من تلك الجبال مياه كثيرة وأنهار تسقي جميع بساتينها، ولها نظر كبير كثير الزرع والفواكه وجميع الخيرات).

ووصفها أحد الشعراء قائلاً:

هذه تازة وهذي رباها
هي كالتاريخ حتى مبتداها
أخت فاس هي في المجد إذا ما
ولمراكش الجميلة مرآها
فاسألوا رأس مائها فهو جار
يصدع اليوم قلبها بهواها
يتراءى كأنه مبتداها
طأطأ الدوح رأسه لعلاها
وبساتينها التي لا تضاهى
في تلال له الإله اصطفاها

من موقع رأس الماء الخلاب تبدو تازة على شكل قلعة محصنة في اتجاه الشرق والغرب. وراءها تنتصب تلال





مقدمة الريف، تحصنها كحارس كطبيعي وأمين، على مدار هذا المنعطف بصمت حوافر الخيول عتبات التاريخ.

تازة عاصمة الموحدين والمرينيين

كانت مدينة تازة أول مدينة اهتم بها عبدالمومن بن علي، إذ أخذت قبائلها بمبادئ الموحدين سنة 527هـ، ولما أدرك هذا الأخير أهمية موضع القبائل من الناحية الحربية، عمد إلى إنشاء رباط لجيشه على أرضها ثم شيد مسجدها وأقام عليها سوراً في سنة 529هـ. وقد مد عبدالمومن رباط تازة بجيش كامل العدد والعدة فأضحى -فيما بعد- حامياً لحدود المغرب الأقصى من جهة الشرق، وحامياً للجزائر ثم أفريقية. وبهذا استلبت مدينة تازة مكانة (تنمل) -مركز الموحدين الأول الذي يقع جنوب المغرب على بعد 115 كلم من مراكش- حربياً، فأصبحت مهمتها الحربية مقصورة على حماية المغرب.

لقد أصبحت تازة عاصمة بالفعل للموحدين، إن لم تكن طيلة السنين فهي على الأقل كذلك، في بعض الفترات من حياتها. وحتى عندما جعل الموحدون حاضرة مراكش عاصمة لملكهم ومستقر قيادة الجيش العامة، ظلت تازة محتفظة بأهميتها الحربية لوقوعها على الطريق المار بين المغرب والمشرق وأخذت بأسباب النماء حتى أضحت مدينة كبيرة غنية بدورها وقصورها ومساجدها ومعاهدها العلمية وبساتينها وميادينها العامة.

أما في عهد المرينيين -الذين جاؤوا بعد الموحدين- فقد عرفت المدينة نشاطاً ورواجاً سياسيين، وما ينشأ عنهما من اتصال وانفصال وما ينتج عن الجميع من حضارة وعمران ما زالت معالم البعض منها ماثلة حتى الآن.

لقد توجه إليها بنو مرين بنفس العناية والحماس الذي توجهوا به إلى عاصمتهم فاس، بل إنهم اتخذوا من تازة مدرسة لفلذات أكبادهم، وقاعدة للأمراء وكبار رجال الدولة، فبلغت في عهدهم ما لم تبلغه معظم المدن في المغرب الأقصى. وفي أيام السلطان يوسف بن عبدالحق المريني كان النهوض من تازة إلى الأندلس مباشرة بقصد الجهاد، وقبل هذا كانت قاعدة لغزو تلمسان، ما جعلها تتوافر على صفات العواصم الإسلامية وتصطبغ بصبغة المدن المهمة ذات الأسوار التاريخية المنيفة والجامع الأثري العتيق، والقصور الشامخة والحدائق الغناء، وما يتبع ذلك من نقش وزليج وزخرفة وفسيفساء الشيء الذي ما زالت تزخر به الأمكنة إلى الآن، وخصوصاً في تازة العليا ذات الطابع الإسلامي الصرف، والزوايا الثمينة، التي تحتضن الكثير من رجال القوة والولاية والصلاح، والعدد الوافر من حملة الأقلام في كل ميدان من ميادين العلم والمعرفة.

كما كانت مركز إشعاع ثقافي وعلمي وحضاري. وفي الحوالات الوقفية انعكاس لأخبار تازة ونشاطها العلمي والثقافي في المعامل والمصانع التي كانت تحتضنها، من دباغة وصباغة وسبك النحاس والزجاج والورق، ونحن نعلم عن المثل المغربي السائر الذي يضرب بصابون تازة والذي يعبر عن جانب من جوانب اهتمامات المدينة، بمعنى صناعة الصابون التي تعتبر من أبرز الدلالات الحضارية.. كراسي العلم، والخزانات العلمية، والمدارس الطلابية.

أغرب ما في تازة أن المدينة تكسوها الثلوج في فصل الشتاء وتعيش الظمأ في الصيف



الإنسان التازي عرف بالشهامة والشجاعة وعزة النفس والكرم حيث عودته طبيعة بلاده القاسية على مواجهة الأحداث المختلفة والمفاجآت

لقد كانت تازة بذلك في صدور القواعد الثقافية الكبرى للمغرب، مثل: فاس، وسبتة، ومراكش، وسلا، ومكناس.

ويذكر العلامة الأستاذ محمد بن أحمد الأمراني رئيس فرع رابطة علماء المغرب بتازة، مجموعة من رجالات تازة الذين انتقلوا منها لأسباب خاصة -في هذه العصور- إلى مدينة فاس واستقروا بها وبغيرها، بحيث كان نشاطهم الأدبي والعلمي والدبلوماسي خارج بلادهم (تازة) كابن البقال التازي الفقيه الفيلسوف دفين مدينة فاس. وإبراهيم التسولي التازي الملقب بابن أبي يحيى السفير المغربي لدى السلطان الحسن المريني، والذي توفي بفاس أو تازة. والشاعر أحمد بن شعيب الجزنائي التازي الذي اتخذه أبو الحسن المريني كاتباً في ديوان إنشائه، والذي مات غريقاً بشواطئ تونس. والشاعر الصوفي إبراهيم التازي دفين وهران بالجزائر. والشيخ أحمد زروق دفين مصراتة بليبيا. والفقيه النوازلي أبي الحسن التسولي شارح التحفة، دفين فاس، وغير هؤلاء من رجال الفقه والتصوف.

تازة في عهد الوطاسيين والسعديين

على إثر انهيار دولة بني مرين وتصدع أركانها تصدعاً، كان من بين معطياته انقسام المغرب إلى مناطق نفوذ واحتلال سواحله من طرف البرتغال، فالسعديون اتخذوا من مراكش عاصمة لهم لقربهم من منبت دولتهم في بلاد سوس ودرعة. والوطاسيون مكثوا في فاس ونواحيها يقاومون هجمات السعديين والثوار، ولم ينس السلاطين من بني وطاس ما كان لمدينة تازة مع آبائهم وأجدادهم من ذكريات عذبة، وأيام صافية بيضاء، فلم يتنكروا لها بالمرة ولا أنستهم نشوة سلطانهم الجديد، وظفرهم بمدينة فاس، ما كان لهذا الحصن الحصين من فضل على توطيد دعائم ملك بني مرين. إذاً فلا غرابة إذا قال الحسن الوزان الذي زار مدينة تازة في العهد الوطاسي بأنها: (تحتل الدرجة الثالثة في المملكة من حيث المكانة والحضارة، ففيها جامع أكبر من جامع فاس، وسكانها الشجعان كرماء.. من بينهم عدد كبير من العلماء والأخيار والأثرياء، لأن أراضيها تنتج أحياناً ثلاثين ضعف ما يبذر فيها.. ومن عادة ملوك فاس لهذا العهد أنهم يقطعون لهذه المدينة لثاني أبنائهم. ومن الواجب، والحق يقال أن تكون حاضرة المملكة لطيب هوائها صيفاً وشتاء).

إلا أن سلاطين بني وطاس في فاس أخذت رقعة نفوذهم تضيق باستمرار حتى اقتحم عليهم محمد الشيخ السعدي حاضرتهم وأخرجهم منها سنة 950هـ، وخلص المغرب كله للسعديين. فقام أحمد المنصور السعدي بتشييد حصن البستيون (ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية BASTION) وتعني الخط المتقدم أو الموقع الحصين. وكانت وظيفته هي التصدي للمد العثماني الزاحف من الشرق، والذي وصل في بعض الفترات إلى مدينة فاس نفسها قبل أن يرتد على أعقابه مهزوماً. ويعد الحصن اليوم من معالم تازة البارزة، ويشتمل على سراديب أرضية مختلفة وأقبية متعددة كانت تستعمل لتخزين الأسلحة والذخيرة ومواد التموين. وعند أسفله بقايا لمرابض الخيول. أما سطح البناية فيشرف على الجزء الشرقي للمدينة بكامله. وظل الحصن يقوم بدور المراقبة الدفاعية طيلة الفترات التاريخية المتعاقبة،



بما في ذلك فترة الحماية الفرنسية باعتباره موقعاً مهماً.

لم ينج عصر المنصور السعدي من دسائس ومؤامرات أفراد الأسرة وثورات القبائل ضد السلطة المركزية كثورة ابن قرقوش سنة 996هـ، وثورة الناصر السعدي سنة 1002هـ، ثم ثورة ابنه المأمون سنة 1010هـ. وقد اكتسبت هذه الثورات أوجهاً مختلفة باختلاف أغراض القادة الذين يرأسونها أو قوة القبائل التي تدعمها. فإذا كان ابن قرقوش لم يستطع إرضاء القبائل التي حوله فالناصر سيحاول إرضاءها بأخذ تازة وجعلها عاصمة له، وفصلها عن السلطة المركزية، ولم يمض وقت طويل حتى دخلت بوادي مليلية وتازة وفاس تحت قيادة الناصر. ويذكر المؤرخ الناصري في كتابه الاستقصا: أن المغرب قد اهتز لقيام الناصر بالثورة، وتشوقت النفوس إليه لميل القلوب عن المنصور لشدة وطأته واعتسافه للرعية. وقد تم القضاء على هذه الثورات كلها من طرف المنصور. وبموت هذا الأخير ضعُف أمر هذه الأسرة السعدية وتفرق الملك بينهم وبين غيرهم من الطامعين.

تازة في عهد العلويين

ظهر العلويون والمغرب أشد ما يكون تمزقاً وضعفاً، فالدلائيون يحكمون تادلا وسلا ومكناسة والغرب كله، إلا مراكش وسجلماسة، والخضر غيلان قد قام بالفحص (طنجة وأصيلا) منذ سنة 1063هـ وعبدالكريم الشباني وولده بعده بمراكش، وسجلماسة ودرعة والمغرب الشرقي تحت قيادة الأمير محمد بن الشريف العلوي منذ سنة 1050هـ، وفي الريف (شمال المغرب) كان الرئيس أبو محمد عبدالله أعراس، وفي تطوان كان المقدم أحمد النقسيس. وفي تازة كان اليهودي ابن مشعَل، الذي كان يعيش بين أظهر قبائل بني يزناسين وكانت له أموال طائلة وذخائر نفيسة وصولة على المسلمين، وكان يخرج في هيئة الملوك يحيط به الأتباع والخيل، فقتله الأمير رشيد العلوي، واستفى كثيراً من أمواله في بناء الدولة. وقد وضعت كثير من الأساطير حول هذه الحادثة وحول مساعدة بعض طلبة فاس للأمير الذي لم ينس هذه الممنونة فأذن بإقامة مهرجان سلطان الطلبة الذي يعتبر تتويجاً للعلم وتقديراً لرجالاته.

وهكذا اقتحم الأمير رشيد مدينة تازة بعد محاربة طويلة، وبايعه أهلها والقبائل التي حولها وأقام بها أياماً. ويعلق الدكتور عبد الهادي التازي على هذا الحادث قائلاً: (كانت تازة عنيفة قوية وهي تدافع عن هويتها الإسلامية، وهل ينسى التاريخ أن تازة هي التي انتبهت أول من انتبه للخطر الذي كان يهدد العالم الإسلامي قبل أربعة قرون من إنشاء الكيان الصهيوني اليوم، وماذا تعني حادثة ابن مشعل الذي كان يعتزم إنشاء كيان يهودي في الإقليم؟!. لقد أقبرها السلطان مولاي رشيد).

لقد وحَّد الرشيد المغرب بالقضاء على الزعماء المنقسمين وأدخل كل الحواضر المغربية في طاعته فتمت له بيعة المغرب كله. وأخذ بعده أخوه المولى إسماعيل على عاتقه ضمان استمرار الدولة وإكمال بنائها. فقصد مدينة تازة وأنزل بها ألفين وخمسمائة من خيل العبيد بعيالهم وولى عليهم منصور بن الرامي، وشيد قلعة بجوار قصبتها القديمة، وعين لكل قبيلة من قبائل تلك البلاد قلعتها التي

يصل بين تازة العليا وتازة السفلى منحدر طويل مدرج ومسور وباب في الأعلى أطلق عليه باب الريح

تدفع منها زكواتها وأعشارها لمؤونة العبيد وعلف خيولهم، ومن وقع في أرضه سوء عوقب عليه من طرف قائد تلك القلعة، وانتشر الأمن في البلاد وسادت الطمأنينة جميع العباد، واستمرت تازة في ظل الحكم العلوي إحدى القواعد الرئيسة في المغرب إلى مطلع القرن العشرين، حيث استقر بها الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة وجعلها عاصمة لإمارته، بعدما ثار على السلطة المركزية وأجج الثورة في منطقة جبالة، وآيت يوسي، وكروان، وغياتة، والحياينة، فتلا ذلك فرض الحماية الأجنبية على المغرب سنة 1912م فاحتلت فرنسا مدينة تازة في 10 مايو 1914م على يد القائد الفرنسي بَاومكَارطِنْ إثر معركة قادها المقاوم الحجامي في جبال تسول.

معالم المدينة

تزخر مدينة تازة بالعديد من المآثر العمرانية والمواقع الطبيعية الرائعة. ففي مجال المعمار الديني توجد بالمدينة ثلاثة مساجد مهمة وهي: المسجد الأعظم، ومسجد لالا عذرا، ومسجد الأندلس. وقد شيد الأول الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي سنة 542هـ ولكن بشكل أبسط مما هو عليه الآن. وقد تم توسيعه وإدخال تحسينات عليه في عهد المرينيين، وبقطع النظر عن الآيات البينات من جميل النقش وبديع الزخرف، التي يتحلى بها المنبر والمحراب وما يليه، فقد توج الجميع بالثريا النحاسية البديعة الصنع، والتي يبلغ وزنها 32 قنطاراً، وعدد كؤوسها 514. وتعد بحق مفخرة تازة. وقد نقش في أعلى دائرتها ما يلي: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الله نور السماوات والأرض..) إلى نصف الآية الثانية بعد هذه. وفي أسفلها نجد الثريا تتحدث عن نفسها بما نقش على لسانها من أبيات هذا مطلعها:

يا ناظراً في جمالي حقق النظرا
أنا الثريا التي تازا بها افتخرت
أفرغت في قالب الحسن البديع كما
في مسجد جامع للناس أبدعه
في عام أربعة تسعون تتبعها
ومتعي الطرف في حسْني الذي بَهَرَا
على البلاد فما مثلي الزمان يرَا
شاء الأمير أبو يعقوب إذ أمرَا
ملك أقام بعون الله منتصرَا
ست المئين من الأعوام قد سطرَا

هذا بالإضافة إلى الثريا الثانية التي هي عبارة عن ناقوس جلب من إحدى الكنائس الإسبانية، وهو من أكبر الأجراس الكنائسية وأعظمها، ويلي ذلك أربع رخامات شمسية لإحصاء أوقات الصلاة، ثم عدد آخر من اللوحات الزليجية التي نقش عليها الكثير من الحقائق والبيانات. يقول طيراس: هناك مسجدان وصلا إلينا بكاملهما، ويخبراننا عما كان عليه الفن المريني الأول: المسجد الكبير في فاس الجديد، والثاني: المسجد الأعظم بتازة.

تازة العليا تقع على هضبة مرتفعة على نحو 600 متر عن مستوى سطح البحر ..وتازة السفلى منبسطة على السهول

كما توجد بالمدينة العديد من الزوايا والأضرحة وبعض الحمامات والفنادق العتيقة (تحول بعضها إلى مركبات تجارية)، ومشور الجيلالي الزرهوني الملقب (بوحمارة). والبستيون والأسوار ذات الأبراج، ويعتبر برج سارازين الذي يقع عند الطرف الجنوبي للسور، امتداداً لحصن يعود إلى العصر الموحدي، إضافة إلى معالم أثرية وطبيعية وسياحية أخرى.

لقد تغيرت ملامح المدينة القديمة، فغادرها الكثير من سكانها التقليديون إلى المدينة الجديدة (تازة السفلى) أو إلى جهات أخرى، وتحولت الدور الكبرى إلى بيوت صغيرة يقطنها الفقراء.

إن الزائر إلى تازة لابد وأن يسمع عن مغارة فريوَاطو التي تعتبر ثاني مغارة في العالم من حيث الطول والعمق بعد مغارة جيغيتا في بيروت، وتقع على بعد عشرين كيلومتر جنوب المدينة، على امتداد منحدر (تيسيدلت) بعلو يمتد من 1432 إلى 1719 متراً، قرب ضاية شيكر وبمحاذاة الطريق الثانوي رقم (311) المؤدي إلى بابودير وسيدي عبد الله عبر باب أزهار.

وقد تم اكتشافها من طرف الفرنسيين سنة 1932م، وكان أول ما ظهر منها تلك الفتحة المواجهة للسماء مباشرة، إلا أنه سرعان ما تم اكتشاف ممر جانبي وأصبح بإمكان الجمهور التمتع بمتاهاتها الرهيبة. ويمكن الوصول إليها بسهولة عبر مدخل ضيق، وعليك أن تحسب الخطوات بحذر بعد ذلك إذ تمت 250 درجاً محمولاً في الهواء تقريباً، وهي من أهم المعالم السياحية في المنطقة وتستقطب سنويا آلاف السواح من داخل المغرب وخارجه.

تازة اليوم

تازة اليوم عمالة (محافظة) تضم دوائر: أكنول، وكرسيف، وتاهلة، وتيناست، وأحواز تازة، وتصل مساحتها 15465 كلم2، وساكنة تصل إلى 588400 نسمة. بينما تصل مساحة المدينة إلى سبع كيلومترات مربعة، وساكنة تربو على 28267 نسمة، أي 3253 أسرة تحتل تازة العليا في موقع عمراني متميز جنوب تازة السفلى (الجديدة). ونظراً لضيق المجال الحيوي وتزايد الهجرة منها وإليها، فإن المدينة العتيقة تعرف كثافة سكانية مرتفعة قياساً إلى بعض الحواضر المماثلة. يعمل سكان تازة بالفلاحة والتجارة

والصناعة التقليدية: كصناعة النسيج والنقش على الخشب والخياطة التقليدية، وصناعة الزرابي والأغطية التقليدية ودباغة الجلود..

أما الصناعة الحديثة بالمدينة فهي دون المستوى المطلوب إذا ما قورنت بجيرانها (فاس، وجدة، مكناس) ويعزا ذلك إلى القيود الطبيعية والسوسيو اقتصادية التي تقف في وجه التنمية الصناعية. ويعتبر سوق العطارين أقدم وأهم مركز تجاري في قلب المدينة العتيقة وقد عرف بدوره تحولاً كبيراً أثر بشكل سلبي على المدينة، ذلك أنه انتقل ومنذ أواسط الثمانينات من تنوع الخدمات والحرف إلى الاقتصار على بيع الملابس الجاهزة والسلع المهربة من مدينة مليلية المحتلة عبر الناظور أو وجدة!

كما تتوافر المدينة على سوق للجملة يستقطب أنواعاً متعددة للخضراوات التي يتم جلبها من منطقة حوض ملوية ومكناس وأكادير، وتحتل بناية جد متواضعة رغم موقعها المتميز بالمدينة العتيقة.

إن أهم ما تفتقر إليه المدينة بشقيها هو الفنادق السياحية بحيث لا يوجد بهما إلا خمسة فنادق، اثنان منها مصنفة! كما تعاني من أزمة الماء، والغريب في الأمر أن تازة كانت إلى حدود نهاية السبعينات خزاناً مائياً حقيقياً لوقوعها في منطقة جبلية تتاخم عدداً من المنابع، غير أن هذا الوضع سرعان ما انقلب رأساً على عقب بفعل غياب تخطيط مستقبلي وعقلاني لتصريف وتدبير الماء العذب خصوصاً بعدما عرفت المدينة زيادة ديمغرافية ملحوظة حيث تضاعف عدد سكانها على مدى عقدين من الزمن. إضافة إلى توالي سنوات القحط التي أثرت على المخزون المائي للمنطقة. وبات الخصاص يشكل القاعدة والاكتفاء هو الاستثناء. وتراجعت المساحات الخضراء بشكل ملموس، وأغلقت عدد من المرافق الحيوية أبوابها لارتباطها بمادة الماء كالمسبح البلدي الشهير على الصعيد المغاربي وأهم مفاخر المدينة، والذي ظل يشكل في فصل الصيف متنفساً وحيداً للراحة والمتعة لأبنائها والوافدين عليها، وقد هيأ أبطالاً في السباحة نالوا شهرة واسعة على الصعيدين الوطني والدولي.

وأغرب ما في الأمر أن المدينة تكسوها الثلوج في فصل الشتاء وتعيش الظمأ في الصيف!

أما الإنسان التازي فقد عرف بالشهامة والشجاعة وعزة النفس والكرم. عوَّدته طبيعة بلاده القاسية على مواجهة الأحداث المختلفة والمفاجآت التي تكون أحياناً في غير مصلحته، ورغم ذلك يعتز بمدينته ويفتخر بماضيها المجيد، ويتطلع دائماً إلى ما هو أفضل.. ويكفيهم فخراً ما قاله فيهم الشاعر أبو عبد الله الهواري:

قوم كرام بتازة فاق جودهم
كلا وحق الذي أبدى مودتهم
لله درهم من معشر سكنوا
يسلو بهم كل من رأى محيَّاهم
إن جئتهم نلت ما ترجو وتأمله
جود البلاد التي أبصرت في سفري
ما أن بدا مثلهم في البدْو والحضر
حصنا يكن الفتى من شدة المطرِ
وينجلي همُّه في الورد والصدرِ
وانتجعت نداهم فزت بالظفرِ



إعداد: أحمد الواصل

شباب الأدب الروسي

الكتاب: ورثة تالستوي
المؤلف: أحمد صلاح الدين
الناشر: مصر العربية - مكتبة أطياف 2016

يقدم لنا الكاتب والمترجم أحمد صلاح الدين في هذا الكتاب مساحة جديدة للتعرف على أعلام الأدب الروسي المعاصر، فقد درج في الثقافة العربية أن تكرست أسماء كبرى من أعلام الأدب الروسي مثل ديستوفسكي وتولستوي وتشيخوف وغوركي وسواهم ما بين الملاحم الأدبية المطولة الأجزاء وبين الروايات والقصص القصيرة. عدا أن هذا الكتاب الجديد يحاول أن يطل من نافذة العصر للقاء أسماء جديدة ربما تضخ حالة أخرى من التفاعل الثقافي. هذه واحدة من المقالات في الكتاب.

الطفل الذي أبقى الزوجة في البيت
أندريه ديمتربيف

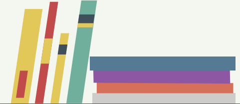
شهد الأدب الروسي قبيل نهاية القرن العشرين أوقاتاً عصيبة، وخلت المكتبة الأدبية الروسية من الأعمال المميزة، إلا من الأصوات القليلة التي نجحت في تجاوز تلك الفترة. ورغم تراجع الرقابة على الإبداع وإتاحة المجال أمام الكتاب في روسيا الجديدة للتعبير عن آرائهم، إلا أن ظروف البلاد الصعبة التي أعقبت الانهيار، أدت إلى معاناة سوق الكتاب في روسيا الجديدة، فقد شهدت طباعة الكتب في روسيا تراجعاً كبيراً وقف على حافة الكارثة، وتراجع عدد الكتب المطبوعة على نحو كبير، وطالت فترة التعافي إلى عشر سنوات.

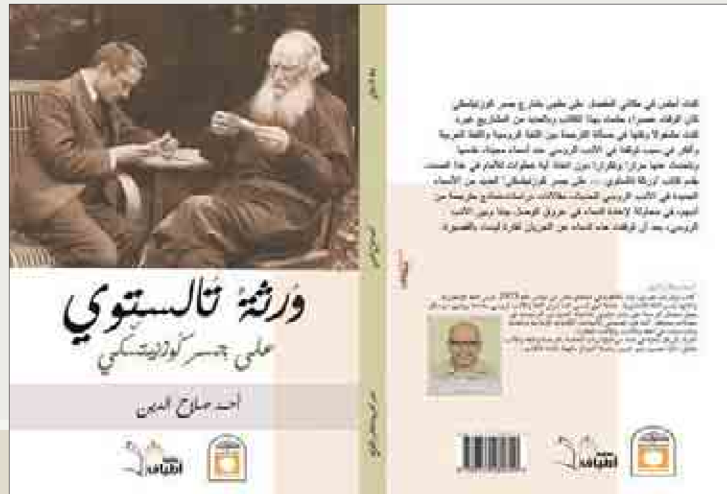
يأتي فيكتور بيليفين في مقدمة كتاب تلك الفترة، فقد نال شهرة كبيرة بفضل قصصه القصيرة في المقام الأول وبعدها الروايات، يليه الروائي والكاتب المسرحي فلاديمير ساروكين، والشاعر ديميتري بريجوف. والجديد فعلاً في هذه الفترة هو ظهور كاتبات قصة قصيرة على الساحة مثل تاتيانا تولستايا، لودميلا بتروشيفسكايا، والروائيات لودميلا أوليتسكايا، ودينا روبينا، فيما حافظ الخط التقليدي للرواية الروسية على وجوده مع كتاب مثل ميخائيل شيشكين وفاسيلي اكسينوف.

جاء القرن الواحد والعشرون بجيل جديد من الكتاب الروس، يختلف كلياً عن نثر ما بعد الحداثة قبيل نهاية القرن العشرين، ما دفع النقاد للكلام عن الواقعية الجديدة التي دشنها الشباب الذي كبر بعيداً عن أحضان الاتحاد السوفيتي. الواقعيين الجدد يكتبون عن الحياة اليومية لكن دون استخدام العناصر الصوفية والسيريالية الخاصة بأسلافهم، فهم يرون أن الوعظ له متسع في الصحافة وفي الكتابة السياسية والاجتماعية، والفعل المباشر مسؤولية المجتمع المدني، الفن شيء آخر.

ومن الكتاب المميزين في هذه الفترة، أندريه فيكتوروفيتش ديمتربيف، الروائي والقاص المميز، والحاصل على جائزة البوكر الروسية عام 2012. ولد الروائي والقاص الروسي أندريه فيكتوروفيتش ديميتربيف في مايو 1956، نشر أولى قصصه في منتصف الثمانينات، لم ينل شهرة في الأوساط الأدبية الروسية إلا مع نشر نوفيلاته (فاسكوبابيف والیزابیث) و(منحنى النهر) في عامي 1992 و1995 على الترتيب.

تجري أحداث (منحنى النهر) في مدرسة داخلية تقع خارج المدينة للأطفال من مرضى السل. يعاني أحد تلاميذ المدرسة ويدعى سميرنوف من مضاعفات، حالته



متأخرة، جاء أبوه بصحبه البوليس ليأخذه معه. تصور الأب أن بقاء الطفل بالبيت سيدفع زوجته، التي تريد تركه، للبقاء. اعترض سنيتكوف -كبير الأطباء بالمدرسة- يعرف أن الطفل سيحرم من الرعاية الطبية المناسبة بالمنزل، هذا سيمثل خطراً على حياته، لذا قرر أن يخفي الطفل في كوخ بالقرب من المدرسة. هناك، سميرنوف الصغير يحلم، يعاني من ضلالات تأخذه إلى عالم رائع من الخيال. يبعد بخياله ليحلم بقصة ذات طابع ديني، تحكي عن دير قديم بجوار المدرسة به رسوم لقوى خيالية خارقة.

مكان «منحنى النهر» واقعي، الحكاية تمزج بين الحقيقة والخيال. هناك انتقال مستمر من عالم لآخر، أزمنة متغيرة، الحكي على مستويات مختلفة، شخصيات متباينة، بسيطة وإنسانية. هناك تركيز على وصف العالم الخارجي، تفاصيل بسيطة تصف سمات الشخصيات. ترك ديميترييف النهاية مفتوحة، لم يعمد إلى الوعظ، ترك للقارئ حرية التفسير. يرمز النهر الذي يقع بالقرب من المدرسة الداخلية إلى التغييرات في المستقبل القريب. لم يتحدد مصير المدرسة الداخلية، من المحتمل أن تنتقل إلى مكان آخر. وعلى نفس النحو، ظل مستقبل سميرنوف الصغير غامضاً. تلمح الروايات الخيالية في القصة إلى التقلبات المتوقعة وغير المتوقعة في الحياة الإنسانية.

أما قصة (طريق العودة - 2001)، تجري أحداثها في منطقة بسكوف في روسيا السوفيتية، خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. الشخصية الرئيسة، ماريا، الوحيدة بين الشخصيات التي نشعر معها بألفة. تعمل مربية في بيت الراوي الذي يتذكر، كفرد ناضج، طفولته الأولى. ماريا، فلاحة بسيطة غير متعلمة، تتطلع لحياة مريحة، دوماً تتعرض للغواية من القوى الشريرة، وممن يستغلونها ويسيئون لها. ضعيفة لحد العجز عن مقاومة جاذبية الحرية، الكحول، الجنس، تستسلم، تقع في مشاكل دون قصد. يتداخل مصير الفتاة مع حدث أدبي مهم، الاحتفال بعيد ميلاد شاعر روسيا الكبير بوشكين.

ذهبت ماريا لقضاء بعض الحاجات لأصحاب البيت بالمدينة، قابلت بعض المعارف القدامى وانضمت لصحبتهم دون إعلام أصحاب البيت، إلى جوري بوشكين، حيث عاش الشاعر الكبير في صباه مع مربيته، للاحتفال بعيد ميلاد بوشكين. شرب الجميع حتى الثمالة، تركوها وحدها، دون نقود أو وسيلة مواصلات. عليها الآن أن تمشي مسافة مئة كيلو متر حتى بسكوف، وحدها. تروي القصة بلغة مكثفة من خلال الراوي الشخصي والراوي المشاهد، غنية بالمجاز ووصف الطبيعة، دون فانتازيا، دون محسنات، دون مشاهد رعب أو شخصيات مخيفة. الترميز في القصة ضمني من خلال قدر ومشاكل البطلة. قدم ديميتري قصة إنسان يعاني دون ذنب اقترفه. ماريا شخصية طيبة بطبيعتها، حياتها الصعبة لم تمدها بالأدوات اللازمة لمقاومة الإغواء.

يكتب ديميترييف باختصار قصصاً شيقة، حكاياته خلاقة، لغته سهلة، لكن نثره يستهدف القارئ المثقف، هدفه أن يروي حكايات مؤثرة عن ناس عاديين يقعون في مواقف تثير الشفقة.



الكتاب: منزل السيدة البدينة
المؤلف: تامر إبراهيم
الناشر: دار الكرمة، 2016

تصدر الكرمة رواية (منزل السيدة البدينة)، الرواية الجديدة لتامر إبراهيم، وهي تناولٌ جديد تماماً لقصص مصاصي الدماء.

وقد قال د.أحمد خالد توفيق عن تامر إبراهيم: «يعبر تامر إبراهيم بسلاسة ذلك الحاجز الفاصل بين التشويق والرعب، ليبرهن على أنه لا يوجد حاجز أصلاً، وأن هرولة الوقت ذاتها قد تكون مرعبة أكثر من قبو يعج بالتوابيت. في الوقت ذاته هو قادر تماماً على ارتياد عوالم رعب لا أجرؤ على ارتيادها». من أجواء الرواية: كان يعرف أن عليه أن يخرج من هنا وبأي ثمن... الخيارات أمامه عديدة، لكنّ واحداً منها فقط سيقوده إلى حيث يريد، بينما لن يقوده الباقي إلا لهلاكه.. وعليه أن يحسم أمره وبسرعة.. عليه أن يتمالك نفسه وأن يسيطر على أعصابه وأن يختار.. ثم عليه أن يتحمل نتيجة اختياره! لكنه سيفتقد وحدته هذه قريباً!

تامر إبراهيم واحد من أهم كتاب التشويق والرعب في العالم العربي. ولد في الكويت عام 1980، وتخرج في كلية الطب بجامعة عين شمس عام 2003. صدرت له عدة سلاسل روائية ناجحة ومجموعات قصص قصيرة، إحداها مع د.أحمد خالد توفيق.

كتب تامر أيضاً للتلفزيون والإذاعة والسينما عدداً من الأعمال الناجحة.

ثبّتت (حكايات القبو) و(حكايات الموتى) اسمه كعلامة جودة مسجلة في أدب الرعب، ثم صدرت له (ثنائية صانع الظلام) عام 2012، فأصبحت بسرعة واحدة من أكثر الكتب مبيعاً في هذا النوع من الأدب التشويقي خلال السنوات الأخيرة.



الكتاب: إدوارد سعيد حوار مع طارق علي
ترجمة: أحمد عثمان
الناشر: الكتب خان 2016

هذا هو النص الكامل للحوارات التي أجراها طارق علي مع إدوارد سعيد، في شقة الأخير بنيويورك منذ عام 1994، قبل عشر سنوات من تمكن السرطان منه. هي سلسلة من الحوارات الطويلة الثرية تمكننا من رؤية مثقفين معروفين على الساحة الجماهيرية، يتحاوران، في نقاشات مميزة، عميقة ودقيقة، حول موضوعات يحبانها. وعلى اعتبار أن كليهما مفكران، وكاتبان يمارسان النشاط السياسي، يعيشان ويعملان في الغرب، وقد كبرا في مجتمعات وثقافات شرقية، وينتميان إلى اليسار، ويدافعان بحرارة عن حقيهما في نقد جميع الأرثوذكسيات، فهنا نجد أنهما التقيا لتحقيق هدفٍ مثير للاهتمام.



الكتاب: تاريخ الكذب
المؤلف: جاك دريدا
المترجم: رشيد بازي
الناشر: المركز الثقافي العربي، 2016

الدراسة التي كرسها جاك دريدا لمفهوم الكذب والتي نقدّمها هنا منقولة بالعربية، هي صياغة مختصرة للدروس التي ألقاها في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس، حيث تُلقي الضوء على ضرورة التمييز بين تاريخ الكذب كمفهوم وتاريخه في حدّ ذاته، والذي يحيل على عوامل تاريخية وثقافية تساهم في بلورة الممارسات والأساليب والدوافع التي تتعلق بالكذب، والتي تختلف من حضارة إلى أخرى، بل حتى داخل الحضارة الواحدة نفسها.

الجدير ذكره أن جاك دريدا ناقد فرنسي من أصل جزائري عرف في الدراسات النقدية والأدبية بمحاضرات وأبحاث وكتب عدة. نقل منها الكثير إلى اللغة العربية.



الكتاب: دون كيخوت (رواية)

تأليف: ميجيل دي ثربانتس سابيدرا

ترجمة: سليمان العطار

الناشر: المركز القومي للترجمة، 2016

صدرت حديثاً عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة رواية دون كيخوت الشريف العبقري دون كيخوتي دي لامانشا الشهير بين العرب باسم (دون كيشوت)، وتعد من الروايات الأوروبية التي بنيت على تقنيات السرد العربي جراء التداخل الثقافي ما بين الثقافة العربية واللاتينية والبربرية في الأندلس.

ويحرص المركز على توفير نوعية في قائمة إصداراته تتضمن الكتب القيمة المنقولة إلى العربية من لغاتها الأصلية.



الكتاب: فاتن حمامة

المؤلفة: زينب عبدالرزاق

الناشر: دار الشروق، 2016

صدر عن دار الشروق المصرية كتاب (فاتن حمامة) للكاتبة الصحفية زينب عبدالرزاق. يُعد هذا الكتاب محاولة لتوثيق سيرة سيدة الشاشة العربية الجميلة (فاتن حمامة)، وعرض مراحل حياتها ومحطاتها الفنية والشخصية، من خلال مجموعة كبيرة من الحوارات والأحاديث التي أجرتها الكاتبة مع الفنانة الكبيرة.

تضم هذه السيرة ذكريات سيدة الشاشة كما سردتها في مقابلات تمت قبل رحيلها، أجرتها معها الكاتبة الصحفية زينب عبدالرزاق في أوقات مختلفة، وأوصت الفنانة (فاتن حمامة) بنشرها مجمعة بعد رحيلها.

الحوار الأول في الكتاب كان مع زوجها الدكتور محمد عبدالوهاب، يحكي فيه عنها، وعن حياتها الفنية، والشخصية، وعن فاتن الإنسانة، والزوجة، والأم، وعن حياتهما معاً على مدى ما يقرب من 40 عاماً. واستكمالاً لتوثيق مراحل حياتها الثرية، أضافت المؤلفة ملحقاً يضم العديد من الصور الشخصية والنادرة لفاتن حمامة مع أفراد أسرتها، وأخرى مع مشاهير الفن والأدب والثقافة.



الكتاب: الهبوط من جبل مورجان

تأليف: آرثر ميللر

ترجمة: عبد السلام إبراهيم

الناشر: سلسلة المسرح العالمي، 2016

صدر حديثاً عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، كتاب رقم 380- يناير 2016 من سلسلة (من المسرح العالمي)، وهي بمراجعة محمد مدين، وأعد دراسة نقدية عنها أسامة أبو طالب. وهي من السلاسل ذات الإقبال القرائي على مستوى العالم العربي، واعتنى المجلس بتوفيرها شهرياً على مستوى من الاختيار والقيمة والنوعية.

الفيصل ومستقبل جديد





تحت عنوان جديـر بالتأمل (مئة عام على سايكس بيكـو: نهايـة الجغرافيـا فـي الوطـن العربي) يصـدر العـدد المـزدوج (473 - 474) لشـهر جمادى الآخـرة 1437هـ - مارس/ إبريـل 2016 مـن مجلـة الفيصـل، وتقـدم علـى مرحلـة نوعيـة فـي تاريخها حيـن تنفتح على شخصيات وموضوعات وقضايا قريبة من الراهن المحلـي والعربـي والدولـي، ويتزامن ذلـك مع تعيين الإعلامي ماجد الحجيلان رئيساً للتحرير.

ويُعَدّ الحجيلان رئيس التحرير الخامس في تاريخ المجلة التي انطلقت في يونيو عام 1977م، بعد الأديب علوي طه الصافي، والدكتور زيد الحسين، والدكتور يحيى محمود بن جنيد، والكاتب عبدالله الكويليت.

وفـي الافتتاحيـة يكتـب رئيـس التحريـر ماجـد الحجيلان عن القراءة الجديدة ممهداً لمقالته بجولة علـى أحوال الصـحافة العالمية ثم العربيـة والمآلات التي شهدتها وتشهدها بعض الصحف.

ويعكس العـدد الجديد مشـاغل وانشـغالات راهنة، تبـدأ بـالأدب ولا تنتهي عند السياسـة، فالمجلة تجهد بدايـة مـن هـذا العـدد، فـي تمثـل الأحـوال العربيـة، ثقافيـاً وفكرياً وأدبياً والأهم سياسـياً، وفقاً إلى طبيعة اللحظة التي نعيشـها، إذ إن كل لحظة في حياتنا باتت ملبدة بالسياسـة، تداعيات السياسـة تطاول كل شـيء، وتطبع أوقاتنا بحروبها وصـراعاتها وتمزقاتها، لذلك جـاء ملـف العدد ليقارب قضـية الحدود فـي المنطقة العربيـة، أو مـا سـتؤول إليـه، فـي ضـوء الحـروب التي تشهدها المنطقة.

ويشـارك فـي ملـف (الفيصـل) نخبـة مـن أبـرز المحلليـن السياسـيين: عبدالرحمـن الراشـد، عبدالوهـاب بدرخـان، ابتسـام الكتبـي، عبدالعزيـز بن صـقر، وحيـد عبدالمجيـد، عمـار علـي حسـن، أيمـن حماد، كرم سـعيد، عمار السـواد، خالد بن ققه، عبدالله العوضي، وناجي اللهبي.

يكتـب المحلـل السياسـي عبدالرحمن الراشـد عن (تغييـر الحـدود لـن يتوقـف عنـد حـدود)، والباحـث يحيـى بن جنيد يكتـب عن أبـي عبدالرحمن بن عقيل لمناسبة تكريمه في الجنادرية، والإعلامي عبدالعزيز العيـد يكتـب عـن تجربته فـي القنـاة الثقافيـة، وفهد رده الحارثـي يـدون شـهادته علـى المسـرح السـعودي مـاذا حـدث للكويـت؟ تحقيـق حـول مـآلات الثقافـة والفنون في الكويت وشـارك به الممثل والمخرج سعد الفـرج، والكاتـب عبدالوهـاب بدرخان كتب عن تصدّع العـراق وسـوريا خطـر مرشّـح للتعميم عربيـاً، وتكتب ابتسـام الكتبـي عـن النظـام الإقليمـيّ واسـتقرار دول الخليـج، وعبدالعزيز بن صـقر عن الحـدود في العالم العربي.. المتغيِّر والثابت، ومحمد الحداد عن الحركة الإصـلاحية النهضـوية وقضـية المذهبيـة، وتنشـر قصـيدة (حفـرة على مقاسـي) للشـاعر أحمـد الملا، ويكتـب عبدالعزيـز الحيص عـن بلاك ووتـر.. حروب بلا كلفة أخلاقية.

إذاً جمعـت الفيصـل عـدداً مـن الكتّـاب العـرب والسعوديين عن قضـايا وموضوعات متنوعة، تشتبك بالراهن العربي وقضاياه.

أما هدية العدد فهو كتاب بعنوان: (30 قصيدة.. 30 شاعراً.. مختارات من الشعر السعودي الجديد) معظم الشعراء والشاعرات تتراوح مواليدهم بين عامي 1985 و1997. أعده الصـحفي زكي الصـدير ووضع مقدمته الشاعر محمد حبيبي.

العدد رقم 13 من مجلة (الجديد)- فبراير 2016

تصدر عن Al-Arab Publishing Centre، London

مؤسسها وناشرها: هيثم الزبيدي

رئيس التحرير: نوري الجراح

الموقع على الإنترنت:

www.aljadeedmagazine.com

من موضوعات العدد

مقالات:

- ثقافة الماضي وثقافات المستقبل- نوري الجراح
- أفول عصر التنوير وصعود ما بعد الحداثة في الأدب العربي- خلدون الشمعة
- النخب المغاربية في سنارة العلمانية المغشوشة- محمود الذاوي
- النقد والحرية: التمييز بين الحقيقي والزائف- إبراهيم الحيدري
- الديمقراطية الليبرالية ومفهوم الحرية- عبد الرحمن بسيسو
- جماليات كرة القدم: بلاغة النص الكروي- وارد بدر السالم
- هل يأكل ناشرو اليوم ويشربون في جماجم المؤلفين؟- صلاح حسن رشيد

أصوات:

- هو والبحر، أنا والمكان- هيفاء بيطار

حوار:

- هشام جعيط: المخاض العسير
- حوار على حوار هشام جعيط
- تونس والعالم العربي- إبراهيم الجبين
- التحديث والهوية- إبراهيم سعدي
- العرب والتاريخ الإسلامي ومعضلة الحداثة- خطار أبو دياب
- شيخ السيرة العلمية- عماد الأحمد
- عقلنة التاريخ العربي- ربوح البشير
- الواقعية المفرطة في علامات الطريق القويم- جابر بكر
- طاحونة الشيء المعتاد- أبو بكر العيادي

ملف: القصة القصيرة

- السرد القصصي النسوي العربي- آراء عابد الجرماني
- القصة القصيرة وموقفها من نظريات السرد- عواد علي



- هموم الفرد وهموم الأوطان- أبو بكر العيادي
- شهادات

فنون:

- حيرة الفن العربي في متاهة السوق- فاروق يوسف

شعر

- قارب إلى لسبوس (مرثية بنات نعش)- نوري الجراح

قص

أحمد سعيد نجم- أحمد عمر- محمد بدرخان

العدد 95 من مجلة (فصول)- خريف 2015

فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس التحرير: محمد بدوي

من موضوعات العدد

النص الاستهلالي

الفكرة الرئيسة- بوريس توماشفسكي. ترجمة أحمد عبد الفتاح

الملف:

شعر الحداثة وما بعد الحداثة

دراسات في شعر أدونيس، محمد الماغوط، محمود درويش، حلمي سالم، سيف الرحبي، عماد أبو صالح، بلند الحيدري، يوسف الخال

بقلم: سليم الشريطي- سمير سحيمي- محمد جودت- مصطفى الغرافي- عبد الناصر حسن- علي عبد رمضان- محمد سيد عبد المريد- محمد بن سالم الصفراني- أبو اليزيد الشرقاوي- محمد سمير عبد السلام- عبد الوهاب عبد الرحمن

المختار:

أربع قصائد عن الفن الشعري: فرلين، مكليش، بورخيس، ميلوش. تقديم وترجمة شاكر لعيبي

مدارات أخرى:

- ماكس هوركهايمر والنظرية النقدية. لوك فيري/ آلان رين. ترجمة: خليل كلفت
- خطاب المسؤولية في الثقافة العربية الإسلامية. طارق النعمان

تجارب نقدية:

المرايا، رواية سير ذاتية. محمد آيت ميهوب

الواقع الأدبي:

- فصاميون وأشباه فصاميين: الخوف والعالم المضطرب في مجموعة صابر رشدي (رجل حزين يستطيع الضحك). شاكر عبد الحميد
- (أن تحبك جيهان) هو أن تعود الرواية العربية إلى نصابها. أحمد المديني
- الكتابة الأنثوية ومفهوم الشطب في شعر إيمان مرسال. طارق أبو الحسن



- محمد الماغوط: شعرية الأثر الكلي. أحمد حسن عوض
- ميتافيزيقا المنهج: قراءة في كتاب (النقد الثقافي) لعبدالله الغذامي. عمر زرفاوي

الحضارة بين عقل الأفندي والأكاديمي



الكتاب: الليبرالية في القرن العشرين (أحمد أمين وحسين أمين)
المؤلف: ماكوتو ميزوتاني
المترجم: علا محمد إصلاح
الناشر: مجموعة النيل العربية، 2016.

يحتوي هذا الكتاب على ثمانية فصول، ثمة خلل في ترتيبها، فقد توالى منذ بداية الكتاب فهرس الرسوم التوضيحية فتصدير فتمهيد على أن الاثنين متساويان ثم وضع في الفصل الأول مقدمة يفترض أن تكون سابقة للتمهيد والتصدير!

على أي حال، ثم تتوالى الفصول: أحمد أمين وعصره، وحسين أمين وعصره، والملامح الرئيسة لفكر أحمد وحسين أمين، ومناقشات في الإسلام، ومناقشات في الحضارة، ومناقشات في السياسة، ووضعت الخاتمة فصلاً ثامناً!

لعل هذا الأمر بحاجة إلى إعادة نظر في أصول التأليف وترتيب الأبواب والفصول.

يعد المؤلف الياباني ماكوتو ميزوتاني خبيراً بالشؤون الإسلامية والشرق أوسطية، فهو يعمل مستشاراً أكاديمياً بالمعهد الإسلامي العربي في طوكيو، ومدير مركز الدراسات الإسلامية المعاصرة في اليابان، وحاصل على درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط من جامعة يوتاه بالولايات المتحدة الأمريكية.

إذا كان النصف الأول من القرن العشرين هيمنت عليه أسماء مثقفين مصريين فاعلين في المشهد الثقافي العربي مثل طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين؛ فإن المنتصف الثاني من القرن نفسه هيمنت أفكار مثقفين مصريين آخرين مثل فرج فودة ومحمد سعيد العشماوي ومعهما حسين أمين..

على أن ذلك لا يلغي أسماء مثقفين عرب في أقطار أخرى عرفوا على مراحل سابقة أو مجايلة أو لاحقة، فقد تكسرت اللعبة المركزية في تكريس عاصمة عربية عما سواها، فلا يمكن أن تكون منصة تجمع وانطلاق مستبدة، إذ لكل العواصم العربية مع احتساب المتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية الفاعلة في الأثر والنتيجة.

وعلى أي حال فإن المؤلف ميزوتاني يجادل مفهوم وإجراء الليبرالية العربية المتنوعة سواء في الموقف السياسي أو الديني، بالإضافة إلى الموقف من القضايا ذات الشأن العام على المستوى الحضاري التي لا تقف حيال الشؤون الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

كما أنه يرتكز على أثر الليبرالية بوصفها منزعاً للنظر والرؤية تمثل في الكتابة والتفاعل عند مثقفين عرب على مستوى التاريخ والسياسة والدين.

لم تظهر الليبرالية وحدها في المشهد الثقافي المصري، بل أفرزتها ظروف مختلفة، ففي القرن التاسع عشر تمظهرت نزعة مصرية قطرية تمثلت في مناداة رفاعة الطهطاوي بـ(حب مصر)، ثم في ثورة أحمد عرابي تحت شعار (مصر للمصريين) ضد الاحتلال الإنجليزي، ثم صعود الزعيم مصطفى كامل، وحادثة دنشواي 1906 التي أبيد فيها 4 آلاف فلاح مصري على يد جيش الاحتلال الإنجليزي، كذلك عند الثائر سعد زغلول ومن بعده في طروحات طه حسين.

غير أن حادثة احتلال فلسطين بداية بمظاهرات كبرى بين عامي 1936-1939، ثم توالي مؤتمر 1937 حول القضية الفلسطينية، ثم تأسيس منظمة الوحدة العربية بالقاهرة عام 1938، وفي العام نفسه كون طلبة كلية الحقوق بجامعة القاهرة (اتحاد العروبة)، وصولاً إلى تأسيس جامعة الدول العربية 1945.

وخلال هذه الفترة التي صعد فيها حزب الوفد بوصفه يمثل النزعة المصرية أو الفرعونية؛ فإن أعضاء حزب الدستوريين الأحرار واجهوا الوفد بالنزعة العروبية في صيغة قومية إسلامية مثل محمد حسين هيكل ومحمد علي علوبة وإبراهيم المازني، ثم تحول أحد الوفديين الأقباط نحو العروبة أي مكرم عبيد.

تعد تمثلات الليبرالية في مصر ظاهرة مدنياً على المستوى السياسي في نشاط حزب الدستوريين الأحرار ثم في نشاط شخصية أحمد لطفي السيد، ذي النزعة المصرية، الذي شارك في صياغة الدستور المصري 1923 ثم في إدارة الجامعة المصرية عام 1925 بالإضافة إلى تقلده مناصب وزارية عدة كالتربية والتعليم ثم الداخلية.

كما لا ينكر النشاط الصحفي الذي كان حاضناً لكثير من الأفكار والمبادئ والقيم، حيث فعل فيه مجموعة كبيرة من المثقفين في اتجاهات مختلفة، ومن خلال المجلات تكرست الكثير من القضايا سواء عبر نزاعات متفاوتة أو توافقات متباينة. لا يمكن تجاوز فهم السياق الزمني والمتطلبات الظرفية بأن بعض الشعارات ظلت بالونات إعلامية للحشد ولفت الأنظار مقابل أن بعض الأفكار والمبادئ والقيم وضعت

في مآزق لاختبارات ما بين الإنجاز والإخفاق عند المثقفين.

على أن التجاذبات السياسية مقابل أمواج الإيديولوجيات الناشئة وقتها تجر إلى التورط في المجال السياسي كما حدث عند طه حسين وعباس العقاد وإبراهيم المازني ومحمد مندور، فإن بعض المثقفين نأوا عنها لتحقيق مشاريعهم الخاصة.

إن نموذج أحمد أمين يعد من المثقفين الفاعلين الذي أنجز أكثر من مشروع سواء من بداية عمله في مجال القضاء ثم التدريس ومن بعدهما التفرغ للكتابة والتأليف لرباعية الحضارة الإسلامية وسواها أو لإدارة المشاريع الثقافية كالمجلات أو سلاسل الإصدارات.

فقد وضع أول كتبه (الأخلاق) (1920)، ثم الرباعية منجَّمة: فجر الإسلام (1928)، ضحى الإسلام (1933-1936)، ظهر الإسلام (1945-1955)، يوم الإسلام (1952). عدا أنه تخللتها إصدارات أخرى مثل (زعماء الإصلاح في العصر الحديث) (1948)، (المهدي والمهدوية) (1950)، حياتي (1950)، إلى ولدي (1951)، ثم جمع مقالاته المنشورة في مجلة الثقافة في عشر مجلدات بعنوان (فيض الخاطر) (1938-1956). بالإضافة إلى أنه أشرف وحقَّق أعمالاً من تراث الحضارة العربية مثل (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي (1939-1944)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (1940-1953)، و(الحماسة) لأبي تمام (1951-1953)، الهوامل والشوامل محاورة أبي حيان التوحيدي ومسكويه (1951).

ويوضح المؤلف بأن معظم المؤلفات التي وضعت عن أمين بدأت بقائمة من كتابات التأبين ثم تحولت إلى مسح بياني لأعماله حتى صدر كتابان خصصا لتحليل نتاجه الثقافي (أحمد أمين وأثره في اللغة والنقد الأدبي) لفهيم الديناصوري، و(أحمد أمين والفكر الإسلامي العربي الحديث في كتابه فيض الخاطر) لعمر الإمام، ثم وضع عنه كتابين لم يترجما الأول (أحمد أمين: تقدم الإصلاح الاجتماعي والأدبي في مصر) ل أ.م.ه مزيد، و(إيمان مثقف مسلم معاصر: الجوانب الدينية لكتابات أحمد أمين ودلالاتها) لوليام شيبارد، ووضع المؤلف الياباني نفسه كتاب (الصراع الفكري لمسلم عصري: أحمد أمين).

وفي المنتصف الثاني الذي يمثله الابن لأمين حسين، فإن ثمة تحولات من بعد الثورة 1952 إثر الاضطراب السياسي، والضيق الاقتصادي والفوضى الاجتماعية. بالاتجاه نحو العروبة وتواري النزعة المصرية وخفوت النزعة الإسلاموية.

استطاعت الليبرالية المصرية أن تكون ميراثاً في النصف الأول من القرن العشرين من خلال صراعها مع الاستعمار والظلم والتحيز وفي النصف الثاني يواجهون فقد اللغة المشتركة بينهم وبين النخب الحاكمة من جهة ومن جهة أخرى بينهم وبين فئات المجتمع.

ويفصل المؤلف ذلك في الفصول الأساسية من كتابه أي الفصل الخامس مناقشات في الإسلام، والفصل السادس مناقشات في الحضارة والفصل السابع مناقشات في السياسة.

ينتهي المؤلف إلى تقييم مرحلتين يمثلهما نتاج الأب والابن على المستوى الجزئي حيث يفترقان حول الموقف من القضايا الدينية كالإيمان أو إسلامية في نشأة المذهب الشيعي والصوفي. كذلك الموقف من ثقافة وسياسة الغرب فقد اتخذ الأب موقفاً متصلباً ضدها بعد الحرب العالمية الثانية ثم تغير بعد نشر كتابه (الشرق والغرب) (1955) ورأى أن النظام الجمهوري البرلماني فاعل كما كان يأمل في نظام عبدالناصر إلا أن الظروف تغيرت فجعلت الابن ينخرط في مواجهة التطرف الإسلاموي وتفكيك حيازة التراث العربي الإسلامي وكسر لعبة الانتقائية بين عناصره.

وعلى المستوى الكلي تتوضح النزعة العربية الإسلامية عند الأب في دراسة الحضارة العربية الإسلامية مثل رباعيته عنها، كذلك أعماله سواء عن قضايا إسلامية أو عربية بينما اتجه الابن نحو النزعة المصرية.

وما يتوجب استيعابه فعلاً، كأمر أولي، أن التيار الليبرالي يبقى منشغلاً بقضايا أمته العربية والإسلامية، فهو يندرج شاء أم أبى نفسه أو سواه ضمن تيار الإصلاح الإسلامي في مواجهة المحافظين أولاً وثانياً المتطرفين من حيث تركيزه على جوهر العقيدة الإسلامية وتنقيته من المفاهيم المغلوطة بقياس تاريخ الدين وآثاره الاجتماعية والثقافية بمقياس تاريخي نسبوي لا إلغائي تاريخي.

والأمر الثاني أن الليبرالية العربية أو المصرية تحمل من بين إرثها المحلي والقومي والديني إرثاً إنسانياً يترحل ويقيم عابراً للأزمنة والأمكنة، ففي القرن العشرين كان التراث الأوروبي نتاج عصر النهضة والتنوير مقابل أن من بين التراث الذي استقبلته أوروبا التراث الأندلسي بطابعه العربي- اللاتيني الإسلامي- المسيحي.

ويخلص المؤلف إلى أن هناك ثلاثة عوامل تمنع الدول العربية الإسلامية من تبني نظام ليبرالي دون إثارة التطرف، أولاها، الاضطراب السياسي، وعدم وجود نظام سياسي نموذجي، وعدم وجود نظرية سياسية.

إذا كان الاضطراب علاجه مرحلي بالاستقرار، فإن مسألة النظام السياسي النموذجي قابلة للجدل العقيم مقابل انعدام مرتكز نظري سياسي لوضع قواعد للانطلاق أو البناء، ويواجه هذا كله العلاقات المعقدة بين سياسات الغرب والتاريخ العربي الإسلامي، والصراع على الموارد الطبيعية والمصالح السياسية بوصفها مكاسب يمكن تمديد مفعولها حسب المستطاع والمنفعة!

عبدالحليم البراك: بريدة

- 1 -

بِكلْية واحدة، وكبد مصابة بفايروس يرهق جسدي النحيل، وأزمة ربو متكررة، أتساءل عن كتل الإسمنت التي أمامي كصناديق مغلقة وهي تحتجز فيها الناس، ماذا يوجد في هذه الصناديق المترّسة، بيوت تحتضن السيدات والأطفال والعاملات المهاجرات، ورجال قابعون خلف كراس متحركة، والقصص الغريبة، دائماً وأنا أقود سيارتي نحو الفراغ (نعم فراغ) قادماً للبيت أو مغادراً، (غالباً أخرج ولا أدري إلى أين أنا ذاهب، وغالباً أعود للبيت ولا أدري ما سأفعل في البيت على وجه التحديد). أتساءل عن حجم هذه الكتل المتراصة وما فيها، وأتخيل سيناريوهات غريبة (هل يبدو أني مريض ذهاني بسبب هذه الأفكار والوساوس؟)، أتساءل عن سيدة (وهي جارتي بالطبع) هل هي سعيدة أم لا؟، هل هي في حاجة رجل، أم أنها تكره جنس الرجال؟! ما سبب خروجها في هذا الوقت بالذات؟ (لم يكن الوقت غريباً في دخولها وخروجها) وأخلق قصة لطيفة تارة، ومأساوية تارة أخرى، ثم عن هذه العاملة المنزلية التي ترمي نفايات البيت في برميل برتقالي اللون، عن حجم الغربة في داخلها، وكل يوم نفس السيدة تخرج وبنفس التوقيت، والعاملة تخرج هي الأخرى وبنفس العمل، وبنفس طريقة وقوفها قبل إلقاء النفاية عند الباب، تستكشف الشارع الفارغ، وبعد إلقاء النفاية تلتفت نحوي كقط خالٍ من المشاعر، تصل للباب ثم تقف أمام الباب بضع ثوانٍ، وهي تضع عينيها الصغيرتين على كل رجل مارّ في الطريق بما فيهم أنا، ثم تدخل. أطرح قصة أخرى مختلفة تماماً عن سيدات الحارة، عن رجال عابرين وعمالة وافدة، كل يوم حدث أتخيله وأذهب لأعود ثم أذهب لأعود ولا شيء غير القصص الجديدة التي أختلقها!

لا يكسر حاجز قصة إلا قصة أخرى تعترضها، ولا صوت يعترض صوتي إلا صوت صوتي الآخر الذي يكشف عن ضجيج في داخلي، لا صورة تكسر الصورة إلا صورة أخرى وموقف آخر وقلق بسيط!

- 2 -

- ماذا يعني لك هذا؟

- قلق بسيط، سرعان ما يزول..

- هل تعني أنه لا شيء، وغير مؤثر؟

- أعتقد ذلك!

- لا أظن..

- هل أحتاج شيئاً.. دواء مثلاً!

- لا..

قلق ألف عام

- 3 -

لم يمض وقت طويل وأنا على هذه الحالة التي أعيشها، كلها عشرون عاماً أردد نفس السيناريوهات، نفس القصص، نفس الرجال ونفس السيدات، قد تبدو -هذه العشرون عاماً- في نظر الآخرين طويلة للغاية، لكنها في نظري قصيرة جداً، لأنني أتخيل قصص العالم كله، كيف كانت الخيانات تتم في العصور السابقة، لا أتكلم عن مئة سنة أو مئتين، بل آلاف الأعوام، قبل أن تظهر الديانة، وقبل أن تخلق القيم، وقبل أن يقال بأن هناك قوانين لحمورابي يحاصر الناس بها بدعاوى الصواب والخطأ.

- 4 -

- هل أنت واثق بأن كل شيء على ما يرام؟

لم أتكلم ولم أنبس بكلمة واحدة، لكنه عقّب على ترددي ثم انفعالي ثم تشجني ثم بكائي وارتباكي بأن قال لي:

- أنت في حالة تدهور واضح.

ثم أودعني قلماً وورقاً، وقالي اكتب كي ترتاح!

لغتنا العربية هويتنا الثقافية

د. محمد محمود العطار: الباحة

كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية، فهي أولاً لغة القرآن الكريم، وهي ثانياً لغة ثرية في محتواها، ثمينة بقدر مفرداتها على التعبير عن الحياة في أدق تفاصيلها وعن العلوم في أدق مكنوناتها.

وقد حافظت اللغة العربية على استمرار أمة عربية لها امتداد جغرافي واحد وتاريخ مشترك واحد، وتطلعات مستقبلية واحدة، ولهذا فالأمم التي لم تكن تملك وحدة اللغة تفتتت وانهارت، لأن العقل كان فيها منقسماً على ذاته والفكر فيها مغترباً عن واقعه.

واللغة العربية نسبية غير مطلقة، منفتحة غير جامدة من ثم كتب لها الاستمرار والدوام، فاللغة كائن نام، في حالة من النمو والازدهار، وهي مرتبطة بتطور الحضارة، وهي أداة التفكير وقوامه، فلا تفكير بغير لغة. الأمر الذي يستلزم أن تكون اللغة قادرة على التعامل والنقل والاحتواء لمفردات ومعاني عصرها.

ولقد تأثرت اللغة العربية قبل الإسلام وفي فجر الإسلام بما أحاط بالجزيرة العربية من أمم حضارية كالفرس والروم والآراميين والحبشيين، فقد كانت اللغة اليونانية لغة الحضارة والفلسفة والعلوم، وكان تأثيرها على اللغة العربية عن طريق اللغة الآرامية، فقد دخلت إلى العربية من الفرس أسماء مثل الصولجان، والفردوس، والمسك. ومن المنسوجات: الديباج، والإستبراق، والسندس. ومن اليونانية: إبليس والقرطاس والفندق.

أما الألفاظ اللاتينية التي دخلت اليونانية ثم أخذتها الآرامية، وعن الآرامية أخذت العربية فمنها: الصراط، الدنيا، القصر.

ومن اللغة الحبشية: حواريون، ومنافقون، وبرهان، وهناك بعض الألفاظ الآرامية التي دخلت العربية عن طريق الحبشية مثل كلمة قدوس وأصلها الآرامي قديس، وكلمة تابوت وأصلها الآرامي تبيوتا، وجهنم وأصلها جيهنام، وعن العبرية: الحج، والكاهن، والعاشوراء.

تلك أمثلة لانفتاح اللغة العربية وقدرتها على التعامل مع عصرها بوعي وانتقاء وفهم وإدراك لعمق هذه المفردات على اختزال كلمات كثيرة للتعبير عنها.

ولهذا كانت اللغة العربية في صدر الإسلام وعصوره المتتالية أشد ثراء وأعمق خصوبة ومعنى، ومن هنا فإن قيمة اللغة تكمن في مستقبلها، وفي قدرتها على التطور والانفتاح في عالم يتقدم على نحو يتجاوز فيه كل قدرة على التنبؤ بما هو قادم.

ولقد أمسى أمر اللغة عند العرب عجيباً، وأعجب منه أمر العرب مع لغتهم، حيث إننا أمة تعمل على ضياع هويتها اللغوية، وليس من اليسير إقناع الناس -صغيرهم وكبيرهم- بأن للتاريخ أطواراً وللقضايا اللغوية محطات. وهي اليوم غير ما كانت عليه بالأمس.

ومن المشكلات التي تواجهها اللغة العربية وتكاد تغيب غياباً درامياً عنا كعرب الانفصام اللغوي الذي تعيشه الثقافة العربية، وهبوط مستوى العربية الفصحى على الألسن وفيما تكتبه الأقلام، ومشكلة التعريب وهذه المشكلات التي نعايشها في واقعنا العربي الراهن بشكل يومي تنخر في جسد لغتنا العربية.

وإذا رمنا الدقة والتمحيص قلنا إن أعظم قضية وأخطرها على الحاضر الراهن وعلى المآل المنتظر هي غياب الوعي بالمسألة اللغوية، ومن أخطر الظواهر السائدة في واقعنا العربي أن الجميع ينظرون إلى المشهد اللغوي بعين لاهية، وبفكر شارد، وبإحساس متخدر، حتى لنقول إن الجذوة الحضارية قد انطفأت، وإن الهمة الثقافية قد



فترت، ولهيب الحماس قد خبا وانكفأ، ولا مغالاة في القول إننا أمة تائهة بين الخيارات اللغوية.

كما تعاني اللغة العربية اليوم محنة قاسية وتجتاز مأزق حاسمة تكاد تسقط أمام التحديات في هاوية لا مخرج منها، لأن الخصوم يخططون لتخريبها. فلا يسعنا إلا أن نتسلح لإبراز معالم القوة والإبداع في لغتنا بتخطيط محكم ينتهج أدق الوسائل العلمية مع عدم الركون إلى التفاخر بالماضي والادعاء العاطفي والارتجال، حيث يجب أن ننطلق من ثورتنا على أنفسنا وذلك بتغيير مناهجنا وسلوكنا.

وإنه لمما يحزن في النفس، أن يلجأ مدرسو اللغة العربية في مؤسساتنا التعليمية إلى شرح قواعدها وآدابها باللغة العامية، دون حياء أو خجل، وقلما يتبادل مدرسا نحو حديثاً بينهما دون أن ترى العامية سائدة والفصحى منبوذة متروكة.

ويزعم الداعون إلى العامية عجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس وتصوير اللمحات العاطفية والأمثال الدارجة في كل قطر مع ما يعانيه الطفل العربي في دراسة الفصحى. وقد نسوا أو تناسوا أن في تقوية اللغة العامية إضعافاً للفصحى وتفتيتاً للوحدة العربية بخلق عدد من الشعوب لكل منها عربيته الإقليمية.

وإذا كنا في عالم أصبحت القنوات الفضائية فيه في متناول كل إنسان، فهنا ينبغي أن تعتمد القنوات الفضائية العربية على الفصحى وترك اللهجات العامية وهذه مشكلة كبيرة وخصوصاً في المسلسلات، ونحن نخسر كثيراً بجعل اللهجة العامية هي لغة الحديث في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وفي الحوار بالمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية حيث تنتقل منهم إلى الناشئة الذين يقضون وقتاً طويلاً في الجلوس أمام التليفزيون.

فالأطفال هم الذين سينقلون اللغة إلى من بعدهم، واللغة العربية الفصحى إذا ما اضمحلت من ألسنة الصغار فإنها لن تقوم لها قائمة في المستقبل.

إن ضعف اللغة العربية في الوقت الحالي يعود بالدرجة الأولى إلى أبنائها الذين تنكروا لها وتهاونوا في الحفاظ عليها، ووصول الأمر بهم -أحياناً- إلى الشعور بالخزي لتحدثهم بهذه اللغة، لذلك يلجأ بعض الناس إلى تطعيمها بكلمات من اللغة الإنجليزية، للدلالة على أنهم متحضرون، وكأن هذه اللغة هي سبب تخلفهم، دون أن يلتفتوا إلى أنهم هم الذين تخلفوا وأن اللغة ليس لها علاقة بتأخرهم.

إن اللغة العربية تصارع عدوين، هما: العامية والأجنبية، وفي ظني أن الصراع مع العامية صراع محدود فلا مانع أن يتحدث الناس فيما بينهم بالعامية داخل منازلهم وشوارعهم وجلساتهم الخاصة، لكن الضرر أن تفتح الأبواب التعليمية والثقافية للعامية لتأخذ مكان الفصحى فيها.

أما الصراع مع اللغة الأجنبية فهو صراع حاد ينبغي التصدي له بقوة، وعنف أحياناً حتى يتم تحجيم أعراضه وحصرها داخل الأطراف بعيداً عن صلب الجسد.

وعلينا معالجة مشكلات اللغة العربية في عالمنا العربي حيث إن اللغة التي لا يهتم بها أهلها، لا تكون أبداً جديرة باهتمام الآخرين لها، فينتفي بذلك الدافع لتعلمها من قبل غير الناطقين بها.

إن لغتنا هي آخر حصوننا في مواجهة طوفان العولمة، ونحن كعرب علينا أن لا ندع العدو يخترقنا وتصبح لغة الوحي أولى ضحايا العولمة.

المنهج العلمي لدى جابر بن حيان

محمد عباس عرابي: مصر

يعد جابر بن حيان (120-200هـ) أبا الكيمياء، فلقد سار بالتراث الشرقي واليوناني في الكيمياء في اتجاه أكثر تجريباً وتنظيماً، وبعداً عن السرية والرموز. إن عبقرية جابر كانت تفضل العمل داخل المعمل، تاركةً مجال الخيال، فجاءت نظرياته واضحة مقننة، وبسبب أبحاثه الدقيقة استحق جابر لقب المؤسس الأول للكيمياء، على قواعد علمية سليمة وأسس راسخة، وهو واضع الأسس العلمية للكيمياء الحديثة والمعاصرة، ولم تكن جامعات أوروبا تعرف مراجع تدرس في علم الكيمياء حتى القرن الخامس عشر الميلادي إلا كتب جابر بن حيان.

ويتناول هذا المقال المنهج العلمي لدى جابر بن حيان من خلال رؤية جابر بن حيان في مصادر العلم، الملاحظة، التجربة، قواعد المنهج التي توجه البحث العلمي.

× مصادر العلم: حدد جابر بن حيان مصادر العلم في ثلاثة هي:

- المصدر الأول: أن العلم لدني ينبع من الفطرة. يقول جابر: إن العلم لا يكون بالبديهة، ولا بالتعلم من الصفر، بل يكون على البديهة.

- المصدر الثاني: العلم يتم عن طريق الاكتساب، فقد أكد جابر على ضرورة اكتساب المعرفة، وتحصيلها قبل إجراء التجارب، فيقول: ومن كان دربه العلم كان حقاً عالماً.

- المصدر الثالث: يجمع بين الفطرة والاكتساب، فالنفس لا تكون عالمة أولاً بالضرورة، لكنها مستعدة للتقبل بطبيعتها فهي إما (قادرة أو فاعلة أو جاهلة).

× الملاحظة: اهتم جابر بالملاحظة باعتبارها خطوة من خطوات المنهج العلمي التي ابتدأ بها دعائم علم الكيمياء، واعتبرها مصدراً من مصادر المعرفة الصحيحة، والوصول إلى الحقيقة؛ فيقول في كتابه (الخواص الكبير): ويجب أن نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح عندنا بالملاحظة الحسية أوردناه، وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضاً وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم.

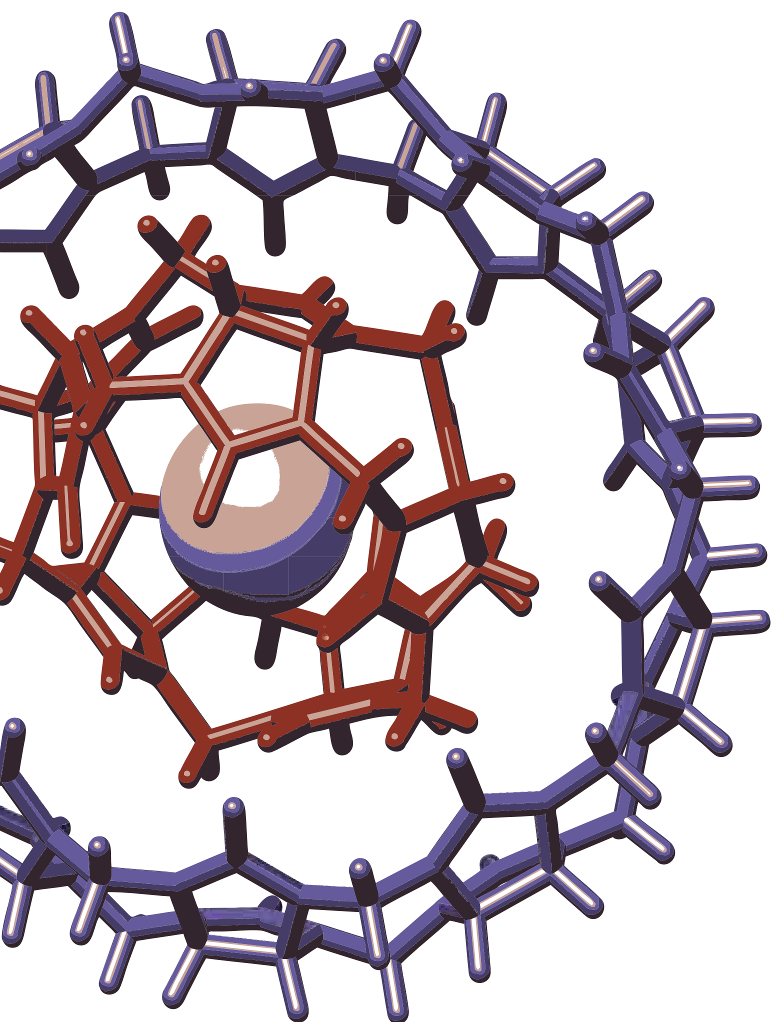
× التجربة: عني جابر في بحوثه بالتجربة واعتبرها أساساً للعلم وأطلق عليها اسم: الدربة والاختبار والامتحان، وكان يوصي تلاميذه بالتجربة وعدم التعويل إلا عليها مع التدقيق في الملاحظة والاحتياط وعدم التسرع في الاستنتاج، وفي ذلك يقول: وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب؛ لأن من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان، فعليك يا بني بالتجربة، لتصل إلى المعرفة. ويقول: ما افتخر العلماء بكثرة العقاقير ولكن بجودة التدبير فعليك بالرفق والتأني وترك العجلة، واقتفِ أثر الطبيعة فيما تريده من كل شيء طبيعي.

وقد نظر جابر إلى التجربة على أنها أساس للعلم واستخدم في استدلالاته: قياس الغائب على الشاهد بطرق ثلاثة هي:

المجانسة: ويسميها بالأنموذج، وتقوم على الاستدلال بأنموذج جزئي آخر أو نماذج جزئية للتوصل إلى حكم كلي، وهو ما يقابل الوقائع المختارة أو ما يشبه فكرة اختيار العينات في البحوث الحديثة.

الآثار: ويقصد بها جابر: الدليل النقلي، أو شهادة الغير أو السماع أو الرواية.

مجرى العادة: ويرى جابر أن يقوم على استعداد فطري لدى الإنسان الذي يتوقع حدوث ما تعود أن يراه يحدث على نحو معين، وهذا هو الاستقراء العلمي الناقص الذي



يقـوم على الإيمان بوجـود نظام في الطبيعة، وعلى الاعتقاد بـأن هـذا النظـام مطرد أو يسـير علـى وتيرة واحـدة، بحيث نتوقـع حدوث الوقائع في المسـتقبل على نحو ما حدث في الماضي.

× قواعـد المنهـج التـي توجه البحث العلمي: أصـبح علم الكيمياء على يد جابر بن حيان علماً مكتمل العناصر، واضح الحدود. والتحصـيل النظـري فيه يجب أن يسـبق التجربة والتطبيـق؛ لأن أي خطأ في التجربة قد يؤدي إلى كوارث لا تحمد عقباها، ولذلك حرص جابر على أن يضع للمشتغلين بهـذا العلـم منهجـاً واضـحاً ودسـتوراً بينـاً يسـتعينون بـه، ويعتمدون عليه، ويمكن أن تتلخص في العناصر التالية:

- تعيين الغرض من التجربة قبل البدء فيها.
- على صـاحب التجربة العلمية أن يفهم الإرشـادات فهماً جيداً.
- ينبغي تجنب ما هو مستحيل، وما هو عقيم لا يثمر.
- العنايـة بالوقـت الملائـم والفصـل المناسـب لإجـراء التجربة العملية.
- يجب أن يكون المعمل الكيميائي في مكان معزول.
- يجب أن يختار العالم الكيميائي أصدقاءه ممن يثق بهم حتى لا يسـتغلوا معرفتهم ببعض المعلومات السطحية في علم الكيمياء في أغراض غير خلقية.
- يجب أن يكون صـاحب التجربة متفرغاً لها حتى يوفي العمل حقه من الاهتمام.
- الصبر والكتمان شرط من شروط الباحث العلمي.
- الدأب عنصر من عناصر النجاح، فالإخفاق مرة ومرتين وثلاثاً لا يعني التوقف واليأس.
- علـى الباحـث أن يكـون واعياً فلا تخدعـه الظواهر، ولا يتسرع الوصول من تجاربه إلى نتائج غير صحيحة.



الشنفرى عاشقاً متمرداً

شعبان ناجي: مصر

في زاوية (حين نلتقي) بالعدد 473 من مجلتنا العربية الغراء، أعجبت أيما إعجاب بمقال الأستاذ عبدالله الأسمري الموسوم بـ(الشنفرى حين خلع القبيلة ومضى)، وذلك لما حمله من إسقاطات كثيرة على واقعنا المؤلم، مشيراً في سياق حديثه إلى أن هذا الشاعر الصعلوك هجر قبيلته وتمرد عليها لأنه رفض أفكارها الرجعية وتقاليدها البالية.

وفي الحقيقة فإن هناك أسباباً أخرى جعلت الشنفرى يعرض عن قومه ويتمرد عليهم، فيترك لهم الجمل بما حمل (كما يقول المثل العربي)، ليذهب بعيداً إلى القفار، حيث يعيش مع الذئاب والنمور وكل الحيوانات المفترسة التي يراها -من وجهة نظره- أقل ضرراً من البشر وأكثر استئناساً منهم.

ولا ريب أن العوامل البيئية والاجتماعية قد أثرت على الشنفرى، وبدا ذلك واضحاً في شعره فضلاً عن لاميته، تلك القصيدة التي تبدو فيها ملامح الصعلكة من ثورة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت في بيئته آنذاك، والغربة التي يشعر بها كل صعلوك عاش في بيئته، كما نجد فيها مفاخرته بنفسه وبأخلاقه وشجاعته، وهو ما يذكرنا بشخصية عنترة العبسي الذي تمرد هو الآخر على قبيلته التي رفضت الاعتراف به كفارس مغوار، ومن ثم فلا حق له من الزواج من حبيبته الأثيرة (عبلة).

(من هنا تكمن مأساة الشنفرى الذي عانى هو الآخر من لوعة الحب حيث وقفت قبيلته بنو سلامان) حجر عثرة أمام هذا الحب الجارف الذي كان مبعثه الأول والأساس على التمرد، ومن خلال الروايات عن شخصية الشنفرى وظروفه نرى فيه شخصية فذة في عدة نواح، في قوة الإرادة إلى درجة غير مألوفة، ومن أمثلة ذلك تصميمه على قتل مئة رجل من بني سلامان وإنفاذ عزمه، وكذلك في قوة تركيبه الجسمي، فقد كان يسبق الخيل في عدوه، فضلاً عن قوة عقليته وعمق تفكيره، حيث كان يضرب به المثل في الحذق والدهاء.

وقد شاءت الظروف لهذه المواهب الجبارة أن تعيش في أسوأ ظروف اجتماعية، أبرزها أنه كان مجرد أسير ذليل لا يملك حتى حريته، بل ازدادت الظروف قسوة عليه حين تعرض لحوادث اضطهاد وإذلال من بني سلامان حين تطلعت نفسه إلى الارتباط بإحدى فتياتهم فرفضوه وطردوه شر طردة، فاتجه إلى الصعلكة حتى كان من أبرز الصعاليك وأشهرهم على الإطلاق، صاباً سخطه ونقمته على كل الناس ممثلين في بني سلامان، وخلال وحدته وتشرده في الصعلكة قال هذه (اللامية)، وهي ثمانية وستون بيتاً، فجاءت القصيدة مطابقة كل المطابقة لشخصية ذلك العاشق المتمرد، بما فيها من مقومات وعمق ونضوج، وبما تحمله ظروفه من قسوة وجفاف، حتى كانت القصيدة مرآة صقيلة نرى فيها الشنفرى وحياته بوضوح، لا سيما ما يرتبط بتجربته العاطفية القاسية.

الرياض وعرسها الثقافي الكبير


الرياض وعرسها
الثقافي الكبير

حسين أحمد المحمد: سوريا

قرأت باهتمام مقالة الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله السيف في العدد (473) من المجلة العربية عن المعرض الدولي للكتاب في الرياض، والحق يقال إن الأستاذ قد أطلعنا على هذا الحدث الكبير الذي أصبح ظاهرة محمودة تنم عن وعي كبير في المنظومة الفكرية للمواطن العربي والتوجه البناء إلى عالم القراءة الواسع فقول المتنبي:

أعز مكان في الدنى سرج سابح
وخير جليس في الأنام كتاب

كان صحيحاً ووصفاً دقيقاً لمحبة العربي للقراءة وحب الاطلاع على علوم الغير، ولا يكون ذلك إلا بالقراءة واستقاء المعلومة من الكتاب. رغم ما انتاب المواطن العربي من مشاكل جعلت الأولويات عنده تكاد تكون معيشية أكثر منها فكرية، طبعاً دخول أذرع الشبكة العنكبوتية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أضعف كثيراً ميدان الكتاب، فكانت المعارض المتنفس الجيد والظاهرة العالمية لتسويق الكلمة المطبوعة.

لم يستطع المؤرخون تحديد ظهور أول كتاب في العالم، لكن دلت الدراسات على أن مصر الفرعونية كانت الأولى في ذلك واستخدم ورق البردي المتوافر بكثرة على ضفاف النيل العظيم، وبعدها كانت الكتابات البابلية والسومرية على الألواح الطينية. أما لماذا كان الكتاب خير جليس فسببه الرئيس هو توسيع مدارك الإنسان وزيادة معارفه. يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب
تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشياً سراً إذا استودعته
وتفاد من حكمة وصواب

وما أثار اهتمامي في معرض الرياض هذا العام هو في الحقيقة صورتان:

الصورة الأولى: تسليط الضوء على الجانب التراثي وذلك من خلال إطلاق التسميات نفسها لشوارع الرياض القديمة في المعرض كنوع من إصباغ الحدث بالصبغة التراثية العريقة، أو ما يسمى ذاكرة المكان، وإعطاء الحدث الثقافي بعدان: تأريخي من خلال ما ذكرنا وبعد حداثي من خلال الكادر الشبابي المكلف بإدارة العرس الثقافي الكبير، وهو جهد يشكر عليه كل من أسهم بذلك. مع المطلب الملح بضرورة التوسعة بما يليق بالمكانة المرموقة التي وصلت إليها المملكة بجهود رجالاتها تلك القامات الأدبية التي ساهمت بإثراء الساحة الثقافية في الوطن العربي والعالم بما يعزز الإرث الحضاري للإنسانية جمعاء.

الصورة الثانية: وهي مشاركة المجلة العربية بجناح خاص، تعرض فيه كل منشوراتها والبعض من الأعداد، وليته يكون كل أعدادها. إن هذا المنبر والصرح الثقافي الذي جهد منذ ما يقارب الأربعين عاماً على غرس البذور الفكرية السليمة في وعي المواطن العربي مع كل ذلك الإخلاص والتفاني في العمل من أجل تأكيد بصمة المجلة العربية بكل كادرها إنما ينم عن الإخلاص في النية وتحقيق المجهود الفكري وتوثيقه لتكون المملكة ليس فقط مقصد الحجاج إلى بيت الله الحرام إنما محجة للثقافة والمثقفين ومنبراً طالما صدح به كبار الأدباء والمفكرين، وما مزيد ما تلقى الثقافة العربية على العموم وفي بلاد الحرمين على الخصوص في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله إلا شاهداً على ما نقول، ولتكن الرياض كعبة المثقفين مثلما أم القرى كعبة المؤمنين، ومبارك للرياض عرسها الثقافي الكبير.


الشيخ عبدالعزيز البشري
من الأدب الساخر إلى النقد الأدبي

نكات الشيخ البشري

ناجي العتريس: مصر

أمتعنا الدكتور يسري عبدالغني عبدالله في العدد 473 بموضوع يحمل عنوان (الشيخ عبد العزيز البشري.. من الأدب الساخر إلى النقد الأدبي)، ذكر فيه أن البشري كان خفيف الظل مرحاً، فكهاً، يمزج أدبه بالفكاهة الراقية، ولأني من عشاق هذا الرجل أردت أن أضيف إلى هذا المقال الشائق أن الشيخ كانت له صولات وجولات في النكتة مع أساطينها، ولا يمكن أن نتحدث عنه دون ذكر بعض النكات الشهيرة التي كانت حديث المجالس في عصره، فقد كان يزور حديقة الحيوانات مع حافظ إبراهيم فقال له حافظ وهما خارجان: حاسب أحسن حد يحوشك عند الباب، فقال له البشري على الفور: أظن إن ما فيش خوف عليك علشان فيه منك كتير هنا! وكان مع أصدقائه عند الأسرة الأباظية وقام يتوضأ وترك جبّته السوداء، ولما عاد وجد أصدقاءه قد رسموا عليها بالطباشير وجه حمار للسخرية منه، فنظر إليهم دون أن يفقد أعصابه وتساءل في براءة خبيثة: مين فيكم اللي مسح وشه في الجبّة؟! وقابله أحد أصدقائه في الطريق ولما دنا منه قال له: تصوَّر، كنت من بعيد باحسبك واحدة ست، فأجابه البشري على الفور: وأنا والله كنت باحسبك راجل!! وقابله رجل أمي في الطريق وطلب منه أن يقرأ له خطاباً وكان الخط رديئاً لا يُقرأ فاعتذر له وظن الرجل أن الاعتذار لجهل الشيخ فصرخ في وجهه متعجباً: أُمال لابس عِمَّة ليه؟ فنزع الشيخ على الفور عمامته من فوق رأسه وألبسها للرجل وصاح فيه: لما الحكاية حكاية عِمَّة، اقرأ إنت الجواب بقى!

وعندما كان قاضياً شرعيًّا جلس في مجتمع مع الفريق إبراهيم فتحي وزير الحربية في تلك الآونة وأراد الباشا الفريق أن يمزح معه فقال له: هل في الحديث الشريف: قاض في الجنة وقاضيان في النار؟ فأجاب الشيخ قائلاً: نعم، وفى القرآن الكريم (فريق في الجنة وفريق في السعير).

وهناك الكثير من النكات والقفشات للشيخ البشرى تضيق المساحة عن حصرها.


قصة إبداع

في ظل الاحتلال

لا حدود للنجاح

أحمد مصطفى الغر: مصر

طالعت بالمجلة العربية العدد 473 ما كتبه الأستاذ راشد عيسى، بعنوان (قصة إبداع، في ظل الاحتلال)، مما أثار لدي هذا التعقيب على هذا الموضوع المهم. لقد أوضح الكاتب مثالاً للنجاح في ظل بيئة تهتم بالعبقريات وتساعد على نموها، وهو (ستيف جوبز) صاحب إمبراطورية أبل، ونموذج آخر في بيئة مغلقة ومحاصرة وفقيرة، وليس لديها الإمكانات لرعاية المواهب أو العقول، وهي الفلسطينية (حنان الحروب). أود أن أضيف إلى ما كتبه الأستاذ عيسى أن ثمة نماذج أخرى للنجاح كانت في ظروف أشد بؤساً، بعضها بالمناسبة كان يقطن نفس البيئات الواعدة التي عاش فيها (جوبز).

قالوا قديماً إن (ما لم يقتلك.. فهو يجعلك أكثر صلابة)، إنني أجد قصة (حنان الحروب) التي تفوقت على 8000 معلم ومعلمة من مختلف أنحاء العالم، واستطاعت أن تنجح وتكسر كل القيود وتتفوق على كل الظروف؛ أنموذجاً يجب أن يتم تدريسه بمناهج المدارس العربية، لأنها لا تقل عن أخريات تزخر كتبنا المدرسية بقصصهن الملهمة، المفعمة بالأمل والتحدي، هذا الأمل الذي أكدت عليه المعلمة (حنان) لحظة إعلان فوزها باللقب، إذ رددت كلمات الشاعر الكبير محمود درويش، من قصيدته (حالة حصار): (هنا، أمام فُوَّهَة الوقت، نفعل ما يفعل السجناء، نربّي الأمل)، مضيفة: (إن هذا الحدث يعبر بعمق عن هذه الرسالة، أن نربي الأمل).

لقد قرأت قبل عامين كتاباً بعنوان (25 قصة نجاح) للكاتب رؤوف شبايك، معظم قصص النجاح بالكتاب تدفعنا للإجابة عن أسئلة: هل النجاح ضربة حظ؟ هل للبيئة والظروف دور يفوق دور الشخص الساعي للنجاح ذاته؟ هل الفاشلون في الحياة مقدر لهم الفشل، وبالتالي فلا توجد قوة تحت سماء هذه الأرض تستطيع أن تغير من قدرهم وحالهم هذا؟ من خلال قصص النجاح التي حملها الكتاب كانت الإجابة عن تلك التساؤلات هي النفي القاطع، فمن أراد النجاح سيحققه ولو كان في أحلك الظروف، وأسوأ البيئات، صحيح أن هذا لا يعني أن نكتفي بتأمل تلك القصص والإبقاء على حالنا كما هو، بل يجب أن يكون هذا دافعاً للحكومات وصناع القرار بتغيير واقعنا للأفضل.

للحق أقول: إنَّ الإنسان حينَ يريدُ الحياة، ويسعى في أن يكون كما يُحب، سيتحدى كل ما يعيقه من ظروف وعقبات، ولا يجب أن يتوقف عن السعي للنجاح لمجرَّد طفولة أليمة عاشها، أو مجتمع ينظر له بنظرة دونية، أو مرض عُضال يواجهه، أو بيئة فقيرة وغير مؤهلة لتنمية موهبته أو عبقريته، ومثلما بدأنا الكلام بـ(جوبز)، صاحب إمبراطورية أبل؛ سننهيه بـ(بيل جيتس)، صاحب إمبراطورية مايكروسوفت، الذي قال يوماً: (الحياة ليست عادلة تماماً، وعلينا أن نتقبل ونعتاد العيش في الظروف التي نعيش فيها، وننجح).



عبدالرحمن الوابلي
ضوء العقول لا يرحل رغم الوداع

المجلة العربية: الرياض

كما لو كان الخبر مفتاحاً لثقب الذاكرة لا قفلها، حين استقبل السعوديون نبأ رحيل الدكتور عبدالرحمن الوابلي، هذا الاسم الذي اقترن ببهجتهم ومساءلة المختلف في ثقافتهم. حين استعاد خبر الرحيل ملفات مواجهاتهم الثقافية التي تمتد لنحو عقدين من العمل النخبوي الجماهيري معاً. عندما صاغ هذا المفكر المتفرد رؤى النخب في قوالب اجتماعية جماهيرية عامة، عبر المسلسلات الدرامية التي كان يكتبها ويمثلها نخبة من الفنانين في المملكة العربية السعودية.

يرحل عبدالرحمن الوابلي، المولود في مدينة بريدة، والحاصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة شمال تكساس الأمريكية؛ وبرحيله تخسر الأجيال السعودية مشعلاً من مشاعل التنوير المستنير الشجاع، وهو الذي ما فتئ يرحمه الله يقارع التيارات الظلامية التي تستهدف تخدير العقول والأجيال وصرفها عن مناطق الفن وإقطاعات الجمال. كان الوابلي وحيداً إلا من قلة مضت على عهد الصدق والنور والوفاء لأجيال ستحلق تالياً.

لم يكتف الوابلي المنير يرحمه الله، المحاضر بحقل التاريخ بكلية الملك خالد العسكرية، بنافذة الرؤية الشعبوية المتلفزة؛ بل أمضى السنين والأعوام وهو يكتب للعقول والأفكار والحريات والحقوق عبر زاويته الأسبوعية الشهيرة بصحيفة الوطن، فضلاً عن حضوره المميز، بعمق الطرح، وجرأة الفكر، ووضوح الرؤية؛ عبر العديد من الفعاليات والندوات الثقافية داخل الوطن وخارجه.

أصدقاء الوابلي، وهم ملء سمع السماوات الإلكترونية المفتوحة والفضاءات المتاحة من الأجيال والمجالات؛ أحالوا وسائط اتصالهم الاجتماعية ووسائط تواصلهم الشخصية إلى سراديب عزاء حقيقي بفقد اسم ثقافي وطني كبير بحجم الوابلي، ومن أبرزهم الدكتور عبدالله الغذامي، إذ قال: (كم من الحسنات يهدونها لك اليوم، ذهبت طاهراً وهم يلاحقونك بسوء الظن، كأني أسمعك تقول: عفا الله عني وعنهم، عليك رحمات ربك ورضاه).

أما الدكتور مرزوق بن تنباك، فيقول: (قمت هذا الصباح نشطاً لقضاء بعض الحاجات صدمني خبر وفاة عبدالرحمن الوابلي، عدت إلى الفندق حزيناً، لرحيل رجل يحب الحياة ويحب الناس، غفر الله له).

وقد عرف الوابلي رحمه الله بوطنيته التي لا جدال فيها يقول في إحدى مقالاته بعد بدء عاصفة الحزم:

(من الجميل أن تنام في بيتك الصغير أنت وعائلتك الصغيرة بأمن وسلام، ومن الأجمل كذلك أن تصحو من نومك وإذا ببيتك الكبير «الوطن» بطل يحمي نفسه وجيرانه بكل حزم وبطولة، ودون أي تردد. وهذا سر تعلق الناس بأوطانها، أن يكون الوطن بطلاً في حفظ أمنه من الداخل، وبطلاً وشجاعاً في حفظ أمنه من الخارج كذلك. وكما رددت على مسامعنا قياداتنا الحكيمة والشجاعة «وطن لا نحميه لا نستحق العيش فيه»؛ ها هي قيادتنا تطبق ذلك على أرض واقعنا وأمام أعيننا، وعيون العالم أجمع كما وعدتنا وتعهدت لنا بذلك. إذاً، فنحن -شعباً وقيادة- نستحق العيش في هذا الوطن، لأننا أثبتنا وبحق، أننا نستطيع الدفاع عنه وبكل جدارة من الداخل والخارج، بسواعد أسودنا البواسل وصقورنا الأصائل. ولذلك نستطيع أن نهنئ أنفسنا بوطننا الآمن الأمين).

ستمضي كلمات الدكتور عبدالرحمن الوابلي، ورؤاه وهمه وحلمه؛ في أوردة الأجيال الجديدة التي آمنت بصدقه وتطلعاته ووطنيته وتدينه السليم النزيه من آثام الوصاية على الناس وتوجيههم وتأطير حيواتهم.

رحمه الله وأضاء قبره مثلما أضاء عقول أجيال.



14 ساعة عرض
في مهرجان أفلام السعودية الثالث

المجلة العربية: الدمام

اختتم مهرجان أفلام السعودية منذ أيام عروضه السينمائية على مسرح (خيمة إثراء المعرفة) بالظهران حيث تم الإعلان عن أسماء الفائزين بعد ثلاثة أيام من عروض الأفلام المشاركة فيه.

المهرجان الذي نظمته جمعية الثقافة والفنون بالدمام يأتي في نسخته الثالثة بمشاركات كبيرة، حيث بلغ عدد الأفلام 112 فيلماً، و72 سيناريو قُبل منها 70 فيلماً، إضافة إلى 55 سيناريو جميعها نافست على جوائز المهرجان، حيث قسمت إلى أربعة أقسام، الأفلام الروائية القصيرة، والأفلام الوثائقية القصيرة، أفلام الطلبة، والسيناريو.

وبلغ مجموع ساعات الأفلام المشاركة 14 ساعة، اشترك من خلالها 46 مخرجاً سعودياً و24 مخرجة سعودية من مختلف مناطق المملكة.

وانطلاقاً من تقاليد مهرجان أفلام السعودية الذي تنظمه جمعية الثقافة والفنون في الدمام، في تكريم شخصية رائدة في مجال الأفلام، احتفاء بها وتقديمها كنموذج متميز يحتذى به من قبل صنّاع الأفلام الشباب، كرّم المهرجان المخرج السعودي سعد الفريح (يرحمه الله)، والذي اختير مراراً للقب أفضل مخرج سعودي وكرم في كثير من الملتقيات الفنية والثقافية، منها تكريمه في مهرجان الإنتاج التلفزيوني لدول مجلس التعاون الخليجي كرائد من رواد الحركة الفنية في المنطقة.

وقد أوضح رئيس مجلس إدارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون والمشرف على المهرجان الأستاذ سلطان البازعي أن وزارة الإعلام كلّفت الجمعية بتنظيم المزيد من مهرجانات الأفلام بمناطق المملكة، موضحاً أن الجمعية تسعى حالياً بالتعاون مع القنصليات والسفارات السعودية بالخارج لعرض الأفلام السعودية دولياً.

من جهته قال مدير مهرجان أفلام السعودية أحمد الملا إن نسخة المهرجان لهذا العام تميزت (بالقوة والفعالية). وأضاف أن المهرجان (خلاصة تجارب فنية ومعرفية وتقنية، لصناع الأفلام الشباب، يكشف الخطاب الثقافي والفني لما يشغل هذه الفئة المعبرة عن أكبر شريحة في المجتمع السعودي). ويسعى المهرجان كأحد برامج المبادرة الوطنية لتطوير صناعة الأفلام السعودية ليكون محركاً لصناعة الأفلام ومعززاً للحراك الثقافي بالمملكة، وموفراً الفرص للمواهب السعودية من الشباب والشابات المهتمين بصناعة الأفلام.

نتائج مسابقة السيناريو:

- النخلة الذهبية لسيناريو (ثوب العرس) لزينب آل ناصر
- النخلة الفضية لسيناريو (ابن المطر) لمحمد سلمان
- النخلة البرونزية لسيناريو (نسف) لمحمد الحلال
- شهادة تقديرية لسيناريو (نفق طوارئ) لمنال العويبيل
- شهادة تقديرية لسيناريو (ضجيج) لمحمد المصري







•شهادة تقديرية لسيناريو (حين يبكي الناي) لعمر الربيع

نتائج مسابقة أفلام الطلبة:

•النخلة الذهبية لفيلم (ماطور) لمحمد الهليّل

•النخلة الفضية لفيلم (ah-18) لريهام التيماني

•النخلة البرونزية لفيلم (دائرة) لعلي الحسين

•جائزة تقديرية للمخرجة نورة المولد

•جائزة تقديرية للمصور يعقوب المرزوق من فيلم (ماطور)

•جائزة تقديرية لفيلم (تيتا.بي) لبشرى الأندجاني

نتائج مسابقة الأفلام الوثائقية القصيرة:

•النخلة الذهبية لفيلم (أصفر) لمحمد سلمان

•النخلة الفضية لفيلم (المتاهة) لفيصل العتيبي

•النخلة البرونزية لفيلم (آلزهايمر) لعبدالرحمن صندقجي

•جائزة تقديرية لفيلم (سلمان حكيم السياسة) لمحمد سندي

•جائزة تقديرية لفيلم (نظام حياة) لمحمد باقر

•جائزة تقديرية لفيلم (هجولة) لرنا الجربوع

نتائج مسابقة الأفلام الروائية القصيرة:

•النخلة الذهبية لفيلم (كمان) لعبدالعزيز الشلاحي

•النخلة الفضية لفيلم (بسطة) لهند الفهاد

•النخلة البرونزية لفيلم (القصاص) لعبدالله أبو الجدايل

•جائزة تقديرية لفيلم (السحور الأخير) لهناء الفاسي

•جائزة تقديرية للممثل خالد الصقر من فيلم (كمان)

صالح الحريبي (1945 - 2016)
صوت الرحالة النجدي

المجلة العربية: الرياض

بعض الأصوات دلالة على عصرها وربما تكون علامة الجيل.

إن ما يميز هذا الصوت عدا عن تملكه موهبة صوتية بارعة في مساحاتها الصوتية ومقدراتها الأدائية واستطاعتها تمثل مسموعاته وإعادة إنتاجها صوتياً، هي ثقافته المختلفة الجامعة للتراث الثقافي غير المادي من أربعة مدارس غنائية عربية، الأولى: النجدية في بعدها الكويتي الجامع ما بين الفنون الأدائية البحرية والصحراوية والقروية، والثانية: العراقية بفرعها الزبيري -ذي المكون النجدي- وفرعها البصري الذي يتداخل فيها فن الخشابة مع فن الفجري في الخليج لكونه من الفنون الأدائية الخاصة بعمال البحر، والثالثة: المصري بأدوارها وطقاطيقها، والرابعة: الشامية بقدودها ومواويلها.

فقد تجاوز الحريبي انطلاقته بأغنية (ليش بس يعني) (1963) التي كتبها ولحنها يوسف المهنا:

(ليش بس يعني أنا اشتريك وانت تبيعني
كنت في الأول حبيبي من غيَّرك يا ترى
وانت من الدنيا نصيبي أحلفك شنهو جرى
قول السبب أمرك عجب وشغلني..ليش بس يعني..)

على أنه يعد -أي الحريبي- أول جيله سابقاً لمصطفى أحمد وحسين جاسم وعبدالكريم عبد القادر، ووضع الأمل عليه بعد توقف مفاجئ للصوت الكبير شادي الخليج -عاد مستأنفاً عام -1974 مع وجود غريد الشاطئ الصوت الجهوري الكبير، حيث طوت هذه الحناجر عهد الحناجر المتعبة من مشق الجمَّالة وخدوش البحارة ونياحة الفلاليح.

إن تلك الظروف جعلت من صوت عوض دوخي يحمل كل العلامات الموروثة، واستمر شهادة على الماضي حاضراً ولو إلى حين بينما توارت معظم الأصوات الكبيرة إما بالرحيل مثل عبد الله فضالة وإما بالابتعاد مثل عبداللطيف الكويتي وعائشة المرطة ومحمود الكويتي.

ففي خضم بداية الأغنية الطالعة من رحم التراث الثقافي غير المادي المتنوع المصادر سواء من فنون الحضر كالصوت واللعبوني أو فنون الساحل كالفجري والخماري أو فنون القرى كالسامري أو فنون البدو كجرة الربابة والعرضة.

حيث تنكَّب تلك البدايات كل من الملحنين سعود الراشد بصوته وأحمد الزنجباري ويوسف دوخي وأحمد باقر بين صوت شادي الخليج وعوض دوخي كذلك بديعة صادق ومائدة نزهت وحورية سامي، فإن الجيل اللاحق من الملحنين بدت تظهر معالم طموحه في أغنية تعبر عن زمانها ومكانها تستعيد بعض العناصر الملهمة والقادرة على البقاء عند كل من عبدالرحمن البعيجان وخالد الزايد ومرزوق المرزوق وغنام الديكان وعبد الرب إدريس.

فظهرت ثنائيات بين الملحنين والحناجر، حين التمَّ البعيجان على صوت حسين جاسم والديكان على مصطفى أحمد وادريس على عبدالكريم عبدالقادر.

ما جعل الحريبي يتخذ من طريقة القبض على الجمر بحمل التراث الثقافي غير المادي، ولعل حفل الكشافة (28) عام 1974 كشف عن موقف ثقافي عميق الاشتداد بالانتماء والتحقق في تمسكه بالعروبة الثقافية جاعلاً من التراث الثقافي غير المادي العربي مرتكزاً أساسياً كاسراً كل الحدود ولغة الهزائم، فقد تغنى فيه بالطقطوقة المصرية والقد الحلبي.



ولـم يثنـه ذلك عن استعادة غناء نمـاذج جميلة تركها كل من المبدعين الكويتيين مثل عبداللطيف الكويتي وعبدالله فضالة ومحمـود الكويتـي، فـي فـن الصـوت واللعبونـي والسامري.

فقـد تمكـن من تشـرُّب وأداء فن اللعبوني، من المدرسـة النجديـة فـي نمـوذج (العين هلت) (أحمد الجابر- صـالح الكويتي):

(العين هلت دمعها.. والناس غافين

والروح ذابت والحشا.. في النار تصلاه

على عشير صابني.. في طرة العين

مكن صوابه في الحشا.. ويلاه ويلاه)

ومـن المدرسـة العراقيـة شـارك فـرق الخشـابة -صـار مصطلحاً لميـزان إيقاعـي- فـي أداء المقـام العراقـي والبستات -الأغاني الشـعبية-، ولعل أظهرها أداءه لقصيدة (المجرشـة) للشـاعر عبـود الكرخـي (1861-1946)، التي تغنـى بهـا المطـرب العراقـي الكبير يوسـف عمـر (1918-1986)، وهي تعرض شكوى المرأة المقهورة:

(ذَبّيت روحي عالجرش وأدري الجرش ياذيها

ساعة وأكسر المجرشة وألعن أبو راعيها

ساعة واكسر المجرشة وألعن أبو السّواها

إش كم سفينة بالبحر يمشي ابعكسها اهواها..)

ومن المدرسـة الشـامية تغنى بنموذج مـن القدود الحلبية (يـا مـال الشـام) مـن كلمـات عمـر الحلبي ولحـن أبـو خليل القباني (1833 - 1903):

(يـا مـال الشـام يـاالله يـا مالي

طـال المطـال يـا حلـوه تعالي

يـا مـال الشـام على بـالي هـواك

أحلـى زمـان قضيتـه معـاك)

ومن المدرسـة المصرية اتخذ نموذجاً من طقاطيق أول القـرن الشـعرين نمـوذج (آه يا حلـو يا مسليني) لحن داود حسني (1870-1937):

(آه يـا حلـو يـا مسلّيني

يـا اللـي بنـار الهجـر كاوينـي

املا المـدام يا جميل واسقيني

مـن كثـر شـوقي عليك ما بنام)

ونمـوذج طقطوقة (يا صـلاة الزين) مـن كلمات محمود بيرم التونسـي، وهي مسـجلة نادرة في التلفزيون المصـري عام 1960 بصوت ملحنها زكريا أحمد (1869-1961):

(ليلـتهـم حلـوه ومحليـهـا

رب القـدره ومنـورهـا..

اخـوان امـراء وقصدناهم

امـراء وشـعـراء وجدنـاهـم

كيف البحريـن يـا صـلاه الزيـن

على الحلوين ياصلاه الزيـن..)

عـدا أن الحربيـي تـرك مجموعـة مـن الأغاني الخاصـة بـه تعـد الأرشـيف المنسـي لـه، وهـي تحفـظ كل تمثـلات هـذه الحنجـرة الكبيـرة الهـادرة، ومنهـا (علمـوك) من فن الصوت، و(تطالعني) من الخماري، ومن السـامري القروي (تحريتك) التي كتبها ولحنها يوسـف ناصر وتغنى بها كثر من بعده:

(تحريتك سنين طويلة.. وأنا خايف إن قلبك نساني

على شوفتك كل يوم وليله.. اعد الدقايق والثواني)

جورج طرابيشي
الإرث الصامت



منى كيوان: سوريا

حين كتب جورج طرابيشي، رثاء الذات، في ذكره ست محطات صنعت حياته، كان لا يبالغ في وضع اللمسة الأخيرة على نتاجه. الرثاء الذاتي، الذي ضمنته كتابة شخصية لمقال أشبه بسرد «ضئيل» لمحطات، كان لا بد أن تصنع من هذا الرجل الألمعي، خامة نادرة لا يمكن تكرارها في المشهد الثقافي العربي.

ولندرة ظهوره الإعلامي، وابتعاده عن الأضواء، مازج طرابيشي محاولته إثراء المكتبة العربية، بين الترجمة والتأليف، والأهم حرصه على تكريس وقته ومعظم سنوات عمره لتطوير مشروع «تنويري» يسعى إلى زيادة الوعي ونقد العقل العربي، الديني والقبلي، في مساهمات «أنتروبولوجية» و«سوسيولوجية»، تعدّ من أهم القراءات الحديثة للإنسان العربي وتوجهاته ولغته.

المفكر الذي احتوت مكتبته على خمسة آلاف مجلد، وترجم وألّف أكثر من مئتي كتاب، كان مولعاً بالتنقيب، فبحث في الماركسية والنظرية القومية، وفي النقد الأدبي للرواية العربية، ومن أبرز مؤلفاته: «معجم الفلاسفة» و«من النهضة إلى الردة» و«هرطقات 1 و2» ومشروعه الضخم الذي عمل عليه أكثر من 20 عاماً وصدر منه خمسة مجلدات في «نقد نقد العقل العربي» أي في نقد مشروع الكاتب والمفكر المغربي محمد عابد الجابري.

حيث وصف عمله هذا، بأنه «موسوعي»، إذ احتوى على مراجعات للتراث اليوناني وللتراث الأوروبي الفلسفي وللتراث العربي الإسلامي، ليس الفلسفي فحسب، بل أيضاً الكلامي والفقهي والصوفي واللغوي.

كانت القضايا العربية شغله الشاغل، وكان احترامه شديداً للدين الإسلامي وتعاليمه الأخلاقية والحياتية، حيث أكد في أكثر من مناسبة، أن الإسلام دين انفتاح ومفكريه نادوا بتحرير العقل وفهم الكون كـ«طريق لفهم الله».

ولد طرابيشي في حلب في العام 1939، وانتقل لاحقاً للدراسة الجامعية في العاصمة دمشق، فدرس الأدب العربي، وحصل على درجة الماجستير في التربية، ما أهله لتطبيق مناهج التحليل النفسي على اللغة العربية، وأكسبه خبرة في المجالين.

انتقل من بعدها، ليعمل مديراً لإذاعة دمشق لمدة عام



«1963 - 1964»، حيث لم يلبث طويلاً نتيجة خلافاته مع حزب «البعث العربي الاشتراكي»، حيث كان من أنصار الحزب في بداياته إلى حين استلامه زمام الحكم في سوريا. فنشأت خلافات أيديولوجية وسياسية، بين طرابيشي وقادة الحزب، أدت إلى اعتباره معارضاً سياسياً وزجه في السجن. وهنا كانت المفارقة حيث إن هذه التجربة المريرة كان لها الأثر الكبير في اختياره منهج حياته ومسيرتها، فمنذ ذلك الوقت اتخذ قراره بأن يصبح كاتباً، فوجد في الكتابة طريقه الأسمى لتقديم شيء لهذا المجتمع.

بعد خروجه من السجن توجه إلى بيروت، قبل نشوب الحرب الأهلية هناك، فانتقل مع زوجته الكاتبة هنريت عبودي وابنتيه، واستلم منصب رئيس تحرير مجلة «دراسات عربية» «1972 – 1984» الشهرية الصادرة عن «دار الطليعة»، لصاحبها الراحل بشير الداعوق، ولكن اشتداد الظروف الصعبة التي سببتها الحرب الأهلية آنذاك أجبرته على مغادرة لبنان إلى باريس، لينتسب إلى مجلة «الوحدة» «1984 – 1989» ويستلم التحرير فيها.

في فرنسا، تفرغ بشكل كامل للكتابة وترجم للعديد من المفكرين العالميين الذين أثّروا في الفكر الإنساني المعاصر في مجالات الأيديولوجيا والفلسفة والتحليل النفسي والرواية، نذكر منهم هيغل، وسارتر، وسيمون دو بوفوار، ولكن انصب اهتمامه الأكبر لترجمة 30 مؤلفاً من أعمال فرويد من الفرنسية إلى العربية، فكان له الفضل في ترجمة أعمال فرويد للعربية.

ومع بداية الأزمة السورية، أصيب، كما يقول في مقاله الأخير بـ(الشلل التام عن الكتابة)، وهي (محطة الألم السوري المتواصل الذي لا يبدو له بصيص أمل بالشفاء)، كما دوّن، مضيفاً: (أنا الذي لم أفعل شيئاً آخر في حياتي سوى أن أكتب هو بمثابة موت ولكنه يبقى على كل حال موتاً صغيراً على هامش ما قد يكونه الموت الكبير الذي هو موت الوطن).

يرحل طرابيشي، مثقلاً بالهمّ السوري، وصمته، تاركاً للعالم العربي إرثاً يتجاوز الحروب والتقاتل الأهلي ورحالة الدم، إرثاً حيوياً يكرس طرابيشي «علّامة» في البحث والترجمة والتأليف.. والأهم، «كاتب صامت» لا يبحث عن التصفيق.

القراءة بلا وصاية

لـم يكـن يدور في مخيلتي وأنا أكتب هذا المقال تحديـداً أني سأمارس وصاية ما، من نوع مـا، كـي ألفت انتباهكم إلى شيء يعتمل فـي نفسي بتحريض متعـال. لا أخفيكم أشعر بتلكؤ يجذبنـي نحـو التوقـف والعدول عن طـرح الفكرة، فلم يحـدث خلال مسيـرة قرائية طويلة أن لبسـت عبـاءة الوصي على الكتاب، مـا يستحسن قراءته وما يكره ومـا يجب نبذه. ربما تشكلت هذه الحساسية المفرطة من طبيعة تكويني الثقافي، حيث كانت تُمارس ضدنا أنواع مـن التعنت يوم كنا صغاراً نلتف حول مشايخنا بأعيـن مفتوحة وعقول متوهجة استعداداً لتقبـل الأوامر بـلا جدل أو مراء كما كان يحلو لهم وصفه، فكانوا ينتزعون كل ما يقع بأيدينا مـن كتـب أو مجلات، مما كان يُنظر إليهـا أنها إثم شيطاني يجب محاربتـه، فيستعاض عنها بأخـرى تغرس عنوة بين أعيننا علـى اعتبار أنها طاهرة ونظيفـة، وكأنها الخريطة البديلة للوصـول إلى الجنة، حتى انغلقت أمامنـا دروب الأدب والثقافة بمعناها الواسع. ربما كان القصـد آنـذاك هو التعويـل على النقل مـن مشايخنا مباشـرة وتغليب النقل علـى العقل أو تعطيلهمـا جميعـاً؛ لأن البعرة تدل على البعير، والأثر يـدل على المسير، فلا حاجة لإشغال عقولنـا بما يخلق فيها بلبلة السـؤال. بيد أني في هذه المرة أستميحكم عذراً، رجاء اغفروها لـي هـذه المرة فلن أعود إلى مثلها البتة، كل ما في الأمـر أني أعجبت بما قرأته أكثر من مرة أيمـا إعجـاب، وسأوصيكم به، وهو سفر عظيم وسم بعنوان (الحرب المقدسة)، ورغم تمدد صفحات الكتاب وامتلائها بالتاريخ والأسماء والأرقام والتحليلات إلا أني لم أنفك متورطاً به وعالقـاً بمعلوماته الثرية حتى أنهيته في غضون أيام، ثم عـدت إلى قراءته كرّة أخرى. هذا الكتاب الذي ألّفته (كارين آرمسترنغ) يقع في سبعمئة صفحة كلها موغلة في عمق الصراع الشرق أوسطي، بدءاً من الحروب الصليبية بمراحلها المتعددة، وما خلفته من صراعات لا تـزال مشتعلة الفتيل حتـى اليوم. والجميل في هذا الكتـاب الاستثنائي أنه يغوص في عمق الحقائـق التاريخيـة المحضة، فتقوم بقراءتهـا وتحليلها مسقطة إياها علـى النزاع العربي الإسرائيلي من أجل الأرض المقدسة. لم يفتها وهي تستل معلوماتها التاريخية أنها تقع من حيث الوجهة إلى الفريق الثالث المتصارع عن بعد وهو العالم المسيحي الذي أسهم من خلال حروبـه المتكررة على الشـرق الأوسط في تكوين هذه العقدة العصية على الحل على الأقل في المدى القريب المنظور، فأنحت باللائمة على أولئك القديسين والملوك الصليبيين الذين جيّشوا البارونات والحجاج الفقراء لتوريطهم وتوريط غيرهم في حروب خاسرة. حفل هذا الكتاب بمعلومات تاريخية عن الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام، فلم ينحز إلى ثقافـة أو ديـن دون غيره، من حيث كم المعلومات أو مستوى التحليل أو عمقه، فجاء منصفاً متوازناً حتى في تناوله للصراع العربي-الإسرائيلي، وحاول اعتماد المصداقية والحيادية بلا تشنج أو مواربة، لذا خرج الكتاب بمنهجية وعلمية يعوّل عليهما في فهم كثير من الأمور والقضايـا الغائبة تحـت أنقاض المعرفة بمـا يؤسس لوعي وفهم شامـل للقضية، ويجعلنا قريبيـن جداً منها، بما يمنحنا القدرة علـى تفسير الحراك السياسي الدائر حالياً الهادف إلى تصنيع أرضية مشتركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين للوصول إلى اتفاق عادل وشامل، كما يؤسس هذا الكتاب الرائع لرؤية واضحة لسلوكيات الساسة.

حتى نلتقي

محمد المزيني: الرياض





عبدالرحمن الحمد - موسيقي ومسرحي

المجلة العربية

منشورات العربية

ذكرى مرور أربعين عاماً

